

د. آمنة البدوي

شعر النازحين

من الأندلس إلى مصر والشام
في القرن السابع الهجري
بين التأثر والتأثير





الأهلية للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

الفرع الأول (التوزيع)

المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، وسط البلد ،
شارع الملك حسين ، بجانب مطعم القدس - بناية رقم 12
هاتف 00962 6 4638688 ، فاكس 00962 6 4657445

الفرع الثاني (المكتبة)

عمان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين ،
بجانب البنك المركزي ، مكتب المقاصة - بناية رقم 34

مكتب بيروت

لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : 00961 1 824203 ، مقسم 19

شعر النازحين

تأليف: د. أمينة سليمان البدوي

الطبعة الأولى ، 2009

حقوق الطبع محفوظة

الغلاف : علي الحسيني 00962 7 99782270 ، عمان ، الأردن

الصف الضوئي : إيمان زكريا - 079/5349156

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، بأي شكل من الأشكال ، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة

د. آمنة سليمان البدوي

شعر النازحين

من الأندلس إلى مصر والشام
في القرن السابع الهجري

بين التأثر والتأثير



اللهراء

إلى من ..
يرصفون الأرض الدماء
فتنزعُ الأجسادُ
لكنهم باقون
كأف نخلة
يطلعون في أفق السماء
يبعثون الشمس
بالضياء



mohamed khatab

مُقَدِّمَةٌ

شهد القرن السابع الهجري في الأندلس، تبدلات في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نتيجة للظروف التي داهمت الأندلس من فتن وحروب، فقد تتابع سقوط المدن الأندلسية بصورة مطردة بعد موقعة العقاب سنة (609هـ) التي كانت نذير انحلال الجبهة الأندلسية، فلم يأت الربع الثاني من النصف الثاني من القرن السابع الهجري، إلا وقد سقطت معظم مدن الأندلس، وقد كان لهذه الأوضاع آثارها الاقتصادية والاجتماعية فقد ضيق على الناس، ونفدت الأقوات، وانتشرت الأوبئة، مما كان له أثر بين في ازدياد موجات الهجرة والنزوح، فقد بدأت موجات الهجرة الداخلية تزداد خاصة نحو مملكة غرناطة إذ كان أهل الأندلس يعيشون حالة من الفزع والاضطراب والقلق.

لم تتسع غرناطة لكل هؤلاء المهاجرين، فكان لا بد من توجه المسلمين إلى خارج الأندلس، فارتحلوا إلى المغرب العربي، والمشرق لإسلامي الذي يقصد به مصر والشام والعراق، لكن توجه المرتحلين إلى العراق كان أقل مقايسة بمصر والشام، نتيجة للاضطرابات والأوضاع غير المستقرة فيه.

استقر المرتحلون إلى مصر والشام في المدن الرئيسية، ولا يعني ذلك أن كل من كانوا بمصر والشام من المرتحلين قد نزحوا بصورة اضطرابية في فترة سقوط المدن الأندلسية، فقد ارتحل بعضهم قبل تغير الظروف في الأندلس بصورة واضحة أو في أثنائها إلا أنه كان في الأغلب نزوحاً نهائياً، فاستقراراً في مدن المشرق، وقد وردت في هذه الدراسة تسميات عدة، هي: النازحون، والمرتحلون، والمُهَجَّرُونَ والمهاجرون، وكان يقصد بها كل ذلك، مع

غلبة معنى تسمية النزوح عليهم؛ لأن الظروف التي اضطرتهم للخروج إجبارية غالباً، ويدلل على ذلك تمني عودتهم إلى الأندلس في معظم أشعارهم ولو كانوا خرجوا برغبتهم، ولو كانت العودة سهلة لما تمنوها.

وقد استخدم في الدراسة لفظ المغاربة وقصد به الأندلسيون لأن الرحالة والمؤرخين والأدباء لم يفرقوا بين من كان منهم مغريباً أو أندلسياً، فأطلق على الأندلسيين المغاربة، ولم يُرد به المغاربة بصورة خاصة.

وقد عنيت هذه الدراسة بتتبع الشعراء المرتحلين في القرن السابع الهجري وجعلت لتراجهم ملحقاتاً خاصاً في نهاية الدراسة، كما عنيت بإبراز محاور شعرهم، وتبين أثر الارتحال فيها من خلال وصفهم للمعطيات البيئية والحضارية في المشرق، وليس معنى هذا أن الدراسة قد عنيت بالشعر المتعلق بالارتحال فقط، وإنما بالشعر الذي قيل في مصر والشام في القرن السابع الهجري، مرتكزة على عناصر عدة لتحديد زمن الشاعر وهو القرن السابع الهجري، والمكان الذي قيل فيه هذا الشعر وهو مصر والشام، وهذه العناصر هي: سنة الخروج من الأندلس، أو اللقاءات بالمؤرخين والأدباء والشعراء المعاصرين في مصر والشام، أو تحديد ذلك من خلال القصائد، أو من خلال علاقاتهم بالملوك أو القواد أو الوزراء المعاصرين من المشاركة. وقد عنيت الدراسة بتتبع هذا الشعر بغض النظر عن الفترة الزمنية التي أقامها الأندلسيون في مصر والشام.

وتحديد فترة الدراسة بالسنوات الواقعة بين (600-700هـ/1203-1300م) لا يعني بداية السنوات ونهايتها بصورة حاسمة، فقد تناولت شعراء مرتحلين عاشوا إلى ما بعد القرن السابع الهجري، على أن الباحثة حرصت على عدم دراسة قصائدهم التي حدد زمنها بعد هذه الفترة، إلا إذا حُدد تاريخ نظم هذه القصائد بصورة محددة، أو وردت فيها إشارات للشعراء من خلال قصائدهم، تلمح إلى زمن نظمها، فأثير الدين أبو حيّان على سبيل المثال توفي سنة (745هـ) لكن أخذت بعض قصائده التي حدد زمن نظمها من خلال الشخصيات التي التقاها، وكان أصحابها ممن عاشوا في القرن السابع الهجري وتوفوا فيه، أو من خلال بعض قصائده ولا سيما قصيدته النحوية التي حدد فيها مدة

إقامته بمصر وهي عشرون سنة، فيكون قد قالها سنة (699هـ)، لأنه ارتحل إلى المشرق سنة (679هـ).

وقد وردت إشارات عند بعض الباحثين إلى الشعراء المرتحلين من خلال دراسات تتعلق بدور الأندلسيين والمغاربة في المشرق، وهي «المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى» لصلاح الدين المنجد، و«الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن التاسع الهجري». لعل أحمد، وله كذلك رسالة جامعية (رسالة دكتوراه) اطلعت عليها الباحثة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق وهي «الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة منذ نهاية القرن الخامس الهجري، وحتى نهاية القرن التاسع الهجري» وقد جاءت الإشارات فيها إلى الشعراء المرتحلين في صفحات قليلة، لأن هذه الدراسات كانت تعنى بدراسة الجانب التاريخي.

استقيت مادة الدراسة من مصادر متنوعة، أبرزها كتب التراجم، والمصادر التاريخية والمشرقية والمغربية، وجاء بعضها مخطوطاً، ولعل أهم المصادر المخطوطة، مخطوطة «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» لابن الشعار الموصللي، التي كشفت عن تراجم شعراء لم ترد في المصادر المطبوعة، كما وجدت فيها مادة شعرية غنية، أنشدها له الشعراء المرتحلون الذين التقاهم في مصر أو الشام، أو أنشدت له ممن روى عنهم، وقد تعرضت بعض المادة الشعرية فيها إلى محو الحروف وعدم وضوحها بفعل الرطوبة، وأشارت الباحثة إلى بعض هذه القصائد لكن لم توردها بسبب عدم وضوح الخط.

وعثرت الباحثة على قصيدة مخطوطة لعلم الدين أحمد بن القاسم المالقي، ضمن مجاميع مخطوطة رقم (3818) في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وقد وصف الشاعر فيها رحلته إلى المشرق وذكر بعض من التقاهم من العلماء والمحدثين والفقهاء في مصر والشام والعراق.

كما استقيت مادة الدراسة من مصادر مطبوعة منها: «المغرب في حُلَى المغرب» لابن سعيد المغربي، و«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين ابن الخطيب، و«النوافي بالوفيات» للصفدي، و«فوات الوفيات» للكتبي وغيرها من المصادر التاريخية والنقدية، والدواوين الشعرية، والمراجع العربية والأجنبية.

وقد جاءت هذه الدراسة في مدخل وثلاثة فصول عرض المدخل رحلات الأندلسيين إلى المشرق قبل فترة الاضطرابات وفي أثنائها، مبرزاً قيمة ما حملته هذه الرحلات عن المشرق للأندلسيين سماعاً أو قراءة أو مشافهة.

ويتناول الفصل الأول الأوضاع العامة في الأندلس وفي مصر والشام في القرن السابع الهجري، والظروف التي تسببت عن الحروب والفتن وسقوط المدن، كما يتناول الأوضاع في مصر والشام من الجانب الإيجابي من مناج عدة طبيعية وسياسية وعلمية واقتصادية، ومدى تشكيلها عوامل جذب للأندلسيين المرتحلين.

ولم تحدد الدراسة هذه الأوضاع بصورة عوامل محددة، لأن الباحثة لم تعثر على تحديد أسباب الارتحال لكل شاعر بصورة خاصة، وإن كانت هذه الأسباب وردت للتقليل النادر منهم، وربما كانت عمومية الأسباب أغنت عن ذكر خصوصيتها، ولا يمكن للدراسة أن تجعل مثل هذا الافتراض قاعدة تبنى عليه نتائج قد تكون غير دقيقة.

ويتناول الفصل الثاني موضوعات شعر النازحين وهي: علاقة الشعراء بملوك المشرق وسلاطينه وكبار رجال الدولة فيه والحنين وشكوى الغربة وتعدد صورها، واستندت الدراسة في إبراز هذه الصور على دراسة هذه الظاهرة في شعر ابن سعيد المغربي، ووصف مدن المشرق والمظاهر الحضارية فيها، والمطارات والمساجلات والمعارضات مع المشاركة، والزهد والتصوف، واللهو والمجون، وموضوعات أخرى متفرقة.

ولا يعني أن الدراسة قد عرضت لكل أشعار المرتحلين بدراسة تفصيلية، بل عرضت محاور عامة؛ لأن الدراسة التفصيلية في كل بُعد من أبعاد هذه المحاور العامة، تحتاج إلى دراسات أخرى تالية، ولعل اتساع المادة وغزارتها تتحكم في عرض الموضوعات، لذلك اكتفت الدراسة بالمحاور العامة والأبعاد الكلية.

أما الفصل الثالث فيتناول الدراسة الفنية لهذا الشعر، من حيث الصورة الشعرية التي حملت دلالات نفوس الشعراء وثقافتهم وظروف عصرهم، والفنون البديعية التي أكثر الشعراء من استخدامها مجازاً لذوق عصرهم، والأسلوب واللغة، وتنوع الشعراء في أدواتهم الفنية، واستفدتهم من معطيات عصرهم وثقافته. والتأثر والتأثير بين المشاركة

والمغاربة، وآراء بعض الأندلسيين في شعر المشاركة، أو آراء المشاركة في شعر الأندلسيين، والمحاورات التي جرت بينهم في ذلك، خاصة ما جرى بين ابن سعيد والبهاء زهير. وبعد، أرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت الغاية منها، وقدمت تصوراً واضحاً عن أوضاع الشعراء المرتحلين، ومحاور شعرهم، وأسهمت في إضاءة جوانب من هذا الشعر الذي غاب الكثير منه، وما زال يحتاج إلى دراسات تكشف عنه، وتدرس محاوره بصورة تفصيلية معمّقة.

والله ولي التوفيق

مدخل

تستعرض هذه الدراسة بعض رحلات الأندلسيين إلى المشرق، لأهمية ما حملته عن المشرق وظروفه الطبيعية والدينية والاجتماعية والعلمية التي نقلت للأندلسيين سماعاً أو قراءة، وشكلت هذه الظروف عامل جذب، واستعداداً نفسياً للارتحال إلى المشرق، بعد أن استقرت صورته في أذهانهم.

ليس غريباً أن يرنو الأندلسيون بأبصارهم إلى المشرق أرض المنشأ، فالجند الشاميون ظلت قلوبهم متعلقة بالمشرق وبلاد الشام خاصة حتى إن مدن الأندلس حمل بعضها أسماء بلدان المشرق مثل إشبيلية التي سميت حمص، والبيرة التي سميت دمشق.

كانت فريضة الحج من أعظم البواعث على سفر الكثيرين من الأندلسيين في كل عام للحجاز، وبعد زيارة الحرمين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة كالمسجد الأقصى في القدس، وقبر إبراهيم الخليل، ثم يعرجون على دمشق ومدن أخرى، وفي رجوعهم يقفون بمصر، ثم يتوجهون للفسطاط حيث جامع عمرو بن العاص، وبعدها يقطعون مفازة من برقة إلى طرابلس، ثم إلى تونس فالمغرب.

وكان بعضهم يرتحل إلى المشرق، بقصد الاستطلاع واكتشاف المجهول.

وكثر المرتحلون لتلقي العلم، إذ كان المشرق مركز إشعاع علمي، كما كانت بعض رحلاتهم تجارية أو سفارية.

تتبع الدراسة بعض هذه الرحلات الأندلسية إلى المشرق، مبرزة ما ورد فيها عن مصر والشام خاصة، من معلومات جغرافية طبيعية، أو وصف للأماكن الدينية والحلقات

العلمية، وأحوال الأندلسيين فيها، وأوضاعهم لعمدة، لأمر نبي ساعد على نروح أهل
الأندلس إلى الشرق

عن أشهر المرتحين من الأندلسيين في أواخر بقرون خمس الهجري، أبو بكر محمد
ابن عبد الله بن أحمد بن عربي المعافري قاضي إشبيلية (ت 543 هـ)، وكان قد خرج في
سنة مسكرة بصحبة والده من إشبيلية سنة (485 هـ) قصد شمال إفريقيا معرّحاً على بونة
وتونس وسوسة إلى المدن الفسطينية، وقد سجل أحداث رحلته لعمية لاجتماعية في
كتابين، الأول: ترتيب الرحلة للترغيب في الدنيا، والثاني: لآل على هذا الكتاب، وقد
وردت منه نقول في خطبة شوهة لجلسة التي نقبها د. حسين مؤنس من مخطوط صورته د.
محمد علي مكّي من مكتبة القرويين في فاس، يقول بن عربي عن الخطبة، وصفها حظه
من فوائد عمية في شرق: «لما سق خيراً القضاء برحلتني إلى تلك المشهد الكريمة،
وحلولي في تلك المقامات العظيمة، دحتها والعمر في عنفوانه، ولغصن مائس بأفنده...
فجئت من كل شجر زهره، ووعيت من كل صنّف دُرره، وكشفت عن كل خفاء غوره،
وفتقرت من كل فن فقره، حسبت فسرته وأوضحته، وشرحت وبيّنته، وقررت ونزلته في
كتب ترتيب الرحلة للترغيب في الدنيا، وذكرت فيه بقا، لأعيان الدنيا، وبسر الفضلاء
معاً، وحظهم لجانب بنظر التعظيم، ومقربيتهم ورود بالتحجيل والتكريم، وسعدتهم
جُملاً من صرائفهم، وثمناً من فوئدهم»⁽¹⁾.

أما كتابه الآخر، فهو «قانون التأويل» الذي عثر عليه د. إحسان عباس ضمن
مخطوطة بمكتبة الأخ سديم آسكدر، تحت رقم 498، ونشره في مجلة «بحر» التي
تصدرها جامعة أمريكية في بيروت حيث زار ابن عربي في رحلته كثيراً من المدن
الشرقية، مصوراً بعض المشاهد من حياة العامة، ذكراً من لقيهم من العلماء من محدثين
وفقهاء ومتكلمين في مصر. ثم يذكر توجهه إلى الشام، ودخوله بيت المقدس والتقاءه
بجمعة من العلماء واصف بحاسهم ومظهرتهم، التي تعكس حركة عمية نشطة في بيت

(1) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد دراسات إسلامية، مدريد،
1967، ص 406-407.

مقدس⁽¹⁾ وقد طالت إقامته في بيت المقدس، يقضي وقته مصيَّباً بين باب الأخضر وباب حطة⁽²⁾، أو نخلو لندرس في جنب من الصحرة التي تسمى المندة بطور رستا⁽³⁾، وقد وصف أهل القدس بقية فضول، مقارن إياهم بأهل بلده في وصفه محراب داود بقونه شهدت محراب داود ~~في~~ في بيت المقدس، بناءً عظيم من حجارة صلبة لا تؤثر فيها معدول... ورأيت فيه غريبة للدهر، وذلك أن ثراً أثر به على واليه ومنتع فيه بالقوت، فحصره وحول قته بالنشاب مدة، وابعد على صغره مسمراً على حله، ما أغلقت هذه الفتنة سوقاً، ولا سر لها من لعمدة بشر، ولا مرز للحل من مسجد الأقصى مُعْتَكِف، ولا نقصت منظره ولا تطل تدريس، وإنه كانت العسكرية قد تفرقت فرقتين يقتتلون، وليس عند سائر لاس لندك حركة. ولو كان بعض هذا في بلادنا، لاضربت نار الحرب في السعيد ولقريب، ولانقطعت المعاش وغنقت الدكاكين، وبطل التعامل، لكثرة فضولنا وقلة فضوهم⁽⁴⁾.

وقد زرت من لعربي كثير من مدن فلسطين وقرها، ونقل بعض صور حياة العامة فيها، مثل نابس التي أقام فيها أشهراً ووصف حال نساها، حيث قال: «ولقد دخلت نيفاً على ألف قرية من بريّة، في رأيت أصور عيلاً ولا أعف نساء من نساء نابس التي رمي فيها اخليل ~~بن~~ بندر، فإني قمت فيها أشهراً، في رأيت امرأة في ضريق نهر، إلا يوم الجمعة، فانهن كن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن،... وسائر القرى ترى نساها متبرجت بزينة...»⁽⁵⁾.

(1) حسن عيس رحمة ابن العربي إلى الشرق كم صورها «القبول التأويل»، مجلة الأبحاث، تصدرها الجمعية الأمريكية، بيروت 1968، السنة 21، لأعداد (2-4)، انظر ص 85-89.

(2) أبو بكر بن العربي أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجوي، دار إحياء التراث، القاهرة، 1957 م، 3/ 129.

(3) أحكام نقرن، 2/ 524.

(4) أحكام لقرن، 3/ 1586.

(5) مصدر سبق، ص 1523.

ومن مؤرخين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي (493-564هـ) الذي طاف الأندلس وشمال إفريقيا، ثم رحل لتأدية الحج إلى بيت الله الحرام، فزار مصر وحجر، مدوناً مشاهداته في رحلته الموسومة بـ «نزهة المشتاق في اختراق الأفق» مستعيناً بما أفاده من رحلاته الخاصة، وبما قيده من أحداث الرحلة والتجارب وحجج، مصوراً لعلاقات بين بلاد المشرق والأندلس لاسيما مصر ولشمال⁽¹⁾.

ويرتحل بسام بن التميمي (569هـ) في النصف الثاني من القرن السادس الهجري إلى شرق الإسلام، بدفع الإطلاع الشخصي، مورداً معلومات عن اليهود ووصفاً أحوالهم في كل مدينة زارها، ومتنقلاً بين المدن العامرة، والقرى المزاهرة في سوريا ولبنان، ولا يفوته ريدرة أضرحة لصحة ولأتقياء ومقامات الصالحين وينقل بعض القصص ولروايات التي سمعها من بحار العرب⁽²⁾.

ومن أبرز رحلات في أواخر القرن السادس وأوائل السبع الهجري رحلة بن جبير البنياني لغرناطة (ت 614هـ) الذي ارتحل إلى المشرق ثلاثاً، وحج في كل وحدة منها، حيث ترك غرناطة سنة 578هـ، ثم عاد إلى وطنه سنة 581هـ، وقد نقل ما شاهده في هذه الرحلة من عجائب البلاد، وغرائب المشاهدات، وما شاع أخيراً ففتح بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، قوي انعم عنده في الارتحال ثانية سنة 585هـ، ثم عاد سنة 587هـ، منقطعاً للحديث والتصوف، ثم رحل ثالثة سنة 614هـ، فوصل مكة وانتقل إلى مصر والإسكندرية، وتوفي في العام نفسه⁽³⁾.

وتحتوي هذه رحلة معلومات اقتصادية وبشرية وطبيعية واجتماعية، وتعطي صورة عن مغاربة في بلاد الشام، خاصة عن أوضاعهم العامة، كما عرض للحديث عن معاملة

(1) نظر صفة مصر وأرضي السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق، مطبعة برون-سبون 1968، الصفحات 14، 22، 37، 50، 136، 164، 197.

(2) نظر 'رحلة بسام التميمي، قام به عمر حداد، بغداد 1945، مقدمة لمحقق.

(3) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأوسي مر كشي دليل لتكملة لكتبي موصوف والصفة، تحقيق د. حسام عدس، دار الثقافة، بيروت 1965، ج 5/ق 2، 605-606.

حجاجهم، رافعاً قصيدة بن صلاح الدين بهذا الشأن، ونسدى قيمة هذه الرحلة في أن معوماتها دوت بأمانة، بعد مشهدة صاحبها كن من وصفه، كما تتجى فئدتها في أنها تُعرف الطريق لبحري لذي يسلكه الاندلسيون إلى مَشرق، وقد وصفه ابن حبير بدقة، معرفاً بلونى مهمة لني أدت دوراً كبيراً في الاتصال بين المشرق والمغرب¹.

ومن أهم رحلات لقرون لسابع لبحري، رحلة بن سعيد المغربي، لذي غدر الأندلس وهو في التاسعة والعشرين، ووصل الإسكندرية سنة 638هـ، وتنقل بين المغرب وتونس ومصر وشم، وقد رأى في تجوله في تلك لأقلية لاسلامية، كثيراً من لعدت التي لم يأنفها في الأندلس، ولم يقف عن تلك لعدت في لمجتمع المشرقي، بل سحر مشاهدته وورن بيها وبين لمجتمع الأندلسي، فلفسط في القرن السابع لبحري كما راها كنت مُعبرة لأفاق، غير مستقيمة الشوارع، بيوتها مبنية بالطوب، ضيقة لاسوق، ولناس يلتهمون لنعدم في الطرقات غير محتشمين، وقد نقل ابن سعيد صوراً من حية في حياء القاهرة والفسطاط، واصفاً لولائه ومجالس اللهو والمطرب، ترك نفسه على سجيته، لا تفوته اللمحت لذكية عند بعض لمشاهد².

وتكمن قيمة هذه لإشارات لسريعة لرحلات الأندلسية، في أنها تدل على دور لرحلات في نقل جونب مضيئة مفصلة، تتصف بالدقة ولأمانة عن بلدان المشرق، ولخاصة أن بعض الاندلسيين ارتحلوا غير مرة، مما أتاح لهم أن يسجلوا انطباعاتهم، ويصفوا مشاهدتهم وينقلوها إلى لاس بصورة حية.

وكثرت كذلك رحلات لعلماء والمحدثين ولأطباء على المشرق، بصورة يصعب حصرها، فقد كانوا أمثلة واقعية تؤكد استمرار رية الاتصال بين المشرق والمغرب.

(1) صر رحلة ابن حبير، در صدر ودر بيروت، بيروت 1959، 13، 14، 30، 46، 54، 256، 280، 258

(2) بن سعيد المغربي المغرب في حلى المغرب، انقسم حص مصر، قدم له ركي حسن وأخرون، مصبعة فؤد الأول، مصر 1953، انظر ص 4-12

الْقِصَّةُ الْاَوَّلَى

الأوضاع العامة في الأندلس ومصر والشام

توطئة

يدرس هذا الفصل الأوضاع العامة في الأندلس وفي مصر والشام، وما يتعلق بهما من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وطبيعية وعلمية، حيث تتضح من خلال دراسة تلك الظروف العوامل غير المباشرة التي أدت إلى الارتحال من الأندلس، والاتجاه إلى مصر والشام. ولعل عدم تحديد الدراسة لتلك الظروف بصورة عوامل محددة واضحة للارتحال إلى مصر والشام، يرجع إلى عدم توافر أخبار شاملة عن أسباب الارتحال لمعظم الشعراء بصورة خاصة لكل منهم. وإن كانت وردت بعض أسباب الارتحال للقليل منهم بصورة خاصة، لا تكفي لجعلها عامة لمعظم الشعراء، وربما كانت عمومية الأسباب أغنت عن ذكر خصوصيتها لكل شاعر من الشعراء، ولا تستطيع الدراسة أن تجعل مثل هذا الافتراض قاعدة تبني عليه نتائج قد تكون غير دقيقة.

الأوضاع العامة في الأندلس

ويقصد بها الظروف والتبدلات في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأحوال التي كانت تمر بها الأندلس في القرن السابع الهجري، بسبب الفتن وسقوط المدن، وتأثيراتها في أوضاع المسلمين وتشكيلها عوامل سلبية لهم.

١ الظروف السياسية

صعف أمر موحدين، وكثرت الفتن ولثورت الدخية، وقد بذل موحدون م سطرعوا، لكنهم كمو أصحاب امر طورية وسعة، تمتد حدوده من طر بلس شرقاً إلى مشرف محيط لاصبي عرب، وكان من المستحيل أن يستمر و يحاربوا في جهات ممتدة، ولعل الجهة الأندلسية كانت أضعف جهتهم، وشدها خضر، لكثرة حروب و لفتن متوالية في الأندلس، وقد تماسكت هذه الجهة بعد توضيحات كثيرة^(١)، تدعت أيام محمد النصر بن منصور يعقوب بن يوسف عبد المؤمن (595 610 هـ) في موقعة لعقاب لتي وقعت سنة 609 هـ^٢، وكانت هزيمة المسلمين في هذه موقعة نذير انحلال الجهة المدفعية لموحدية، ونذير ميار الأندلس ذهاب، وقد عجّل بهذا لانهير ما اضطربت به لأندلس من ثورت جديدة، بددت قواها في حروب أهلية، ومنفست على الزعامة، كان لها اثارها السيئة في تفكك وحدة لأندلس وسقوط قوا عده الواحدة تلو الأخرى⁽³⁾ كما سنرى.

تولى الحكم بعد وفاة النصر بن المستنصر يوسف (611 620 هـ) فأدخل وهذا حديداً على الدولة سبب نهكه في مذبته^٤، وتولى بعده عمه المستضيء عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، ولم يكن أقل منه انشعاعاً بالتسعم، ثم خلع وقتل، وملث بعده ابن أخيه عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالعدل، الذي ستأثر بخلافه عنرة، ولد انتهى إلى أبي لعلاء إدريس صاحب الأندلس، وكان يتولى قرطبة خبر أخيه

(١) اس لأر أبو عبد الله محمد بن عبدالله القصدي، احنة السير ٤، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة نعرية نطبعة، القاهرة، ط ١، 1963، 1، 21 من مقدمة

(2) لعقب Navas de Tolosa، بالأندلس بين حيد وقعة راج، كانت في هذا موقع وقعة عظيمة بحث عن هزيمة المسلمين سنة 609 هـ عبد المنعم احميري: بروض المعطر في حبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عدس، دار مكتب اسدي، بيروت، ط 2، 1984، ص 416.

(3) محمد عبد الله عبد عصر امر نصين و موحدين في مغرب والأندلس، مصبعة خة اتأليف، القاهرة، ط 1، 1964، 2، 591

(4) أبو الفداء، عمدة السنين، المختصر في حار لبشر، المكتبة حسينية، القاهرة 1325 هـ، 1907 م، 3، 133

تعديل وما في خلافته من لاضطراب، دعا لنفسه بشيئية فبوع بها، وأجبه أكثر أهل
لأندلس وتلقب بالمأمون سنة (624هـ) ⁽¹⁾.

لم يوفق المأمون إلى حكم أقل اضطراباً من حكم أخيه، فقد كان يحكم بيد من
حديد، وحول تحطيم نظامي الخمسين والسبعين لذين نشأهم أمراء الموحدين وفقاً
لتعليم المهدي، وجعدهم هيئتين ستشاريتين فقط، وقد أدت هذه السياسة لصارمة في
لمغرب، إلى خروج الأندلس من قبضة الموحدين ⁽²⁾، وقيام الثورات و حروب لأهله،
حتى أدى نظامان بصلان حكومة المأمون، وتولية في زكريا يحيى ابن لخليفة اسبق
محمد اسصر، وهو صبي في الرابعة عشرة من عمره، وأرسلوه إلى لأندلس لمحاربة
المأمون وسقاصه، فهزمه المأمون في معركة شديدة شبت بينهم ⁽³⁾، قرب شدوة ⁽⁴⁾ و تهر
لنصري فرصة احرب لأهله بين المسلمين لقديم بغزوات عديدة، وعبروا الحدود
لإسلامية، فتحول المأمون إلى محاربتهم و سترجع بعض الحصون ⁽⁵⁾.

وقد بتليت الأندلس في أثناء تولية الحكام الضعاف من الموحدين بالثورات
و حروب والفتن الداخلية، فقد قام عبدالله بياضي سنة 623هـ بالأندلس، وكان التعديل
قد ولأه قرطبة، فخرج دعوة لعدو، وخرج عن طاعة الموحدين مسعيناً بالنصاري
عليهم، ودلهم على عورات لبلاد، فتمكنوا الأموال، وحاصر إشبيلية، وقتله أبو العلاء
إدريس المأمون وهزمه ⁽⁶⁾ بعد أن استمرت ثورته ثلاثة أعوام، تنشر الاضطراب والدمار

(1) ساصري، أبو نعلس أحمد بن خالد، لاستقص لأخبار دور المغرب لأقصى، تحقيق جعفر
ساسري، ومحمد النصري، مطبعة در مكتب، اندرانيساء، 1954، 207/2، 208.

(2) عي بن أبي رزع نفاي لأنيس المطرب مروص لقرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فس، در لمصور للطبعة، لربط 1972، ص 253-254.

(3) محمد عدده عدن عصر لمربصين والموحدين، 106/2.

(4) شؤوة (Sidona)، كورة حبيلة القدر، متصلة بكورة مورور، حأ إليها أهل لأندلس سنة 136هـ،
جامعة لخيرات كثيرة، اروض المعطر، ص 339.

(5) عنان عصر لمربصين والموحدين، 106، 2.

(6) بن عذري لمركشي ليبس لمغرب في أحدر ملوك لأندلس ومغرب، عني بنشره مروي
هوسي مرادة مساهمة مع محمد بن تويت، در كريدس لبطعة، تصون، لمغرب 960،
ق 3، ص 250.

في أو سبط الأندلس. وقصد لنصارى فتطاع "لقو عد و الحصون شرقي قرطبة، بما أضعف
 حصون لدفع عنها، ومهد لسقوطها¹. وقدم أبو جهيم زين بن مردنيش ببلنسية واستقل
 بحكمها. بعد أن طرد الموحدين منها، وبينما انحسرت حركة زين ببلنسية، وإذا بدعوة
 محمد بن يوسف بن هود الجذمي سنة (625هـ) تحتح مرسية و"لمرية"² وغرناطة
 ومالقة³ وبطليوس⁴. وعن نفسه أميراً على مرسية، وخصب ليعبسين، ودنت له
 جين⁵ وقرطبة، ثم فقد الموحدون غرناطة، فثارت بلاد الأندلس على المؤمنين، ثم
 انقدت له، وخرحت بذلك عن ملك الموحدين عدا إشبيلية وجزيرة الخضراء⁶ على أن
 جهود بن هود تلك، اصطدمت بمضامع لإسبن من ناحية، ومضامع الرؤساء الأندلسيين
 من ناحية أخرى⁷. وانتهى الأمر باعتياله في مرسية سنة 635هـ⁸.

() عن عصر المرابطين والموحدين، 2، 36.

(2) ألمرية (Almería) مدينة أمر ببنائها أمير المؤمنين ناصر الدين سنة 344هـ، وكانت في لقرن
 سابع أشهر مراعي لأندلس وأعمرها، ود ملكها روم عيرو محاسنها وسبو أهلها، وحربو
 ديارها، اروض المعطار، ص 538

(3) مالقة (Málaga) مدينة عامرة من أعمال لرية، سورها على شاطئ البحر بين حرره حصراء وألمرية
 محصن منها تين لندي شتهرت بمصر وشم. عند مؤمن بن عبد حق النعدي صفني لندي.
 مراريد لأطلاع على أسماء لأمكنة ولنفذ، تحفيق وتعيق، عي محمد النحاوي، در لخن،
 بروت. 3، 1221 بروض معطار، ص 517-518

(4) بطليوس (Badajoz) من أقدم ماردة، بها عبد الرحمن بن مروان، مدينة جليلة في سبط من
 لأرضها رخص كبير في شرقها. باقوت بن عدسه لخموي معجم السدان، در صادر بروت،
 1، 442، اروض المعطار، 93.

(5) حاب (Jean) مدينة كثيرة خصب، شتهرت بالبحر والشمس، وعلات قمح و شعير، قرية
 من بلسه، كثر فيها عيون و بسبع بروض معطار، ص 183

(6) جزيرة حصراء (Algeiras) مدينة حصينة رفيعة، كست بها در صاعدة اسفر. جامعة لقو ند
 بر ونجر، لأها وسط لبحر، وأقرب مد لندلس بن لعدوة. لروض معطار، 223
 355-356

(7) لسيب عبد لعزيز سلم، وأحمد مختار عهدي، تاريخ سحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط،
 مؤسسة شمس خامة، لإسكندرية 1993، 2، 285.

(8) لروض المعطار، ص 355-356.

وقد قدم في أزجونه⁽¹⁾ محمد بن لأمر سنة (629هـ) بعد صراعات شديدة بينه وبين بن هود، و ستصع دحول غرنطة⁽²⁾، ويقع هزانم بن هود، كن آخرها سنة (633هـ)⁽³⁾، كم استطع أن يضم الى سلطنه مدائن عدة هي: ودي أش⁴ وباحة⁽⁵⁾ وجيان

وقد أدى ستمر لأحدق والمنفست بين لأمرء الثلاثة (ابن زيان، وابن هود، وابن لأمر)، إلى كثرة الاضطراب في كرنحية، واختلال لأمن، وسادت فرقة وتفقم خطرهما⁽⁶⁾، وبدت لأندلس كمن مرسية إلى شبيبية مكشوفة أمام أعداء يترصون بها، ومنتظرون فرصة لتقدم والاستيلاء على البلاد، وقد سار لتقدم النصراني بتداء من العقد لثالث من قرن تساع لهجري بتيرت ثلاثة: لأول وجهته غرب الأندلس وتولاه أمراء الأبرتعد، ولثاني وجهته حوض لو دي لكبير⁽⁷⁾ وتولاه ملوك قشتالة، ولثالث وجهته شرق الأندلس وتولاه ملوك أرغون، وكنت هذه الجهات تقف صفاء قوي أمم مسمين، بالإضافة إلى تغير ملوكها بالقدره لسياسية، والتصميم على حرب لمسمين⁽⁸⁾ فعلى سبيل المثال، كان توحيد يون وقشتالة عام 1230م مجدياً زمن لمث فرديند

(1) أرحونة (Ar ona) بد من رحية جيان، معجم لندن، ص 144

(2) علي بن روع يسمي ندره نسبة في لدونة مربية، در منصور لطباعة، ربط 1972، ص 27

(3) سان ندير بن الحصيت تاريخ إسبانيا الإسلامية، (عمل لأعلام)، تحقيق ليفي بروفنسر، در مكشوف، بيروت، ط 2، 1956، 2، 9، 2

(4) ودي ش (Guadix)، مدينة بالأندلس قريبة من عربطة، كيرة خطيرة وتشتهر بكثرة ثنوت ولأعدب ونشر، يحط بهرها من حن شلبر، لروص لمعصر، ص 604

(5) باحة (Bea) من أقدم مدائن لأندلس، وقدمها بنبا وحتطاط، وهي من انكور لمجده التي رها حدمصر، بروض لمعطار، ص 25

(6) صبر ناش، الأندلس لذهمة، تعريب عبد الرحمن أرشيدت، رجعه د صلاح ارشيدات، ورة انثقفة، عم لأردن، 1989، 8، 3، 8

(7) حوض لو دي لكبير (Rio Guadalquivir) لو دي لكبير من لأندلس بصاء، بهر قرطبة، بهر قرصه لأعضه، بهر لكبير بروض لمعطار، 121، 284، 349، 383، 447، 458

(8) اخلة لسيه، لمقدمه ص 20

(1217-1252م) لأنه استطاع ستمار هذه الوحدة في حصص الكثير من الانتصارات على المسلمين، ولولا فاته، ما بقيت غرناطة في أيدي المسلمين مدة أطول⁽¹⁾، ولم يأت لصف الثاني من القرن السابع الهجري حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى قد سقطت كلها في يد لإسبان، ولم يبق سوى بضعة ولايات صغيرة في طرف إسبانيا جنوبي⁽²⁾، فقد ستولوا على تطيطة⁽³⁾ سنة (612هـ)، وعلى لوشة⁽⁴⁾ (622هـ) وماردة⁽⁵⁾ (626هـ)، وسقطت جزيرة ميورقة⁽⁶⁾ (627هـ) وأبدة⁽⁷⁾ (631هـ) ثم انتهت قرطبة (633هـ)، وبيسة⁽⁸⁾، وإستجة⁽⁹⁾ وأندور⁽¹⁰⁾ (634)، وبنسية (636هـ). وشاصبة⁽¹¹⁾

- (1) Atkinson, William, C. A history of Spain and Portugal, Harmand sworth, Penguin books, Reprinted, 1967, p 79
- (2) محمد عبده عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (دولة لإسلام عصر الرابع)، مطبعة مصر، ط2، 1958، ص16
- (3) تطيطة (Fuecia)، مدينة تقع في قرطبة، من أكرم شعور، يوجد فيه ازرعة، خصص تربتها، مرصد الاطلاع، 264/1، لروض معصود، ص133
- (4) لوشة (Loya) من أقدم البيرة، على نهر غرناطة، معجم بلدان، 265، لروض المعطار، ص513
- (5) ماردة (Merida) مدينة بحوفي قرطبة، منحرفة إلى مغرب قليلاً، من أعمال غرناطة، وهي مدينة كثيرة لرخاء عابدة النيان تقصد نفرجة واستعجب، معجم لبدان، 38، 5، لروض المعطار، ص518
- (6) ميورقة (Malorca)، جزيرة في شرقي الأندلس تقع بالقرب من جزيرة يقرها ميورقة، وشرقيها تقع جزيرة مدالية، معجم لبدان، 246، 5، لروض المعطار، ص567
- (7) أبدة (Abeda)، مدينة من كورة جيب، على مقربة من انهر الكبير فيها مزرع وغللال، وقمح وشعير، مال عبيد حمود انصارية في موقعة اعقاب 609هـ، وقيلو الكثير من أهلها، معجم لبدان، 64، 1، لروض معصود، ص6
- (8) بيسة (Baya)، مدينة كبيرة من مدن الأندلس، معدودة في كورة حيان، تصل على النهر الكبير للمحدر في قرطبة مستغللات لزعمران به كبيرة معجم لبدان، 518، 1، لروض المعطار، ص121
- (9) إستجة (Ecija) كورة الأندلس متصلة بأعمال رية، بين القلعة والمغرب من قرطبة على نهر غرناطة، معجم لبدان، 174، 1، لروض المعصود، ص53
- (10) أندور (Amodovar) حصن مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة، معجم لبدان، 77، 5
- (11) شاصبة (Jativa)، مدينة تقع في الأندلس، وشرقي قرطبة، قرية من جزيرة شقر، كريمة البقعة كثيرة الثمر، معجم لبدان، 309، 3، لروض المعطار، ص337

ودنية^١ (638هـ)، ولقت⁽²⁾ وأوريون^٣ وقرطاجة⁽⁴⁾ (640هـ)، ومرسية (641هـ) وحين 644هـ ثم إشبيلية (646هـ)، و جتحت غرب الأندلس في الوقت نفسه، موجة مائة مغزو لنصراي، فسقطت بطليوس، وشتمرية لغرب^٥ سنة (647هـ) وولة (وُلّة)^٦ (655هـ) وشنب⁽⁷⁾ وطلبيرة⁽⁸⁾ (659هـ) ثم سقطت قدس (660هـ)، وستها شريش^٩ (662هـ)، وهكذا...

ولما تقدم عدوان القشتاليين وضغفهم، لم ير ابن لأحر مناصاً من أن يخطو خطوة جديدة في مهدة منق قشتالة، فتنازل له في أواخر سنة (665هـ)، عن عدد كبير من البلاد والحصون، منها شريش، وقيل إن ما تنازل عنه بلغ أكثر من مائة موضع، معظمها

- (١) دنية (Denia) مدينة من أعمال بسببة على صفة نجر شرق لأندلس، كثيرة التين ولعناب وللور، معجم سلد، 434/2 اروض معطر، ص 23-232
- (2) لقت (Alicante) بلدة قرية من دنية، لها قصبة مسعة جداً، كثيرة التين ولأعدب، اروض المعطر، ص 1
- (3) وريوة (Orhuela) حصن بالأندلس من كور تدمير، تنص سساتنها سسابر مرسية، وتقدر هذه مدينة قدمها فهي قاعدة معجم وموضع ممكنتهم، معجم اسدن، 1 280 اروض معطر، ص 67
- (4) قرطاجة (Caragena) مدينة قرية من شلى من أعمال تدمير، قديمة لها ميناء ترسي فيه مركب، تمتاز بالحصونة وعدونة ماء، معجم اسدن، 3 23، اروض معطر، ص 46.
- (٥) شتمرية لغرب (Santa Marade de Algarve) مدينة تعد من ثقل حصون في الأندلس، كثيرة لأعدب ولتين، تكثر فيها المركب واردة وصادره، معجم سلد، 3 367 اروض معطر، ص 4
- (6) وُلّة، أوّلة (Huelva)، من مدن جبل نعيون بالأندلس، وهي مدينة متمتعة بين جبال صيقة قديمة فيها ثار الاون، وهي بيرة بحرية اروض معطر، ص 63
- (٧) شنب (Silves) مدينة تقع قبي مدينة راحة، غرب لأندلس، اشتهرت بأشجار التفتح، سكان قرها عرب من ايمن معجم سلد، 3 357 اروض معطر، ص 342
- (8) صيرة (alavera)، مدينة من أعمال طليصنة، كبيرة قديمة لساء، كت حاحز بين نسامين واعرج، إلى أن ستولى العرّج عليها معجم سلد، 4 37، اروض معطر، ص 395
- (9) شريش (Ieror) مدينة كبيرة من كور شدونة، على مقربة من نجر، يوجد زرعها، تصوف بها لكروم وشجر الزيتون وتين، معجم اسدن، 3 340 اروض معطر، ص 340

عرب لاندلس^١ ولم يتوَّ يد لعرب المسمين سوى غرناطة وضوحيها، يحكمها بنو الأحمر

ولم يقتصر الأمر على لاحتلال و لاستيلاء على المدن، بل ترتب عليه إجراءات قسية، فحينئذ دخل لأدُفنش ميورقة بعد معارضة شديدة من أهلها سنة (627هـ) جرى القتل في لشورع والميادين، وقتل لكثير من أهلها وطرودوا، واغتصبت أراضيها بصريق لإقطاع، و انتهى الأمر بحضوعها^٢.

وحينئذ ستوى لإسبىن على أُنْدَة (631هـ) قتموا وسبو أهلها و سلبوا أموالها^٣، وتلاه الاستيلاء على قرطبة (633هـ) واقتحامها، في الوقت الذي كان فيه ابن هود يعسكر قوته غير بعيد عنها، ولم يتقدم ليجدها، ولم يحول استدعاء ابن الأحمر لمعاونته، لأنشغله بخلافاتهم وتنافسهم على لسلطان، في الوقت الذي صمدت فيه قرصبة ستة أشهر، و سلب أهلها في اندفاع عنها^٤ وكان هذا الوقت كافياً لوصول قوات أحدهم، لكنهم قدماء هدية سائغة للأعداء^٥، فحل اليأس لدى أهلها مكل لقوة و لبسنة وأخذ نصارى يشددون في حصارها^٦، حتى نصبت مواردها ومكوهها^٧، وقد جعلها لفرنج حصناً، لعدم كانت جنة زهرة، وروضة نضرة، فأهملوا ترعها وخبجانبها فأصحت مروجها خالية، لا يقطنها أحد^٨.

(1) محمد عبدالله عدو: دولة الإسلام، العصر الرابع، ص 4-42

(2) شُسخ، تاريخ لأندلس في عصر المرطين و موحدين، ص 419 لأندلس الذهبية، 1/3

(3) عدائو حد المراكشي، تعجب في تلخيص أخبار معرب، صححه وعلق على حوشيه محمد سعيد

لعرب، و محمد اعربى لعلمي، مضبعة لاستقامة، لدهرة، ط 1، 1949، ص 322.

(4) شُسخ، تاريخ لأندلس في عصر المرطين و موحدين، ص 430.

(5) أحمد فكري قرطبة في لعصر الإسلامي تاريخ وحصرة، مؤسسة شيب حمدة لإسكندرية،

ص 51

(6) شُسخ، تاريخ لأندلس، ص 433

(7) اندلس معرب، ق 3، ص 23

(8) محمد سب لشوي، رحمة لأندلس، مضبعة الكشكوب، دهرة، ط 1، 1927، ص 45

وضاعف لنصري جهودهم في تضيق على بنسبة ردها⁽¹⁾، بضربون أسوارها
 وبُرجها بالالات الثقيلة⁽²⁾، وقد طال عليها الحصار واشتدت وصاته وبلغ بأهلها لإعياء
 مبعداً، حتى اضطروا إلى تسليمها سنة (636هـ)⁽³⁾ ولم يلتزم الفرنج بما تعهدوا به في
 معاهدة التسليم، بعدة التعرض لمسلمين، إذ يروي أحد مؤرخيهم معترف بهذه حقيقة
 فيقول: «لما بيعت على لأسف لشديد ونعجب أن تقرر هذه الحقيقة من أن لإسبب
 قليلو نعهد ولذمم، غدرون لا يرحمون للضعيف، ولا يعيشون إلا جيء، وأنهم مجردون
 من كل مثل إنسانية، وندت فيهم لم يلتزموا بالوفاء بما تعهدوا به في معاهدة تسليم بنسبة
 حسب تعودوا عليه، فحلاً بقضوا كل ما فيها من لعهود، وبدؤوا يعملون لضعفاء بأشد
 ضروب لانتقام، ونهمكو بسفك دماء»⁽⁴⁾.

ب الظروف الاقتصادية

لا بد من عرض سريع لأحوال الأندلس الاقتصادية المزدهرة التي سبقت نردّي
 لأوضاع فيها، لتبين أثر حروب والغتن على الأوضاع الاقتصادية.
 فقد تميزت حياة الاقتصادية في لأندلس بالثراء والازدهار، في فترة ممتدة سبقت
 لاضطربات والنقوضي وانعدام لأمن التي سببها سقوط المدن لأندلسية المتتابع بعد
 موقعة العصب.

امتازت الأندلس بخصائص طبيعية ومناخية، جعلت منها تنتج معظم أنواع
 لزروع ولثمر، فقد استطاع المسلمون استغلال لأراضي لزراعية، فشقوا الأنهار،
 وحفرو ترع وأجروا خلجان، وسيروا إليها ماء⁽⁵⁾، فقد كانت لمغرب معرفة بأنظمة

(1) 'رر كشي' أبو عبد الله محمد بن رر هيم، تاريخ لدوتين موحدة والخصبة، تحقيق ونعليق محمد
 منصور، مكتبة لعيفة، تونس، ط2، 1966، ص27

(2) 'شيوخ، تاريخ الأندلس، ص424

(3) عند عصر مراصير و موحدين، 2، 449.

(4) لأندلس لدهية، 96

(5) رحة لأندلس، ص149

نرى ومصادره محدقة، سواء كانت من الأمطار، أو النهار أو جدول، وملاءمة كل نوع من المياه، لنوع خاص من لبث، فقد تكون بعض أنواع المياه جيدة لبثت مضرة لأخرى. ولجأوا للحفر لاستخراج المياه خوفاً لعدم كفاية مياه الأمطار والأنهار، مما جعل عندهم معرفة عميقة بميزات لتربة التي تحتوي على مياه عذبة، ومدى صلاحيتها لزراعة أو الرعي^(١).

وقد جاب لإدريسي هذه البلاد، قبيل منتصف القرن السادس هجري، ذكرًا جميع مدن والموسى وقرى، وما تشتهر به من المحاصيل الزراعية، والمنتجات لصناعة والمعدنية، علاوة على نشاطه التجاري مع غيرها من البلدان، فقد اشتهرت مدينة تننمية لغرب لأعصاب ولتين، وتميزت شرب بنوع متميز من التين وعرفت إشيية بزراعة شجر زيتون^(٢)، الذي قامت عليه تجارة الزيت، كما انفردت بإنتاج القطن وعسل^(٣)، وكانت تزرع في سسية الفدكة بأصنفها، إذ كانت دورة ازراعة السنوية فيها ثلاثية، كما أنها تنتج أنواع ازروعات المختلفة سنوياً مثل الذرة ولدخن والأرز^(٤) وتنتج أقاليمها أشجار الزيتون ويجود فيها قمح والكث^(٥).

وفي ظليضة بساين وريض وفوكة مختلفة لطعوم والألون^(٦)، أما جيان ومدرت تربتها لدودة القر، وإنتاج عسل^(٧).

Imamuddin, S.M Economic history of spanal Umayyad Asiatic of Pakistan- ()
Dacca, 963, p 75

(١) القدرة لإفريقية وحريرة لأندس، مقتبس من بزهة اشتق، تحقيق إسماعيل عربي، ديور
المصوغات جمعية، جزر 1983، ص 264-266.

(٢) بن عاب، محمد بن يوسف، قطعة من فرحة لفس، نشرت في مجلة معهد محطوطات، لقاهرة
19٥٩، مجلد الأول، 292، 293.

(٣) رحب لأندس، ص 149.

(٤) قطعة من فرحة لأندس، ص 28٥.

(٥) قدرة لإفريقية ولأندس، ص 27٤ بن وردى، شرح لسين أبو حفص عمر بن وردى،
حريرة عجائب وفريدة لغرب، مطبعة بابن حبيب، مصر، ص 2، 1939، ص 27.

(٦) القدرة لإفريقية ولأندس، ص 96.

و منذرت مناطق عرناصة بلغنى و خُصومة، حيث كانت تزرع فيها أشجار لبوز و عنب تسقيها جداول كثيرة، تنحدر من جبال عرناصة المرتفعة، وقد ازدادت زرعها و نظورت حينا ردد عدد لسكن نوافدين من مناطق الأخرى بسبب الهجرت^{١١}

وقد عرفت بعض المدن باستخراج المعادن الثمينة كلياقيات الأحمر في بعض مناطق صائقة^{١٢}، و لمؤن ساجية برشونة^{١٣}، و مرخان لندي يستخرج من بحر لأندلس^{١٤}، كم تكثر في مدن لأندلس معدن لقصدير، والكحل والرصدص والنحاس والحديد و نكبريت الأحمر والأصفر^{١٥}، و نزلق في قرطبة^{١٦}، والذهب وفضة في ليبرة^{١٧} و مرسية^{١٨}

وقد كانت توفر مواد الخام الرزعية و المعدنية من العوامل التي ساعدت على زدهار الصناعة، ولقطن و الكتان وحرير متوافرة بسبب لثة خصبة، وكذلك وجود ثروة خيوية التي لا توفر النحر و حبيب فقط، بل و لصوص الضروري لصناعة لنسيج و ملابس، كم أن معدن متوفرة و متنوعة بالإضافة إلى جهود العاملين، وتنوع المهارت.

-
- Bertrand Louis The history of Spain, Printed in Eyre & Spottiswoode, London (1)
first publisher, 1934, p. 3
- (2) أبو عبيد بكرى جعرافة لأندلس وأوروبا من كتاب المسك و المنك، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار لإرشاد، بيروت، ط ١، ١٩٦٨، ص ١٢٦
- (٣) مصدر المسك، ص ٢٩، برشونة (Barcelona) مدينة نروم تقع على لبحر وهي درمك لإفريقية، يكثر بها يهود، نروص نعصر، ص ٨٦ - ٨٧.
- (٤) لكري، جعرة لأندلس وأوروبا، ص ٢٩
- (٥) مصدر سبق، ص ١٢٣ - ١٣٠
- (٦) بقارة لإفريقية لأندلس، ص ١٠٧
- (٧) ليبرة (Liberia)، من كور لأندلس لنى بره، حند دمشق، تقع بين لقبة و شرق من قرصة، كثيرة لأشجار و لأشجار من مدنها عرناصة، معجم لسان، ١ - ٢٤٤ نروص المعطر، ص ٢٨
- (٨) لأصصحي، أبو إسحق يرهيم بن محمد مسالك و المنك، تحقيق محمد عبد معال، مرجعة شفيو عربال، وزارة الثقافة و لإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦١، ص ٣٦

ووجود مهندسين ذوي خبرات علمية، ومعرفة دقيقة باحتياجات كل صناعة. واشتهرت كل بلد من بلدان الأندلس بنوع أو أكثر من أنواع لصناعات^١.

وقد عرفت المربية صناعة النسيج والظفر. وصناعة الثياب من خمر، وكن بصنعها صوف آلات الحديد والحديد والبراس^٢ وشتهرت شاطبة بصناعة الثياب ليض التي تدعى ثياب غلبة لرفقتها. ويدع صنعها^٣. ومتازت شاطبة بصناعة لورق الذي لا يصير به في غيرها^٤. واشتهر ميناء دانية بإنشاء السفن^٥. كما قامت صناعة للأسلحة و'الصناعات الجديدة في قرطبة'^٦.

وقد ازدادت الصناعات عنى ودهراً يوماً بعد يوم، لوفرة مواد الخام بكثرة. وتوسع بهود لمصنعات تتنوع لعنصر السكنية، ولشراء لوسع لذي كنت تعيشه مدن الأندلسية^٧.

وظفر لازدهار لصناعة وتقدمها، فقد شطت الحركة التجارية. فكانت تصدر الأغنام ولحرف والاسك والزيت ولتين ولورق^٨ لمصر وسوريا والهند وكانت للأندلس علاقات بحرية جيدة مع المغرب وشمال إفريقيا وليون^٩ وجنوب فرنسا وإيطاليا. وكانت لسياسة إسقاط المكوس ولقضاء على مغارم السطونية دور بيتن في نشيط حركة التجارية ولحفص الأسعار وظهور فترة من لرخاء الاقتصادي^{١٠}.

(١) Economic history of Spain, p. 78-180, 201.

(2) حرداء عجيب، ص ٤٤.

(3) لقارة لإفريقية والأندلس، ص 282.

(4) حرداء لعجيب، ص ٤٥.

(5) لقارة لإفريقية والأندلس، ص 282.

(6) شح. تاريخ الأندلس، ص 43.

(7) Economic history of Spain, p. 80.

(8) لغارم لإفريقية والأندلس، ص 264، 293، 289.

(9) Economic history of Spain p. 33-337.

(10) حرداء عجيب، ص 52-58.

(1) حسب حرداء: دراسة عامة لمدونة مرطبة، تمتقي لراع لإسباني اتوسي، مدريد

1983، ص 44

ولا شك في أن الاضطراب والفوضى وسقوط المدن والاستيلاء عليها، أدى إلى تعاظم الأزمة الاقتصادية، حيث اشتدت حائل ونهضى الغلاء، وقطعت اسبابه، ووقع نهض^(١). فحينئذ ملك عدو فرقة^(٢) من بلاد شرق الأندلس سنة (٦١٠هـ) حصره حصاراً شديداً، حتى كُلى أهلها أخيراً^(٣). وفي سنة (٦١٧هـ) شتت المجاعة والغلاء ولفحص، وكثرت الفتن في معظم بلاد الأندلس^(٤). ويصف الغشتني بلاد المغرب والأندلس حيناً وردها في ثقلون تسبع هجوي، وقد هبت أهدها من لجوع وامتلات الفتن^(٥).

وحين حصر اعدو أبنة سنة (٦٣١هـ)، شعر أهلها أنه ليس بمقدورهم لدفع عنها، ففطسوا من ألفونسو تسليمها على أن يدفعوا فدية مقدارها مبنون دينار، لقاء السماح لهم بالبقاء في المدينة، وقبل ألفونسو لشرط، وعقب كل من يتخلف عن دفع نصيبه من العرمة بمصادرة جميع أمواله وملاكه، وأُشرد نفس على ألفونسو بضرورة تدمير المدينة، فعمد جند إلى تدميرها وحرق دورها، بعد حلوها من سكان^(٦) واقتسم انصارى أملاك مرجه ودورها منهجورة حينئذ غدره أهلها مغلوبين سنة (٦٣٣هـ)^(٧).

و سندح الأعداء منار بلنسية وأرضيهما الخاصة بعد احتلالها سنة (٦٣٦هـ) فقسموها بين رجاء الدين ولفرسان ولسرون^(٨)، مما أدى إلى تشريد أهلها، واشتد الغلاء والجوع فيها^(٩). وعدت جين من الخرمين والجوع حين حوصرت سنة (٦٤٢هـ).

(١) عبد عصر المرطبي وموحسين، ٢، ٢٦.

(٢) فرقة (Francia) مدينة من غرناطة، وتقع في غرناطة، على ممر الريف معجم بيدا، ١، ٢٢٧.

الروص المعصر، ص ٤٨.

(٣) حرة سنية، ص ٤٩.

(٤) مصدر الأسبق، ص ٢٤.

(٥) نخبة مغرب بلاد المغرب، تحقيق وتعليقات فرن دو دي لاخرجه، مدريد ١٩٧٤، ص ٦٦-٦٧.

(٦) لأندلس الأهنة، ٣، ٥٠.

(٧) أسباح، تاريخ لأندلس، ص ٤٣٣.

(٨) مصدر الأسبق، ص ٢٢٤.

(٩) الروص المعصر، ص ١٠١.

وأُخذت لنصري بمدينة شيبية سنة (645هـ) وحاصروا أهلها برًا وبحرًا تسعة أشهر، فمات بالجوع خنق كثير، وعدمت لأطعمة من القمح والنعش، حتى كس الناس الجلود، وفيت مقدسة¹، وبتصرخ أهلها مغرب يلتمسون الغوث، لكن نفاد الأقوات وشتداد الجوع انتهى بهم إلى نسيب المدينة سنة (646هـ)⁽²⁾.

وسار ابن الأحمر سنة (665هـ) مع خيفة فرندو بجيوشه، وحينما وصلا قعدة شرس، بدأ جند فرندو بالتساف لزروع، وتخريب لضيع⁽³⁾، وكان لمسيحيون يغزون حدود غرناطة عدة مرات في السنة، على الرغم من معاهدات هدنة وإجزية، فيقصعون أشجار لذكهة وينهبون الغلال والموشي والأموال⁽⁴⁾.

ونصر لأهمية ملقة، وما تتمتع به من غنى، فقد حاصره فرندو للاستيلاء عليها، إذ كنت نصر لب الأحمرية فيها مصدرًا لحزينة القسالية⁽⁵⁾.

كم كس نفس في لأندلس عثق في طريق لازدهار الاقتصادي، فقد حق الحزب وهدم بأجزاء كبيرة من بلاد لأندلس، حين فرض أبو حمير ريد بن مرديش على رعيته معدم كثيرة، كي يدفع نفقات جند مزرقة من نصري. يقول ابن الخطيب من خلال حديثه عن بن مرديش: «فصالح صاحب برشلونة لأول مرة على ضريبة، وصالح منك قشانة على أخرى فكان يذل في سنة خمسين ألف مقل، وبتنى بجيشه من نصري مارل معومات، وحنات لخمور، فأجحف برعيته لأوراق من استعدت به منهم، فعصمت في بلاده لمغرم وثقلت⁽⁶⁾» وبالإضافة لذلك، فإن الحروب التي خاضها ابن

(1) لسان العرب، 3: 381-382.

(2) بظر عبد، عصر مرابطين وموحدين، 2: 482-485.

(3) لأندلس مدهة، د: 107.

(4) The history of Spain, p. 40.

(5) The history of Spain p. 40.

(6) لائحة في أحبار عرطة، تحقيق محمد عبدالله عند، مكتبة الحاحي، لقاهرة، ط1، 1974.

مرديش صد مؤحسن ضول ربع قرن من الزمن، قد أخفت الخراب بقتصاد بعض بلاد الأندلس، وأدت إلى كساد التجارة، وندرة محصول الزرعية، والمنتجات الصناعية^(١)

لقد كان هذه الإجراءات قاسية من حصار وتضييق وتخريب لمنشآت، أثره السلبية على الحياة الاقتصادية، فقد قتل الموارد وعمت لأقوات، وانشرت لأوتنة، وعمه الجوع وحرمان، واشتد غلاء الأسعار، في حين ضاعت مصادر النقد من زراعة وصناعة وتجارة^(٢)، نتيجة لتخريب الأراضي ولعث فيها، وهذه المصانع والمدارس، ونتيجة لقصص الأعداء صرف للاتصالات وعزل المدن.

ج الظروف الاجتماعية

ويقصد بها ظروف الاضطراب وانعدام الأمن نتيجة للتدجين والهجرة القسرية، وأثر هذا الاضطراب في نفوس الناس من خلال تصوير ذلك بأقلام شعراء ولاداء

لقد تركت لأحور لسياسية والاقتصادية، أثره البين في حياة الاحتمية، من حيث الاضطراب الذي سببه في نفوس الناس، ولقلق وانعدام الأمن، نتيجة لنشرهم وبُعدهم عن مدتهم، ومعدنتهم لدائمة كل إيه أمرهم، وما لاقوه من تطبيق قوانين ضالمة من بقي منهم في المدن التي ستولى عليها النصارى، وأخذت توجه شبح الغناء والاضطراب، وساد فيها لقلق والفرع على مصيرهم المحتوم.

وقد عومل سكان المدن الأندلسية بطريقتين: فالذي استسلمو وعقدت معهم معاهدة السلم، سموا بمُندَجِنين (مُسَلِّمين في مصدق مسيحية)، وأم البندان التي حاربت صرامة، فقد تم طرد سكانها^(٣). وقد شهد ربع لثاني من القرن السابع الهجر، لثالث عشر ميلادي، هجرة كثير من مسلمين، مما أدى إلى خلو لبلاد من سكانها، وكثير

(١) هشام نورمية علاقه مؤرخين بالمليك لصلارية ولدول لإسلامية، در نفرون، عم، ط١، ٩٨٤، ص ٢٥٦

(٢) عباس، عصر المرصن والموحدين، ٢، ٦٢٢.

(٣) Harvey, L.P. Islamic Spain, 250-1500, The University of Chicago press, Chicago and London ١٩٩٠, p 20

من سمح لهم بالبقاء لم يقولوا، لأن تعاليم الديانة الإسلامية تحض على الهجرة إلى مناطق مسمومة، وفي بعض الأحيان فترض أن يضربوا خفية عن الأنظار يقدمون خدمات للمسيحيين لأجور ضئيلة خديعة إلى أيدي عامة، فكذلك المسيحيون يرحلون بكل من يده خذلة، وتشجع بعض سلاسل قدام مستوطنات مسلمين لأنهم كانوا يرحلون في تطوير ممتلكاتهم^١

وفي كنت المحررة في أول أمرها الداخلية، فقد نزح معظم سكان المدن التي سقطت في أيدي الفرنج إلى مناطق لعلبية، وخاصة سكان قرطبة وإشبيلية، ثم وصل أثناء جبال ومرسية^٢، وسهل الأندلسيون نزوح سكان بنسنية كما رأينا

وعمل تعمير الأندلسيين ببلادهم، جمعهم يغلبون الرحين عنها بصورة كلية، فكأنوا ن سقطت مدن الأندلسية، ارتحلو منها إلى أخرى، حتى لا يجدوا بعد ذلك موطناً من لا يرحل عنها، فقد خرج محمد بن عبيد الجذمي من أركش وهي بلدة صغيرة من أعمال شربش، حيث أخذت لنصارى قصبتها إلى شربش، فلما أخذ النصارى قصبتها، ارتحل إلى جزيرة خضر، ثم انتهى إلى الرحين منها إلى سبتة في المغرب، ثم عاد إلى الجزيرة خضر، ومنها إلى حصرة غرناطة، حتى انتهى بها المطاف إلى مالقة ونوفي بها^٣.

وفد لو حظ أن موجات الهجرة الداخلية من البلاد الأندلسية، قد بدأت تترايد على منكة عروضة كم سقطت في يد الإسبانيين مدينة من المدن المسلمة، سواء منها الشرقية أو الوسطى، وخاصة أنهم كانوا في حالة ثوران داخلي، لقد فقدوا كانوا يفضلون الهجرة إلى المناطق الإسلامية على خضوع لنصارى وقبول التدين، وإن كان نفس منهم قد فضل مصالحة لاقتصادية ونقي في المناصق المسيحية^٤.

(١) Islam, Spain, p 17

(٢) يوسف شكري فحات عروضة في صلي الأهر، مؤسسه الخدمية لدراسات ونشر، بيروت، ص ٨٢، ص ١٠٨

(٣) ابن عاصم، أبو العباس أحمد بن محمد بنكسي، دره الحول في أسماء الرحال، مكتبة لعنيفة تونس، دار نشر النهضة، ١٩٩٧، ٩٧، ٨٠، ٨٦

(٤) Islam, Spain, p ٢١

كما كانت لأوضاع لداحية. ولحسن سائدة، مدعة لهجرة، فقد رتحل أبو
 مسحق برهيم بن عيسى عن دنيا. أول الفتنة المنبعثة في الأندلس سنة (621هـ) وسكن
 بلنسية، ثم رتحل إلى مغرب وبقي حتى توفي في سنة (627هـ) ¹. وتعطين بعض كتب
 المتصوفة في هذا العصر، رؤية خاصة للمجتمع لدحي في الأندلس، وتتقن باللائمة على
 الزمان وهذه وتصف مجتمع بفساد والاحلال وهذا ما يصوره بن عربي بقوله
 «وهو من الذي أنت فيه زمان شر، فنت فيه بقمة الحلال، وكثر فيه شره والكث في
 قلوب الناس، فلا طن شيع، ولا نفس تقنع، ولا عين تدمع ولا دعاء يسمع» ².

وكان أهل الأندلس، في حمة من الفزع ولاضرباب ولقتق، جعلتهم يعقدون
 التنبؤات ولارحف لنبي تتردد عن قرب ظهور رجل من أصناف الجند سمه محمد،
 وسمه بيه يوسف، يتم على يده إنقاذ أهل الأندلس وكانت هذه نسوة هي المحرك
 لمحمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر بالقيام والثورة ³.

هذا تحدث لعوامل لدحية ودرحية، لتؤدي إلى صياع الجزء الأكبر من
 الأندلس، وتشريد أهلها وجبرهم على النزوح والحلاء عن أرضهم إلى قطر عربية
 وإسلامية أخرى، بعد تريد لزحف الإسباني على مدن الأندلسية إذ أصبحت المحرة
 ددرحية جماعية كثر من دي قبل، حيث إن غرضه لا يمكنه أن تتسع لكفة هؤلاء
 مبركين، فكان لابد من توحه المسلمين إلى مغرب واشترق بصورة لافتة ⁴، تاركين

(1) من لأمارتو عبد الله القصدي تحفة مقدم، تحقيق، د إحسان عباس، در عرب للإسلامي،
 بيروت، ط 1، 1386، ص 186

(2) يحيى بن عيسى بن روح بن حسان، مكنة عبد الوكيل لدوري، دمشق 1365،
 ص 45

(3) أعمال لإعلام، 2، 278

(4) علي أحمد لدور لأكبري، بينين ومعارفه في مشرق عربي منذ نهاية القرن خامس، وحي
 نهاية القرن سابع هجري، رسالة جامعة، جامعة دمشق 1380، ص 1.

وراءهم دور ولا أرضى والزروع والكروم⁽¹⁾ ولعنهم بذلك كانوا سبياً رئيسياً في هير الحضرة الأندلسية لهجرو بداية من بلادهم إلى المندق الغربية وخاصة غرناطة، فعنوها حضارياً، ودهرت اقتصادياً، خبراتهم لزراعية⁽²⁾

سنتقر عادية مهاجرين إلى المشرق في المدن الرئيسية في مصر والشام وهما مركز النفوذ السياسي في المشرق، وقد كثر لم تحلون من أهل لعلم والأدب، إذ إن هذه الفئة من أكثر عصر المجتمع نأثر عدم الاستقرار، وهذا من لأسباب التي تقوي الظن بأن الهجرة كانت من أجل الاستقرار والأمن ولاستيصن

ويتضح ذلك من خلال وصف لكتب ولشعراء لاضطراب الأحوال في بلادهم محدثين الأندلسيين من المصير المنزع مستصرخين نوك والحكم وهم يرون مدنهم تسقط واحدة تلو الأخرى، يقول بن الأبر، «فقل في يوم عصيب، رماني بسهم لفراق مصيب، ولم يدع لي ما تميت، وشرى ثمن نخس ما قتنيت، فاستشري في محو ما وحيث، وهدم ما سبت، حتى عير الاضطرب وغلب الاستعبد، للتفكر في بث الأشجان، وبث لأشطان، وندكر بؤوج لامتحن بالخروج عن الأوطان، بأن ستمها الإسلام ايساً وتدره لتتيت ساء⁽³⁾».

ويصف أبو المصرف بن عميرة، ما حل بهم بنسية باكية متحسرًا يقول، «فبانه لآرب درجو، وأصحاب عن الأوطان خرجوا، قصت لأجنحة وقيل صيروا، وبها هو نقتل والأمر وتسرو، ففترقوا أيدي سبا، وشرروا على أوهده وأرب، ففي كل جنب عويس وزفرة، وبكى صدر عليل وحسرة⁽⁴⁾».

1، وشربسي، محمد بن يحيى نغير نغرب وجمع المغرب عن فتوي عمء، فريقي ولأندلس ومغرب، حرجة جدسة من فقهاء بشراف د محمد حجي، در نغوب لإسلامي، بيروت، 119 2، 98

(2) Islam, Spain, p. 13

(3) عباد لكتب، حقه وعفق عنه، د صااح الأشتر، مصوعات مجمع نعة العربية لدمشق، ط 1، 26، ص 255 256

(4) بروس معصر، ص 98

وقد أذكت ملح نوعية الشعر، وشتارت قرحتهم، فبكوا مدنهم بكاء حراً،
 متفجعين عن صيدها، واصفين ما أصبها على أيدي الأعداء من حرب وتدمير، وما
 حاق دهنها من صوف الذل والعذاب، من ذلك ما يقوله أبو موسى ابن هرون أحد
 شعراء شبيلية حين يتولى عيها الأعداء سنة (646 هـ)

يا حمص أقصدك مقدور حين رمى
 حررت عيني يد اللدهر ضامة
 يا سائي عن مصاب مسمين مه
 ما تفرقت لأهواء واضطربت
 وقد أحاطت بك أعداء فاعرة
 تم يصف ما فعوه بأهدها متحسر⁽¹⁾

فكم ساري عدت في لقيد مؤثقة
 وكم صريع رضيع طر محتضفاً
 عمت يد لشرك ما شد خلايف من
 أين لقب لي لتي كانت محببة
 يا عين وبكي على حمص وقيل هـ
 لم يبق فيني سوى لأنفس خفتة

تشكو من الذل قدماء حطما
 عن أمه فهو بأمواج قد فطما
 مضر ومن مصنع ضخم حكى إرما
 فيها الملوكة تفيض الجود والكرم
 منك البكاء إذ لم تر ساليه ذما
 فكن في وجود يشبه العدم⁽¹⁾

وكتب أبو جعفر بن أبي إسحاق قاضي قرطبة، قصيدة طويمة، يتفجع فيها ما حل
 بجريرة الأندلس، يقول منها و صفاً ما فعله الأعداء بأهدها

لا مسعد منجد ذو وصرن
 ويندب صلاه أسفند
 لقد حلتها حرو و السردى
 يبغي بسمع معين هتين
 ويرتي من شرع ما قد وهن
 شبيب كرب كمثل الدجن

() نيل معرب، 382-384

فَعَرَمَهُمْ كَرَنَ دِي رِنَهْ وَهَنَ الْعَزِيرُ لَذِي لَمْ يُهِنَ
وَضَدَتْ دَمَاءُ وَرِيْعَتِ سَاءُ وَهَنَ سَبَاءُ بِهَا لَمْ يَكُنْ
وَعَمَتْ هَرُوجٌ وَعَدَتْ عُلُوجٌ وَهَنَتْ فُرُوجُ بِهَا لَمْ تَهْنُ⁽¹⁾

وفي حين كان المسلمون يتركون مناطق مسيحية بأعداد كبيرة، مضطهدين ممتهنين، محردين من أموالهم ودورهم، كان لليهود محسين من قبل الملوك والسلاطين كمدنيين هم غروص كبيرة، وقد تزوج هؤلاء النبلاء من الفتيات اليهوديات ضمماً في شرفه، ولنعوبص حسانهم بهجرات مسمين، كما أعطيت لهم في بعد في القرن الرابع عشر ميلادي صلاحيت بمدرسة طموسهم ادينية من قبل بوب كليمنت وذلك لأن رعين أئمة منهم، يسعدون المسيحيين في محبرة اسممين، كما أن بقاءهم في المدن ضروري لتنقده الاقتصادى⁽²⁾.

أما خموع لكبيرة من المسلمين الذين بقو في لقو عد والشفور التي استولى عليها مسيحيون وانذين سمو (باندحنين)، فقد كمو يتمتعون بأنظمتين في البداية في ظل ميرك قشالة وأرخون، وكان يسمح لهم بالاحتفاظ بدينهم وشريعتهم ومسجدهم ومدرستهم، وكان لهم حق بيع العقارات وشرائها، وكان لهم قصة بحكمون بينهم في سائر مزارعات وفقاً لشرعية الإسلامية⁽³⁾. وكان لهم هيئة أو جمعية في المدن الكبرى.

(1) برعسى، أبو حسن علي بن محمد برعيني برمع شيوخ برعيني، حققه إبراهيم شيوخ، وإدارة الثقافة والإشادة القومية، دمشق 1992، ص 132-133

Inamuddin, Apolitical history of Muslim Spain, Dacca Pakistan, Second Edition, 1969 p 281-282

هذا لا يعني تعرض اليهود للاضطهاد، خاصة في الفترة التي سبقت القرن السابع الهجري، وكانت حال المسلمين أفضل من حال اليهود أول الأمر، وكان كلاهما يعاون الدولة دفع ضريبة عشور على كل برصبي عرش أو السادة، وسعي الإشارة إلى حركة حلاء التي صنعت بمرتين خمسين السداس هجرية كانت بين اليهود على أشدها، شجحه لصيق ادي عداوه، وكان أئمة هجرتهم نحو صقلية والمشرق، نظر لأسس مصر، ص 6، دولة لإسلام نعصر لربح، ص 56.

3. دولة لإسلام، ق 8، ص 8، منتظر في قنوين لتي وصعت لمدحجين، نظر كتاب أمسي لمدجر، مؤسس لسي في كبة المعير العرب، 2، 19 وما بعده

تولى تصريف شؤونهم، ولعناية بمصالحهم، وتكوير من أعيانهم. وعلى الرغم من حرية التي تمتعوا بها، فقد أخذ نصارى بعض مساحدهم، وحولوها إلى كنائس، وبص أحد سود لائحة لقوانين لقشتالية، أن على النصارى وجب إقناع المدجنين بعقد نصرة دون استخدام لقوة أو الضغط¹، لكن هذه حال أخذت في التبدل فزدد عدد مدجنين، وكانت الكنيسة ببعضهم وتقو عليهم، وتعرض على سترافهم أو تنصيرهم، من ذلك ما أمر به لباد نوسون الرابع سنة 1238م ميث راغون خيمي لأول من وجوب سترقق المنسمن، ولكنه لم يأت، وسمح بمنسمن بالبقاء كمدجنين حين احتل بنسية (636هـ)².

لكن لم يدم هذا طويلاً فقد أخذوا يعرضون للاضطهاد، بتحريض من رجال لدين نصارى الذين كانوا يلمونهم على إظهار تسامحهم هم ومعدمتهم بالرقة، ونتيجة للإحاح في تحريض، فقد كان نصارى يسومونهم سوء تعذيب، وكانوا يساقون من بيوتهم إلى سوق النحاسه ويباعون بأخس الأثمان، وكان الجند الذين لم يستوفوا رواتبهم من الخزينة، يأخذونها من أموال المنسمن المدجنين³.

وقد جاء في بعض الوثائق النصرانية، أن كثير من مدجنين قد خفهم لاسترقق، فعموا كعيد في فلاحه الأرض، وكخدم في بيوت النبلاء ولقسوسة وفي الأديرة وفي عرق لعسكرية، كم صدر عن مجلس كنيسة لتي عقدت سنة 1252م، عدة قرارات صد مدجنين. فحرمت عليهم ارتداء ملابس دت لون أبيض أو أخضر، أو استخدام حذاء أبيض، وحرمت عليهم ضامة شعر رأس حتى لا يتبدل على الجبهة، بينه حرمت عليهم قص نحى حتى تطون، كم حرمت عليهم العيش في بيوت نصرانية، أو استخدام نصري في خدمتهم، أو شراء أرض نصرانية، إلا بعد استئذان الكنيسة، وأباح قتل

(1) Callaghan, Joseph F O A history of Medieval Spain, First published by Cornell University 1975, Fort printing in the United States of America, 1992 p 462 463

(2) دولة لإسلام، و4، ص74.

(3) لأندلس ندهة، 1، 128-129.

لمدحني إذا عتدى على امرأة نصرانية، وأحوا لأهل امرأة عقابها أو حرقها إذا تزوجت أحد المدحيين¹¹

وقد ثر مسلمون سكنى الجبل على حية لذب ولهنة، وخرجوا وكانوا يتعرضون بسبب ولهب من عصابات الإسبين أثناء حروجه، وأنشئت فرق عسكرية تتولى طرد مسلمين وإحلاءهم عن البلاد بتأثير لقسس وأرهابان وخرحت جموع الذر حين بأعداد كبيرة¹².

وثار مدجنون في مرسية في يوم واحد في البلاد لواقعة بين شريش ولقنت وعنو ولأههم وصاعتهم نحمد بن الأحمر، مسؤولين على بعض لقلاع وحصون والسهوب، وكان إخماد هذه الثورة يتطلب وجود الملك شخصياً، لكنه عمداً إلى حليفه ابن الأحمر، واعتذر بن لأحمر عن حرب أبناء ديه، فقم عليه ملك وسارع نحو عروضة لقتله، ونصر بن لأحمر، يرفع من معنويات المدجنين¹³.

وكتب شعراء من أهل المغرب قصائد يستصرحون فيها المسلمين لرفع لظلم عن إحوائهم مستضعفين في بلاد الأندلس، ومنهم شاعر ملك بن المرحل سنة (662 هـ) يقول

هف على أندلس من جنة	دارت بها من العدم جهنم
إنه لم يجر من حوكم	خلفاً لهم تنقأت إليكم
ونحوكم عيونهم نظرة	لا تصغم لنوم وكيف تطعمه
يبن من لا مفر من	هو لغيت أو سار أو دم ¹⁴

(11) A history of Medreva Spain, p 463

(2) لأندلس لدهب، 3، 121، 122، 118

(3) نصير سابق، 3، 121

(4) مدحمة نسنية، ص 99-100

هذه بعض صور المعاناة، لأهل المدن الأندلسية حين سقوطها وحصارها، وصور
لامتهان ونقسوة التي مارسها النصرى ضد المسلمين، ناقضين عهودهم بالأمان، غير
مراعين لأولادهم حتى في النساء والأطفال والنشيوخ

كنت هذه الأوضاع - كما تصح بصورة غير مباشرة - سبباً في هجرة الكثيرين،
دون يراد لأوضاع خاصة لكل شعاع بصورة محددة إلا ما ندر. من ذلك ارتحال يوسف
ابن عتبة الإشبيلي⁽¹⁾ من إشبيلية حين تولاها ابن هود و صصرمت لفتنته، وقدمه مصر
هارباً من تنك لأحوال⁽²⁾.

أما أبو الحسن الميبرقي⁽³⁾ فربى كان قد جرى به مع الأسرى الذين أتى بهم الفرج
إلى ساحل شلم، بعد احتلال حريرة ميبرقة سنة (627هـ)⁽⁴⁾.

وقد تعرض أحمد بن قزح⁽⁵⁾ لأسر الفرج سنة (646هـ) مما جعله يرتحل بعده إلى
المشرق، ويبقى في مصر إلى حين وفاته⁽⁶⁾.

و حرح أثير الدين أبو حيد⁽⁷⁾ متحقيقاً في شرق، بعد أن تصدى لتأليف في الرد على
أبي جعفر بن الطبع وتكذيب روايته، لأنه قد نال من ابن لزيير أستاذ أبي حيّان، فرفع
أمره إلى سلطان، ونفذ الأمر بتنكيه⁽⁸⁾.

(1) نظر ملحق، الترجمة رقم 57.

(2) لمع، 2، 664.

(3) نظر ملحق، لترجمة رقم 7.

(4) أبو شامة المقدسي الذبي على الأروستين، عني شره وصححه عزت 'عطار الحسيني، دار الخيل،
بيروت، ط2، 974، ص159.

(5) نظر ملحق، لترجمة رقم 2.

(6) لمع، 2، 523.

(7) نظر ملحق، لترجمة رقم 53.

(8) لإحصاء، ص46 47.

وقد حرج بعض شعراء لأسباب شخصية، من ذلك ارتحال عبدالرحمن بن محمد بن عبدالمطلب بن سعيده إلى مِثْرَق، بعد جري بينه وبين قاربه ما استوجب خروجه^(١).

الأوضاع العامة في مصر والشام وأهميتها في اجتذاب المرتحلين

ويقصد بها الظروف التي ساعدت على استقطاب الأندلسيين إلى مصر والشام، وشككت حافزاً مشجعاً لالتجّه إلى هذه البلاد، بعد أن تهيأت لهم المعرفة المسبقة عنها، عن طريق ما فروه، أو سمعوه، أو شهدوه.

فقد كانت دولة (مصر والشام) في القرن السابع الهجري، تشهد تقدماً في كافة مجالاتها، ونفتحة حضرياً متميزاً. وقر لها مستوى من ترقّي والثراء واتساع فرص العمل، بالإضافة إلى تميزها بظروف طبيعية مشابهة لبلاد الأندلس، كما كان للأثر الانديني وأصله في السفوس شأنٌ يُن في اجتذاب الأندلسيين وتوجيههم إلى شرق.

١ الظروف الطبيعية،

يشكل تشابهه لصيبي دوراً هاماً في جذب المرتحلين، فالتشابه في أحوال المناخ والعطاء النباتي بين منطقة وأخرى، يكون ساعداً نفسياً لدى المهاجرين في الارتحال إلى بلاد التي تشبه بلادهم ويقربها إلى نفوسهم، مما يجعل استقرارهم فيها سهلاً، كما كان حال الأندلسيين حين رحلوا إلى الشام، ولعل من أدلّ الأمثلة على هذا التشابه بين مناطق الشام والأندلس، أنه أجد بعين الاعتبار، حين فنت أحناد الشام إلى الأندلس، حيث نزل أهل دمشق في كورة، بيرة شبهها بهم وسميت دمشق، ونزل أهل حمص في كورة شيبنة، وسميت حمص، وأهل قسرين في جين، وأهل الأردن في رية مالقة، وأهل فلسطين في شدونة^(٢). ساعد هذا التشابه الجغرافي بين لإقليمين مؤسس لدولة الأموية

(١) ضر ملحق، لترجمة رقم ٦٢

(٢) لمص، ٢٧٠

(٣) سنان بنين بن حصص، نمحة المدية في لدولة انصرة، مشورت دار لافق حديدة،

بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٦

في بناء دولته على صورة سورب لأموية، حيث نقل إليها غرائب العراس وكرائم لشجر
من بلاد الشام^(١)

ويظهر مدى هذا التقرب صورة وضحة، في ما يورده بن سعيد حيث يقول
خرجت من جزيرة الأندلس وصف في بر عدوة، ورأيت منها العظيمة كمر كش
ووس وسلا وسبتة، ثم ضفت في إفريق وم حورده من المغرب الأوسط، فرأيت بحاية
وتونس، ثم دخلت لدير المصرية، فرأيت لإسكندرية وقاهرة والفسطاط، ثم دخلت
شام، فرأيت دمشق وحب وم بينهم، ثم رأيت بشه رونق الأندلس في مياهها
وشجرها، إلا مدينة فس - مغرب لأقصى، ومدينة دمشق شام، وفي حمة مسحة
أندلسية^(٢).

وقد أعجب الرحالة الأندلسيون مدن الشام ووصفوها وصف دقيقاً، فقد وصف
بن حبير مدينة دمشق بقوله: اجنّة شرق، ومطلع حسنه موق أنشرق، وعروس
مدن، قد تحنت بأز هي ترّيح، ونحتت في حن سنديّة من بسدين قد سنمت
رصه كثرة ماء، حتى شفت إلى لظاء^(٣)، وهناك جغرافيون آخرون سبقوا بن حبير
أنوعى ذكر لالتقاء وتشابه بين الشام ولأندلس مثل ابكري الذي قال: الأندلس
شامية في ضيها وهوئها^(٤) وسميت عربطة دمشق لأندلس^(٥)، وقد وصفت بأنها
شامية في أكثر لأحوال، تشبه بعض مناطقها بالغوطة في أنهارها وجداولها وجنتها،
وحن بنائها وحسن موضعها^(٦).

(١) صفح، ١، ٥٤٦.

(٢) صفح لصيب، ١، ٢٢٩.

(٣) رحنة بن جبر، ص ٢٤٤.

(٤) جغرافية لأندلس وأوروبا، ص ٥٠.

(٥) بن سعيد معرب، معرب في حن معرب، لمحقق د شوقي صف، در معرب مصر، ص ٢٠.

١٢٢ / ٢

(٦) نسخة ليدية، ص ٢٢ - ٢٣.

وكان لطبيعتها بعض من مظاهر مصر، تروى على حركة الأندلسيين و استقرارهم، ففيها
العديد من مناطق التي تشبه بعض مناطق الأندلس. فقد شهدت منطقة فحوص إنبيرة
منطقة الفيوم في دلت النيل¹، كما أنزل حشد مصر بكورة تدمير²، نشأتها لطبيعتها
مصر³، ولعل هذا النشأة كان له أثر في سرعة تأقلم مع بيئة جديدة.

ولا شك في أن تميز بعض المدن المصرية بخيرتها وحصنها وحماها طبيعتها شكر
عملاً مشجعاً في انتقال الأندلسيين إليها، فالإسكندرية التي نزلها الكثير من الأندلسيين
متدزت بساتينها لأبيقة، وكثرة الفوكة و تهر ورخصها⁴، كما أن الفيوم منازت بكثرة
فوكها والغلال⁵.

عجب لم تخلون مصر ووصفوه بأنها ذات لعمد التي لم يخلق مثلاً في
البلاد⁶، وقد كتبه أبو الحسن بن عبد العزيز لداني الذي زارها في القرن السادس
هجري عنها حينئذ بنج جبل المقطم: هذه صائتي المنشودة، وبغيتي المقصودة، ههنا
لبيت وأقيم، فلا أبرح ولا أريم، بئس طيبة ورب غفور، وحيث تفتت فروضة وغدير،
وحوزق وسدير، وظل ظليل، ونسيم عليل⁷، وذكر بعض أهل العلم أنه ليس في

(1) لروض مصر، ص 45 46

(2) تدمير (Tudmir) كورة بالأندلس تنص بكورة حيا، وهي شرفي قرطبة، ههنا معدن كثيرة ومدن،
معجم لسان، 2 19

(3) نفح، 1/ 64

(4) من فصل الله نعمري، مسانث لأصبر، ومسانث لأصبر، (مملك مصر واشدم والحجر واليمن)،
حفظها يس فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1986، 2 89-90

(5) القدرة لإفريقية والأندلس، ص 229

(6) نسوي، خالد بن عيسى نوح مفرق في تحفة عمى شرق، مقدمة وتحقيق حسن بن محمد
السبح، مصبعة فصة، المحمدية، المغرب، 1981

(7) لسانة نصرية، نوادر مخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
ونشر، القاهرة، 1370 هـ 1951 م، ص 12 13

مدنا شجرة لا وجدت بمصر، وفيها في كل وقت المأكول والمشوم وسائر البقول
وخضر لا يقصع منها شيء في الصيف أو الشتاء .

وشهدت مصر لشدة في بعض جنوب طبيعية، وتكت معاً عدم جذب
للأندلسيين «فأسفل رضي مصر شمية تظطر مطر الشام، وتنبت نبات الشام من لكرم
ولبن والموز وسائر لفكهة والبقول ولرب حين . وإنتاج للبن والعسل»² .

لقد شكك النشأه بين الأندلس من ناحية، والشام ومصر من ناحية أخرى، عملاً له
نثره على حركة الأندلسيين واستقرارهم وسرعة تأقلمهم، للميزات التي تمتع بها كل
منها

ب الحج والتقديس وزيارة الأماكن المقدسة في المشرق:

لا تقل لناحية الديانة عن غيرها من نواحي الجذب الأخرى إلى الشام ومصر، ذلك
أن المكنة الدينية متميزة التي حظيت بها كل منهما، جعلت محط أنظار الأندلسيين في
تحذهم مكنة للاستقرار.

وتبين العديد من آيات لكرامة، والأحاديث الشريفة مكنة لشدة الدينية، التي
كن للأندلسيون على دراية بها، لتضلعتهم في علوم القرآن والحديث. فهذه على سبيل
مثل أحاديث تحض المسلمين على الهجرة إلى الشام، إذا ما تعرضوا للمحن، ولعل ما
عاناه المسلمون في الأندلس جعل لهذه الأحاديث صدى عميقاً في نفوسهم، وتأثيراً عظيم
في اتجاه لشام من ذلك ما روي عن عبد الله بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض، لزمهم مهاجر

(1) حلال دين سيوسي حسن المحاصرة في أحدر مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات بمصر،
1321هـ، 2، 192

(2) حسن المحاصرة، 2، 192

يرهم، وبقى في كل أرض إددت، شرار أهلها، تعظهم أرضوهم، نفاذهم نفس الله
عروحن، ونحترهم ندم مع لقردة و حذير (والمهاجر).

(ومنها حر) موضع ندى به حر ليه، ومهاجر به هيم حيل لله هو الشام،
وأرد به حرة لثنية في قوله. استكون هجرة بعد هجرة، اهجرة إلى الشام. يرغب في
مقام به وفي حديث حريين الرسول ﷺ فصل الشام الاقصدي و ليني، مفضلاً
به عن غيره، فيه روه عبدة من حوالة الله، عن نبي ﷺ أنه قال (سيصبر الأمر إلى
أن تكونوا حدوداً محدة، جند بالشام، وجند بالعراق، ففتت. خزي يا رسول الله إن
أدركت ذلك، فقل عبيث بالشام، فيها خيرة الله من أرضه، يحبني فيها خيرة من عبده،
فإن إن بينهم فعيكم بيمينكم، واسقوا من عذركم. فإن لله توكل بالشام والله»⁽³⁾

تم خصصت الأحاديث بعض منطلق الشام وأكدت على فضيلتها، وأنها المقدس
و دمشق، المقدس هي بقية الأولى، وهي أرض لإسراء والمعراج، كفي قوله تعالى:
﴿سَنَحَرِّ لَنِي أَسْرَى بِعَبِيدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ﴾ الإسراء 1، وقد أكدت الأحاديث النبوية على هذه المكانة، حيث نص بعض
على فضل الصلاة في مسجد الأقصى، كقوله ﷺ: «لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد:
مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا»⁽⁴⁾، وفي هذه الصلاة غفران وتكفير
مذنب كفي جاء في قوله ﷺ: «من خرج من بيت المقدس لغير حاجة إلا الصلاة، فصلّى

(1) أبو داود، سنن، من الأشعث سحستوي لأردى. سنن أبي داود، تحقيق محمد عبيد بن
عبد الحميد، مكتبة مصرية، صيد - بيروت، ج 3، رقم 2482 في باب الجهاد، ص 4.

(2) من لأبى الحرى، محمد بن أبي سعيد بن ماري، مجمع لأصول في الأحاديث رسول،
تحقيق عبد القادر أبو زوط، دار الفكر، بيروت، ص 2، 1983، 349-350.

(3) ترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن ترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب
عصية، بيروت - ص 1، ط 1، 1987، ج 5، رقم 3954 في المذهب، ص 690.

(4) عسقلاني، أحمد بن علي بن حجر فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق عبد العزيز
لارو و خروب، دار الفكر، بيروت، ج 4، رقم 1846 في ص 3،

فيه خمس صلوات، صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء. خرج من خطبته كيوم ولدت له أمه.

ورسخت لأحاديث الشريفة بين أداء الحج والعمرة في لحجاز وزياره بيت المقدس حتى يكون لحج كاملا، كما في قوله رحمته : «من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى شريف إلى مسجد الحرم عمر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة»⁽²⁾. وغتفر لذنوب أمر له فمة عند مسلمين، وهذا مما دعا لأندلسيين إلى تطبيق مضمون حديث، ولأنحال في هذه الأماكن لمقدسة، التي يتوقون إليها في المشرق، وقد تحذت عده الإقامة في مسجد الأقصى وزياره ولصلاة فيه، ولانطلاق منه إلى الحج صفة خلود عند لأندلسيين. وأعل عمل احذب هذا قد زاد لدى الأندلسيين في هذه لفترة متأخرة، بعد قيام لـ وثنين لأيوبية والمملوكية، حيث كان المشرق ساحة جهاد ضد لصلبيين والنتار، مما زاد في تأثير عدم جذب لـ ديني، إذ عُدّ لدفع عن بيت المقدس وحبا دينيا، وقد رد تدفق لـ رور إلى بيت لمقدس حتى حرره صلاح لدين، ويس أدعى ذلك من رحمة ابن حبير لثنيه لـ مشرق⁽³⁾، ولتي كان فتح بيت المقدس من أقوى اسبابها.

وكي اختصت لأحاديث الشريفة بيت مقدس، فقد اختصت دمشق عن غيرها من لمدن، قال رحمته : «إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، إلى جنب مدينة يقر لها دمشق، من خير مدن الشام»⁽⁴⁾. وقد فضلت دمشق على سائر بقاع الشام ما عدا بيت المقدس، مما يدل على بركتها وفضيله أهمها.

- (1) ر. ماجة، له عندنا محمد بن يزيد بقرونه سنن من ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد سافي، در إحياء التراث، م. هرة، 1975، ح. 1، رقم 1408، ص 451-452
- (2) سنن أبي دود، ح. 2، رقم 1741 في لواقفت، ص 144
- (3) سنن ولتكمه، ح. 5، و. 2، ص 605-606
- (4) سنن أبي دود، ح. 4، رقم 4298 في لملاحم، ص 111.

وبصهر هتاهم الرحلة وخاصة الأندلسيين للمسجد والمشهد والمزارات، فقد أعجبوا بجامع الأموي، فوصفوه بدقة واستقصاء، مبينين مساحته وتاريخ تأسيسه وفصلته، وما روي فيه من أحاديث، كما وصفوا قناته وزواياه وما يقام فيه من حلقات عرسه، فهو لا يخفى في معظم الليل والنهار، من تال لكتاب الله، أو مصلى، أو ذكر أو عابد ومجتهد²، وقد تنوقت الأقوال لكثرة في رؤية الحصر ~~ببعض~~ بصي كثير في جانب شرقي منه³، كما ذكر ومغارة الدم التي قتل فيها قبيل هبيل، ومغارة آدم ~~ببعض~~ وهم في جبل فسيون بدمشق⁴ وهناك مر آخر كن الأندلسيون يعظمون دمشق من أجهه، وهو وجود نعل نبي ~~صلى الله عليه وسلم~~، فقد كانت موجودة عند بني أبي الحديد، ثم نقلت للمدرسة لأشرفية⁵.

وهناك مدن غير دمشق حظيت بمكة دينية عن الأندلسيين، لما فيها من مزارات ومشاهد وقبور أنبياء، من ذلك ما يرويه الرحلة ابن بطوطة حيث يقول «عسقلان فيها مشهد رأس الحسين قبل نقله للقاهرة... وفي قبلة المزار مسجد كبير يُعرف بمسجد عمر، وفي لقبة منه بئر إبراهيم. وفي طاهر عسقلان ودي السمل المذكور، الوارد ذكره في لقران.. أما لرممة ففي قصة جامع الألبص من ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين وفي عك قبر النبي صائح وبشر فقه عين ماء تُعرف بعين البقر، يقال إن الله تعالى أخرج منها البقر

(1) بصر. رحلة ابن خبيرة، ص 232-246

(2) عز بن أبو محمد بن عبد السلام ترعيث أهل لإسلام في سكنى لشام، تحقيق محمد شكور، مكتبة مدر، الرقاع، لأردن، ط1، 1987، ص41، وانظر المخطوط، شريط رقم 4625، مكتبة لأسد بوحصة، دمشق، ورقة 13.

(3) من الحورن، عثمان بن أحمد للإشارات وأماكن لزيارات. تحقيق سام الجري، مكتبة غزلي، دمشق 1981، ص22

(4) هروي، علي بن بكر للإشارات إلى معرفة لزيارات، تحقيق جليل سوردبيل، معهد الفرنسي، دمشق 1953، ص1

(5) مقرئ اسمساي، فتح لمعد في مدح اسعد، (ميكرو فيلم) مصور عن بيتي، رقم 113، حرمعة لأردنية، ورقة 6 وقد نقل مقرئ شعر المعاربة ولأندلسيين الذين متدحوا نعل الأشرفية.

لأدم عليه السلام. وذكر عليه مسجد بقي منه محرقة^(١) وفي ضربين قبر نبي شعيب، وعلى قبر مه جب الذي أنزل فيه يوسف، وفي لحيل مشهد وقبور الأنبياء ونصالحين ومسجد كثيرة^(٢)

ومهم كتب درجة صحة الأحاديث والأقوال التي تنوقت. فقد وصلت لأندلسيين واشتهرت عندهم. وعمت بصورة بحاجية، على ترغيب أهل الأندلس في لتوجه إلى الشام والاستقرار في مده.

وتحتل مصر مكانة دينية عند مسمي الأندلس، قد لا تصل إلى الدرجة التي وصلتها الشام لاعتبارات كثيرة أشهر، مما ساعد على حركة نشطة لأندلسيين فيها، فمصر ذكر صيب في بقر نكريم في عدة مواضع. منها قوله تعالى: ﴿تَهَيَّطُوا يَمُضْرًا فَإِنَّكُمْ مَسْأَلَتُمْ﴾ [البقرة: 6] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْتَ إِلَى مُوسَى وَأَجِهِ أَنْ نَقُولَ لِفَوْمِكُمْ إِمُضْرَ يُؤَدُّ﴾ [يونس: 87]. وورد ذكرها في لأحاديث شريفة، من ذلك ما روي عن أبي دريد عن نرسور عليه السلام أنه قل: استفتحون مصر وهي أرض يُسقى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً^(٣).

وعند بن جبير فرقة لقاهرة من عجائب الدنيا، لما تحتوي عليه من مشهد الأنبياء عليهم السلام، وأهل البيت والصحابة والتابعين والرهدة والعلماء، ومن هذه المشهد، مشهد رأس الحسين بن علي، وقد وصفه ابن جبير ووصف لبيان الذي يحيط به بجلاء، كما شهد قبر نبي صالح، وقبر رويين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقبر سيب امرأة

(١) راجع إلى ضوطة مسودة بحقة نصر في عرث لأمصارع عحات، الأسفر، تحقيق على لتتصر

كتابي، مؤسسة العربية، بيروت، ص 4، ص 78، ص 81

(2) نظر نصير سيب، ص 704، ص 779

(3) مسلم بن حجاج القشيري السيسنوري صحيح مسلم شرح لإمام يحيى بن نونوي سبقي

سباح، تحقيق الشيخ حسين مأمور شيخ، در معرفة، بيروت، ط 1، 1994، ج 16، رقم 6441

في فصول، ص 314

فرعون، ومشهد أهل البيت، مبنياً تصد الجرايات كل شهر في هذه الأمكنة^(١)، ومن
المشهد الأخرى مشهد لسيدة أم كلثوم، ومشهد عبي بن الحسين، ومشهد السيدة زينب
ابنة محبي بن زيد، ومشهد معاذ بن جبر، ومشهد الإمام الشافعي وغيره من المشاهد^(٢).
كما نشر لعبدري في وجود عدة وفرة من المزرات لشريفة^(٣)، وجمعة من قبور لصالحين
وصدور نسف والحف في مصر ما لا يضبطه الحصر^(٤).

وذكر الكندي أماكن ديسية في مصر، نقده عنه السيوطي، فذكر النيل المبارك،
والنخلة التي ولد عيسى عليه السلام تحتها، وقبري موسى وهارون، كما ذكر دخول الكثير من
الأنبياء مصر ومنهم إدريس وإبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ولوط، وعيسى وأيوب
وشعيب عليهم السلام^(٥).

وفي مصر المسجد القديمة العريقة مثل مسجد عمرو بن العاص للملكية،
وخصصت بعض المساحد مشهورة لعنيدة بالغرباء من المغاربة مثل مسجد ابن طولون
لدي خصصه السنن هم، مجرياً عليهم الأرزاق^(٦) فجتمع بذلك فيه عاملاً حذب ديني
وقصدي

ولاشك أن قول خج التي كنت تمر بمصر، لم يكن اهدف منها أداء فريضة الخج
فقط، وإنما قترن هذا بفكرة الجهاد، والاعتقاد بأن لإقامة في الربط والحياة في لشغور نوع

(١) رحمة بن حيدر، ص 20

(٢) مصادر سنو، ص 21-23، معجم بلدان، 5، 142-143.

(٣) عبدري، محمد بن عبي بن أحمد - رحمة عبدري المسماة رحمة مغربية، تحقيق محمد الفسي،
وزارة الثقافة، الرباط 1968، ص 149

(٤) رحمة بن بطوطة، ص 55-56

(٥) حسن المحاضرة، 1، 5، 26

(٦) رحمة بن حيدر، ص 24-26

من جهده، وإن من يموت أثناء إقامته فيها يعدّ شهيداً، لذلك جذبت الإسكندرية عدداً كبيراً من علماء المسلمين عامة، ومن علماء المغرب والأندلس خاصة^(١)

ج الظروف السياسية،

بعد القرن السادس الهجري من عصور الذهبية في تاريخ بلاد الشام على الصعيد السياسي، فقد كان عصر نور الدين لندي وحمد لشم سياسياً وقصياً على الدويلات الضعيفة، ومهداً لصلاح الدين الأيوبي توحيد مصر والشام بعد قضائه على دولة المماليك.

ونعل دراسة سياسة نور الدين وصلاح الدين تجاه الأندلسيين في مصر الشام، تسهم في إبراز هذه السياسة على حيل صورة حسنة لدى المرتحلين عن سياسة زنكيين والأيوبيين، مما جعلها عمل جذب لعدد كبير من المغاربة للارتحال إلى مصر لشم في القرن السابع الهجري، لندي كن يشهد فترات اضطرابات وفتن في الأندلس.

فقد بعث نور الدين زنكي المذهب السني في دمشق، بعد قضائه على المذهب الشيعي، وأقام فيها مدارس ومنتخضات لعلّاء، وكان حريصاً على إقامة وحدة مذهبية، تكون عملاً مدعماً للوحدة السياسية^(٢). وقد وجد الأندلسيون بذلك مغريات التي تلائم عقيدتهم مذهبية، خاصة وأنهم مالكيون، ووجد حكام شم في الأندلسيين عصر مائلاً لتطبيق سياستهم، فهم مالكية عشوا في جو تسوده الوحدة المذهبية، إذ لم تقم في الأندلس قائمة لأي مذهب تعتبر السنة خارجاً عنها^(٣).

(١) سبعم مرعى ختف به العلاقات بين خلافة الموحدية وشرق لإسلامي. در معرف، نهدرة، ١٤٥٧، ص ١٤٨.

(٢) صلاح الدين شيد المشرق في مصر معاربه والأندلسيين في لغروب بوسقى. دار مكتب حديث، بيروت ١٣٥٣، ص ٢٢.

(٣) علي أحمد الأندلسيون وندرة في بلاد الشام من هبة لغروب خمس وحتى هبة لغروب لتسع هجري. در طلاس، دمشق، ص ٢٨٦، ص ٢٨٧.

وقدم نور الدين ركني مغاربة غرباء لتسهيلات، ووقف عليهم لأوقف. وحسن ووددهم، وقدم لهم ما يحتاجونه، ونفع من هتمهم بهم «أله عين مغاربة الغرباء المسمون روه سالكة مسجداً لجمع المراك أوقفاً كثيرة، منها طحونتان، وسعة ستين، وأرض بضعة، وخدم ودكانان لعطارين، وأخبرني أحد المغاربة الذين كانوا ينظرون فيه، وهو أبو حسن بن مرداس الجبني المعروف بالأسود، أن هذا لوقف المعري يغل إذا كان ينظر فيه جيداً خمسة دنانير في العام»¹

وقد رأى نور الدين افتكاك أسر المغاربة أهمية خاصة، وذلك لأنهم بعيدون عن بلادهم، ولا يخلصهم، يقول بن حير: «وقد كان نور الدين رحمه الله، نذر في مرصعة نصبت، تعريق اثني عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة، فلم استبل من مرضه، رسل في فدائهم، فسوق فيهم نفر يسوا من المغاربة... فأمّر بصرفهم وإخراج عوض عنهم من المغاربة، وقال: هؤلاء يفتكهم أهولهم وجيراهم، والمغاربة غرباء لا أهل لهم»².

واستمر الأيوبيون في سياستهم لعدالة، وحسن معيشتهم للمغاربة، ولعل مآثر صلاح الدين لا تحصى في هذا المجال، فقد سار على نهج نور الدين، ووقف الأوقف على مغاربة، وأمر بتعيين خدمت يستحمون فيها متى احتاجوا لذلك، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقون أحوالهم، وخدماً ينظرون في مصدخهم، وعين لأبناء السبيل منهم خبزتين لكل إنسان في كل يوم غير ما عيّه من زكاة لعين لذلك»³. وكان طيب صلاح الدين الخاص. من الأندلسيين، وهو عبد المنعم الخليلي الذي كان يرافقه في حبه وتر حابه»⁴.

(1) راحة بن حير، ص 257.

(2) المصدر السابق، ص 283.

(3) المصدر نفسه، ص 5 د 6.

(4) نفسه، ص 255.

وكان صلاح الدين معيماً بشؤون المعربة ولأندلسيين، متتبعاً لأحوال ملوكهم ودولهم، حتى رغب إلى صفة من الكتب ومؤرخين بالتصنيف في أخبارهم، فصنف له محمد بن أيوب الأنصاري كتاباً في أحوال المعتصم بن صمادح صاحب المرية، وصنف له كتاباً آخر في شعراء مغرب ولأندلس⁽¹⁾، وكان يصب إلى سفره استقرء أحوال البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ولتعرف على أوضاع أهلها، ويوحي حياتهم، جاء ذلك في إحدى وصاياه سفير له وهم نصه: «يُستقرى في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في أحوالهم، وأديبهم وأشغالهم، وأفعدهم، وما يحبون في القول نزره أو حمد، والبقاء مُنبهة أو مُقبضة، ومن تعود بمحاسنهم مُحففة أو مُطوَّنة، ومن التحيت المهددة في بينهم ما صفته وما موقعه، هي لسن ادينية، أم انعوائد المنوكية»⁽²⁾.

وعمق من هتم صلاح الدين شؤون الأندلسيين اشتراكهم بحرب معه ضد الصليبيين، فقد استقبل صلاح الدين الأسير الأندلسي الذي قدمه الصليبيون هدية لصلاح الدين بحفاوة وتقدير وإعجاب⁽³⁾، كما كان المغاربة يرافقون الجيوش لتقديم الخدمات، مثل تحضير الطعام، وتجهيز الحمت لسجنود من أجل لاغتسل⁽⁴⁾.

سار أبناء البيت الأيوبي على نهج صلاح الدين من تقدير المغاربة وحسن معاملتهم، ونشاء مرافقهم، فقد أوقف الملك الأفضل بن صلاح الدين مدرسة الأفضضية على

(1) محمد رعد الشبيبي أدب المعربة والأندلسيين في أصوله لمصرية ونصوصه عربية، معهد الدراسات العربية لعربية، القاهرة 1967، ص 37.

(2) أبو شامة المقدسي شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، لروضتين في أخبار الدولتين مصرية ومصلاحيه، دار الخيل، بيروت، 17/2.

(3) نعمد لأصفهري يكتب، لفتح القسي في فتح القدس، تحقيق وشرح: محمد محمود صبح، لدر تقويمه، القاهرة 1965، ص 502.

(4) مقترري، أحمد بن علي اسنوك لمعرفة دول ملوك، صححه ووضع حواشيه، محمد مصطفى زيدة، مطبعة خنة التثيف، لقاهرة، ط 2، 1956، ج 1/1 ق 94/1.

فقهاء ملكية، وبجوارها أوقف قطعا من المدينة بجوار مسجد، أضحى معروف باسم حرة المغربة على طائفة من المغاربة على اختلاف أحناسهم، ذكورهم وإناثهم⁽¹⁾.

أما المنيث، فقد قربوا للأندلسيين والمغربة وأحسنوا إليهم واعنتو بحججهم، وقد نقل لتجيبني في رحلته صورة من صور هذه العنيدة، عن السلطان المملوكي منصور أبو الفتح لاجين في قوص، يقول: «كان ملك مصر والشام السلطان لأجل حسم لدين والدنيا أبو الفتح لاجين المنقب بالمنصور... يعتني بالحجاج، ويأمر بتسهيل طريقهم، ويوصي بذلك عمه ونوبه... ومما عديده نحر من ذلك وسمعناه بأذنت، وذلك في أول جمعة جمعه بقوص المحروسة، في الثامن عشر لجمادي الثانية، المذكور من سنة ست وتسعين وستية، إثر فرغ من صلاة الجمعة قدم رئيس المؤذنين، وأمر الناس بالعود لسماع مرسوم كريم وصل من قبل السلطان إلى الفتح... وكان مضمونه أن لا يتعرض أحد من عمه ولا نوابه لأحد من حجاج، وأن تسقط عنهم ملازم كُفها التي تؤخذ منهم بقوص وغيرها من بلاده، وأن يُترك استعراضهم جنة⁽²⁾». كما يصف لعبدي معاملة المنيث لهم بالقدرة ويمتدحهم بأنهم أصحاب لعقائد لسيمة، ولتفضل على الفقراء، وتسهيل على حجاج والمسافرين من مغاربة يقول: «وهم ركن لإسلام، نفعهم لله وأحسن عونهم، وقد رأيت من خدمتهم للركب، واحتياطهم وصبرهم.... ما تعجبت منه...»⁽³⁾

ولعل تقريب المنيث للأندلسيين والمغربة كان نبعاً من أهدافهم في تدعيم حكمهم بتقريب المعص، ومن عرفوا بالفضل والدين، وقد وجدوا في الأندلسيين ما يبحثون عنه تمسكهم لكبير بسلفيه لدين⁽⁴⁾، وأكد ابن بصوطة ذلك في رحلته حين ذكر

(1) حبيبي، أبو سمير، قصي محير سدير، لأنس حين بتاريخ القدس وخبر، مكتبة المحاسب، عم - الأردن، 1973، 2، 397.

(2) شنجني، القاسم بن يوسف، مستند الحنة ولاغتراب، تحقيق: عبد خفيظ منصور، لدار عربية لكتاب، ليب ووس، 1957، ص 174 - 175.

(3) رحمة لعبدي، ص 128.

(4) لأنه سبون ومغربة في بلاد لشم، ص 107.

أن بدمشق فضلاً من كتب الملك لنصر يسمى عهد الدين نُقِصِرَني، من عاداته أنه متى سمع عن وصول مغربي دمشق، بحث عنه وأحسن إليه، فإِن عرف منه الدين ولفصل أمر سلازمته، وكان يلازمه منهم جمعة، وعلى هذه الطريقة سار غيره⁽¹⁾.

وهذه الحادثة تؤكد سبب اهتمام لمليك بالعلماء والمهتمين بالتدريس أو الفقه من المغيرة والأندلسيين، وهو أن هؤلاء يشكون دعامة لحكمهم، لأن هذا الاهتمام لم يكن يُشمل العامة، لأنهم لا ضلّ منهُم في تحقيق تلك الأهداف السياسية.

د الظروف الاقتصادية والعلمية

1 تنوع الزراعات والصناعات واتساع التجارة والثراء

وصف لوضع الاقتصادي في مصر والشام في عصر الأيوبيين والمليك بالانتعاش نظراً لتوفر لأسس لاقتصادية من تنوع زراعات، ووفرة إنتاج، وقيم صناعات مختلفة، وقد هيات هذه الظروف لتجارة رائجة، كن لها تأثير في اتخاذ الأندلسيين لكل من مصر ولشام در إقامة، لأن هذه البلاد تشكل مصدر رزق للكثير منهم.

فقد عرفت الشام بركاء مدينتها، وعتداً هو ثها، وجودة مناخها، وملاءمتها لطبائع ثمار كلها⁽²⁾، حيث كنت أرضها مصدراً للحبوب ولبقول على اختلاف أنواعها، ولقواكه المتنوعة كالموز ولبرتقال التفاح والرمون والعنب، كما يوجد في أرضها لقطر ولفستق ولقنب والكتان والحرير والنيل ولدخان وقصب السكر، وتصلح مراعيها لتربية ضروب مشية⁽³⁾.

وقد برع الشاميون في استغلال أراضيهم بذلكهم وبُعد نظرهم في توطين النباتات لأسبوية والإفريقية فيها⁽⁴⁾.

(1) رحمة س بطوطة، 1 119 120.

(2) محمد كرد علي: حطط لشام، مكتبة نوري، دمشق، ط3، 983، 4، 38، 739.

(3) مسدك لأصغر، مصر واشده، ص25-26.

(4) حطط شام، 4 47.

لا شك أن توافر العديد من الموارد الزراعية لأولية الموارد المستخرجة من لأرض، وفر لقيم صناعات عديدة أشهرها لغزل، والحياكة والنساجة والنجدة ونداعة وصناعة الجند و تصدق والرخم والسجد والخصبر وغيرها⁽¹⁾

لم يقصر دور مصر عن الشد في التقدم الاقتصادي، نظراً لتوافر عوامل الزراعة لناحية، من تنوع أقليم وأرض وزرعات، فأراضي مصر عدة أصناف بعضها يجود بالقمح و الشعير. ويُنْتج بعضها البطيخ والتواب، ويزرع الباذنجان والمشمش والخوخ في بعضها الآخر وهكذا⁽²⁾. وقد كن هذ الشوع الزراعي أساساً لصناعات عديدة كصناعة المسوجات متنوعة، وصناعة السكر والصبون التي تكثر في الفسطاط⁽³⁾. وقد صبقت في مصر النظم الاقتصادية المتعلقة بالزرعة والصناعة بمستوى عالٍ من الدقة⁽⁴⁾. ثم وفر لاقتصادهم لنجاح والتميز.

وقد تميزت لأسواق في كل من مصر والشام بالضخامة وتنوع ما يعرض فيها، ويصف ابن جبير ما وصفت إليه أسواق دمشق من الارتقاء حين مرّ به بقوله. «من أحفل لأسواق وحسنها انتظاماً، وأبدعها وصفاً... وهي مرتفعات كأنها الفناديق، مسقفة كلها بأبواب حديد، كأنها أبواب القصور، كغيرها من أسواق الشام»⁽⁵⁾.

وكانت هذك سوق خاصة بكل مسعة، مثل سوق الأبرين، وسوق النحاسين، وسوق لوطيين، بحيث تعرف أنواع المهن التي، متهنوه من خلال أسماء أسواقهم⁽⁶⁾

(1) نظر حطط شام، ص 199، 227

(2) مبروري، نقى دبر حمدى عي، موعط ولاعتار بذكر لخط والآثر معروف، حطط تقريزية، در صادر، بيروت، 100-103.

(3) المغرب، احص حصص، ص 11

(4) رشاد لوليس نقوى لحرية وسحرية في حوض لبحر متوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مرجعة محمد شفيق، مكتبة نهضة، القاهرة 1960، ص 326

(5) رحمة بن حبة، 261-262

(6) ابن عسكرك، حطط أبو القاسم عى بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: صلاح بن ليل لملحد، المجمع لعلمي دمشق 1954، ح 2، ق 1، 227

وعرضت في هذه الأسواق في الشام ومصر ثياب والمنسوجات التي بُهرت لصبيبين، فُقبوا على شُرئها وتوريدها إلى أوروبا. كم أنَّ هذه الأسواق الكثير من لنحر، ومنها نصفت القوف لمحملة بالديج ولأقمشة مختلفة الأنوع¹.

شكلت مدن الشام محصن تجارية بالغة لأهمية بين الشرق والغرب، إذ كنت ثروها موضع هتم نحر لفرحة بصفة عامة، ونجر لبندقية بصفة خاصة²، وقد أدى عطاء صلاح الدين تسهيلات لنجر لبندقية وجوة وبيرة، إلى وجود تنفس قوي بين مدن المدن، كن أنه ثري في تنشيط حركة التجارة، إذ كنت موبى ساحل الشام مسرحاً لنصراع بين هذه الجليات، لأسباب تتعلق بنسائل تجارية والكسب³.

وكان موقع مصر لمتيز على لبحر المتوسط الذي يصل منذ انقلايم بين الشرق والغرب، من العوم التي ساعدتها على التحكم في مياه لبحر المتوسط وجزره وسواحله، ولساهمة في تجارة مشرق بدور كبير. لكثرة قوعدها وصول سواحله⁴، ولم تنقطع حركات لقوافل تجارية من مصر إلى دمشق، ومن دمشق إلى عكا⁵، إذ كنت عكا عظم مرفأ بين موابى، وقاعدة للتجار ومرسى للسفن. وكان تصل أوروبا بها كثر من تصده بسواها⁶، وانفردت لشام ببعض لمنتجات التي كنت تحمل إلى لدير نصرية، مثل قصب لذهب، وقمر الدين من لشمش، والقفن، ولقرصيا⁷، وحمل

(1) حدة باشا التجارة في معرب الإسلامي من القرون الرابع إلى القرن شام سهجرة، مشورت حمة لتوسيع، 12/6، ص48.

(2) عدد رتون أصوء على العلاقات لتجارية بين لسلطنة الأيوبية وجهوية البندقية، بحث في حمة لدرسات تاريخية، حمة دمشق، سورب 1980، عدد 2، ص35.

(3) ف. حمة العلاقات بين بندقية وشرق لأدى الإسلامي في لعصر لأبوي، در المعرف بمصر 1980، ص14، 119.

(4) ربيع حجرة الإسلام، 1، 271.

(5) حمة اس حمة، ص260.

(6) حطط شام، 4، 244، 24.

(7) بسري، ألونقة عبدالله بن محمد برهة الأدم في محسن شام، مكتبة عربية، بغداد 1341 هـ.

لزيوت واخرى من نوبس إلى مصر، كم حمل إليها تين والزبيب من صيد، و نفواكه من بيروت⁽¹⁾.

وتم راد من أهمية لتجارة، عتمد المدن لصناعة في مصر و لشدم على بعض السلع المستوردة اللازمة لصناعتها، فشكت بعض مدن مصر و لشدم مراكز تجارية هذه السبع، ومن أشهرها: فسسط، و الإسكندرية ودمياط و عيذاب، و طرابلس وصيدا وصور، وبعض المدن لد حنية في لشدم⁽²⁾ وقد وصف التجيبي أحد هذه المركز، وهو مدينة قوص بذي قول: «هي مدينة عظيمة، أهلة عمرة، من أكبر المدن المشهورة التي رأيته هذا الصعيد، من أحفها بناء، وهي أرتب من مصر وأنقن، غريرة المرفق، كثيرة الخلائق، يجتمع فيها الصادر و لوارد من اتجار، الواصين من اليمن و الهند و احبشة ... ومن المصريين و لإسكندريين، و يوجد فيها من بضائع هند ما لا يكديوجد في غيرها من المدن عظم»⁽³⁾.

وتم ساعد في تقدم التجارة أيضاً، حمية الأيوبيين و لمليك لمصاحبها الخرجية، و خاصة الارتباط بالأسواق البعيدة مثل الهند والصين شرقاً، و مناطق القوقاز و انقرم شمالاً، و مدن التجارية لإيطانية و انفرسية و الإسبانية غرباً⁽⁴⁾.

فقد استغنت دولة لمليك فرصة أمن لملاحة و لتجارة في شمال لبحر لأهر و حبه، و عمدت جاهدة على جذب إليها، يؤكد ذلك المنشور الذي أذاعه لسيصن لمتصور قلاوون سنة (689هـ) على لتجار الذين يصون إلى مصر من لصين و الهند و سند و اليمن و لعرق و بلاد الروم إذ يقول: «وَمَنْ يُؤْتِرُ لُورُودَ بَنِي مَمَالِكُنَا بِنِ أَقَامَ أَوْ تَرَدَّدَ لِنَقْتة لَهُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرِ وَ لْخَيْرَةِ وَ يَحْضُرُ إِلَى بِلَادِ لَا يَحْتَاجُ صَاحِبَهَا إِلَى مِيرَةٍ، وَلَا بَنِي

(1) رجة س مخطوطة، 81، 82، 80 / 1

(2) ربح لبحرية لإسلامية، 162 / 1

(3) مستند رجة و الاعتراف، ص 173

(4) أحمد صادق سعيد مصر في عهد لأيوبيين و مهابث، مقل في مجلة در ست عربية. سنة 15،

عدد 6، 979، ص 32

دَحِيرَة، لَأَنَّهُ فِي لَدُنِي جَنَّةٌ عَدَنٌ لَمَنْ قَضَى، وَمَسَلَّةٌ لِمَنْ تَعَرَّبَ عَنْ لَوْطَن، وَزُهَّةٌ لَا عَيْبَهَا نَصْر، وَتَقِيَّةٌ فِي رِبْعٍ دَنِيم، وَخَيْرٌ مُلَارِم، وَيَكْنِيهَا أَنَّ مِنْ بَعْضِ أَوْصَافِهَا، أَنَّهَا شَمَّةٌ لَهَا فِي أَرْضِهِ . . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى مَرْسُومِ هَذِهِ مِنْ لِتِجَارِ الْمُقِيمِينَ بِالْيَمَنِ وَلِهُنْدٍ وَصِينٍ وَنَسْنَدٍ وَغَيْرِهِمْ، فَيَأْخُذُ لِأَهْبَةٍ فِي الْإِرْتِحَالِ إِلَيْهَا، وَالْقُدُومِ عَلَيْهَا لِيَجِدَ الْفَعْلَ مِنَ الْمَقَالِ أَكْبَرَ، وَيَرَى إِحْسَانًا يَقْبَلُ فِي لَوْفِ هَذِهِ لِعُهُودٍ بِأَكْثَرٍ وَيَجُزُّ مِنْهَا فِي بَسْطَةِ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ عَمُورٍ . . وَفِي السَّلَامَةِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَسَعَادَةِ تُجَيِّ الْأَحْوَالِ، وَتَمَوُّلِ الْأَمْوَالِ»⁽¹⁾.

2 لتقدم العلمي والفكري والمستوى الحضاري وتوفيره فرص عمل للمرتحلين:

بلغت الدولة في مصر ولشام مستوى حضرياً رفيعاً في النواحي العمرانية والاجتماعية، حيث أدى لثراء الاقتصاد الناتج عن نشوء التجارة، إلى لاهتمام بهذه المنشآت العمرانية والحضارية كنساجد والمدارس ودور الحديث، والفنادق والحمامات. وكان هذه المنشآت أثرها في ستقصب الأندلسيين المرتحلين من علماء متخصصين، وصوفية زهادين، وباحثين عن مصدر رزق وعيش.

حضيت كل من دمشق ولقاهرة بتنوع العلوم، وكثرة المشتغلين بها، بعد هجرة كثير من علماء العراق إليهم، لما خرجت بغداد على يد لنتار سنة (656هـ) وقد كثر على إثر ذلك لعلماء متخصصون، وتعينت المسائل العلمية، وتنوعت العلوم، وتوفر المشتغلون بها. وبلغ من لشام صبة عالية، عُدَّت تكييفهم من الأمهات في خزانة كتب الأمة العربية⁽²⁾، وكانت دمشق مركزاً علمياً للشرق كله، وسبقت القاهرة في هذا المضمار، وقيمت فيها المدارس، واستحضر لعلماء وقصدها الطلبة، وتدفع إليها لكثير من المغاربة يعمون ويدرسون ويجهدون ويتاجرون⁽³⁾. وقد شهد هذا العصر بناءً نشطاً للمدارس

(1) 'تقني شدي، حمد بن عبي' صبح لأعشى في صناعة لإنش، شرحه وعلق عليه 'محمد حسن شمس'، در لكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، 13، 339 340

(2) خطط لشام، 4 38

(3) لشرق في نظر معدنة والأندلسيين، ص22-23

ودور العلم المتخصصة في مختلف العلوم، ويتضح ذلك من قول بن طوطة: «وأهل دمشق ينفسون في عمرة لمسجد وأنزوايا والمدارس»⁽¹⁾.

بعدَ الانتهاء بإنشاء دور العلم منذ عصر نور الدين، فقد بنى مدارس وأربط وخفدات، ووقف عليها الأوقاف، وبنى المدارس الجنبلة للحنفية والشافعية، منها مدارس السورية في كل من دمشق وحمص وحلب وحماة، وعمر مسجد الكثيرة وأربط لمصوفية⁽²⁾، ونشأ أول دار حديث بدمشق وهي دار النورية⁽³⁾.

سار صلاح الدين والأيوبيون من بعده على هذا النهج في إنشاء دور العلم، ووقفوا عليها لأوقاف، فقد أعد صلاح الدين كنيسة صُنِّحَتْ في القدس مدرسة للشافعية وهي مدرسة «الصلاحية» ووقف عليها الأوقاف، مفوضاً التدريس فيها لبهاء الدين بن شداد⁽⁴⁾. ووقف ابنك مظفر عيسى بن أيوب على المدرسة لمصطفية، حنفية سنة 606 هـ، قرى ومرار⁽⁵⁾، وبنى ابنك الكامل المدرسة لكرمية بمصر، التي كملت عمرتها سنة (621 هـ)، وجعل شيخها أحد مترجمين لأندلسيين، وهو أبو الخطاب بن دحية، ووليها بعده أخوه⁽⁶⁾. وبنى ابنك لصلاح نجم الدين أيوب في القاهرة أربع مدارس للمذهب لأربعة سنة (633 هـ) منها لمدرسة لكرمية التي عدت من أجمل مدارس القاهرة⁽⁷⁾ كما هتمم ببيت بإنشاء مدارس، فقد بنى لطاهر بيمبر من المدرسة الطاهرية القديمة بتدريس

(1) رحمة بن مصوفة، ص 124-125.

(2) بنو صلاح، محمد بن سالم مفرح لكرويت في أخبار بني أيوب، تحقيق حمد الدين لشتال، وزارة المعارف، مطبعة حرمه، فؤاد الأول القاهرة 1955، 1، 281-283.

(3) شعبي، عبد القادر بن محمد؛ لدرس في تاريخ مصر، تحقيق جعفر حسني، مطبعة لترقي، دمشق، 1948، 1، 99.

(4) مفرح لكرويت، تحقيق حمد الدين لشتال، مطبعة لأمنية، القاهرة، 1957، 2، 230، 477.

(5) محفوضات رئاسة وزارة، طبع دوري القدس، أبس شريط رقم 522، مركز محفوضات، جامعة لأردن، ص 47.

(6) حسن محفوض، 2، 122 انظر عن حبة أبي الخطاب بن دحية، مطبوع، ترجمة رقم 16.

(7) المصدر السابق، ص 59.

الحنفية والشافعية وإقراء القراءات^(١). ونيت خوامع وما فيها من حقت لعلم. ووقفت عليها لأوقاف، ولعل أشهرها جامع لأموي بدمشق وحقائقه وشيوخه ولأسواق السعة له ومشاهده التي خصص لكل مشهد منها أوقاف معينة من بساتين ورصي^(٢). كم عين لكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقاه أوقاف تقوم به وسكنيها، حتى إن نبلد تكاد لأوقاف تستغرق كل ما فيه^(٣). ومن أشهر مساجد في مصر المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العباس ابن طولون. وقد جعل مأوى للغرباء من مغاربة يسكنونه ويجمعون فيه، وأجريت عليهم أوقاف واسعة. وقد جعلت لهم الخيرية في تصدق أحكامهم، من قبل أحد المختصين منهم. وبذلك لا يكون لأحد يد عليهم. وقد كثر في مساجد ومدارس بصورة تعدى لوصف، ففي الإسكندرية وحده شيد اثنا عشر ألف مسجد. إلى غير ذلك من معاهد والمفاخر^(٤).

لم يقتصر التدريس في دور العلم على العلوم الدينية، بل درست علوم العربية، وزدهرت العلوم الحكومية وأصول المنطق^(٥). وقد انفرد القرن السابع الهجري بإنشاء ثلاث مدارس بطن ومدرسة للهندسة في دمشق، وكان في هذه العاصمة أعظم جامعة إسلامية اشتملت على العلوم الدينية والديوية، لا تقصر عن القاهرة بأزهرها، ولا عن بعد ديمدستها للنظمية^(٦).

وجعل توفر لأسباب المعيشية للمتعممين. جعلهم يقبلون على العلم، وجعل إنشاء مدارس وتعليم على شؤون طلابها من لأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى كما يقول لسري عن أهل الشام: "وتقرب إلى الله تعالى أهلها ببناء المدارس، رغبة في جوار مجرّد لفقير لبئس، ورتبو له من خبز ولحم لصعب، والزيت والخم والصبون والمصروف

(١) حسن المحصرة، ١٦٥.

(٢) ا. ر. س. في تاريخ المدارس، ٢، ٣٧١، ٤١٦، ٤٧، ١٢٣.

(٣) راحة من حيرة، ص ٢٤٨.

(٤) نوح مرقس، ١، ٢٥٠.

(٥) مفرح كروم، تحقيق: حسنين محمد ربيع، تقديم سعيد عاشور، دار نكت، ١٩٧٢، ٧٨/٤، ٧٩.

(٦) حفظ شام، ٤٤/٤.

في كل شهر على تدوم، فحجس نطلب في شبّاكها بطر إلى الماء والخضرة والوجه
 اخسن، فكيف لا ينبعث إلى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن¹، ولعل هذا من
 نعو من الرئيسة في جعل هذه البلاد مقصدًا لكثير من الأندلسيين، حيث غدت منهلاً
 حصباً محصور على سبب حدة ووسائل العيش، ولعل الرحالة الأندلسيين خير من
 صور بلاد الشام من ناحية توفر المصادر لمعيشية، فقد زار ابن جبير العديد من مناطق
 الشام، وصورها بقوله: «وكل من وفقه لله بهذه جهات من الغرباء للانفراد، يتبرؤ إن
 حبّ ضيعة من لضاع فبكون فيها طيب العيش ناعم البدن، وينهز لحيزه من أهل
 الضيعة، ويتبرؤ للإمامة أو لتعليم أو ما شاء، ومتى سئم انقدم خرج إلى ضيعة
 أخرى²».

وقد كدت هذه دعوة صادقة للأندلسيين بالتوجه إلى الشام، والتفرغ لطلب العلم،
 لوجود سبب لمعيشة صالبيه دون عناء يصرفهم عن طمسه، يقول: «فهذا المشرق به
 مفتوح لذلك، فدخّل أيها مجتهد بسلام، وتغنم المزارع والانفراد، قل علق الأهل
 والأولاد، ولو لم يكن بهذه البلاد مشرقية كنه، لا مبادرة أهلها لإكرام الغرباء، ويثر
 لفقراء لا سيما أهل مدنته، فيث تح من بيدر إلى كرم الضيف عجباً، كفى بذلك شرف³
 هم»⁽³⁾. وهذا ما يؤكد بن طوط حينما زار دمشق إذ يقول: «... وكل من انقطع بجهة
 من جهات دمشق، لا بد أن يتأني له وجه من معاش من إمامة مسجد، أو قرعة بمدرسة،
 أو ملازمة مسجد يحجب إليه فيه رزقه، أو قرعة قرآن...»⁴.

كم كثرت لربط ولزوي وخالقات، فقد وقف صلاح الدين الأوقاف على أول
 حقه عمت بمصر، وهي خانقاه سعيد السعد ونعت شيخها بـ «شيخ شيوخ»⁽⁵⁾.

(1) برهة لاند، ص 73-71

(2) رحمة ابن جبير، ص 259

(3) مصدر نسق، ص 258

(4) رحمة بن طوط، ص 105

(5) حسن محاصرة، 2-158

ثم بنى الناصر محمد بن قلاوون خندقه سرّيقوس، ورّتب للصوفية وفقراء طعاماً وخبزاً ولحمً . ووقف الشيخ عمر بن عبدالله المغربي زوية على فقراء المغاربة بأعي حارثهم في القدس، وأنشأها من ماله⁽¹⁾، وقد كان نور لدين قد عين لهم زوية بجامع دمشق وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، تغل خمسمائة دينار في العام⁽²⁾، وكنت كل زوية بمصر لصائفة معينة من الأقرء وكان لكل زوية شيخ وحارس، وطعم أهل الزوية مرتين في اليوم، ولهم كسوة لثاء وكسوة الصيف⁽⁴⁾ وأنشئت الربط للصوفية وكان صلاح لدين قد وقف الأوقاف على الدر المعروفة بدير البطرك، وجعلها ربطاً للورددين من سائر البلاد السبعة، وللصوفية بحيث يكون شيخ منهم، ناظراً عليهم، يصرف عليهم من ريع الخيرات لموقوفة⁽⁵⁾

وقد تولى التدريس والإقرء في هذه المنشآت لعمية الكثير من الأندلسيين الذين كان لهم دور في لارتقاء بالحركة العلمية، وبنغوا شأواً بعيداً في هذا المجال، فلم يكتف هؤلاء العلماء بأخذ العلم وتلقيه وسمعه، بل شاركوا في التدريس، وترأسوا حلقة لدرس، ومنهم لمحدث أحمد بن تميم بن هشام الذي خرج من الأندلس إلى المشرق، وبقي يعمل في ميدان الحديث في دمشق حتى وفاته سنة (625هـ)⁽⁶⁾ كما يعد محمد بن يوسف السرياني من رجال الحديث المتميزين، إذ خرج من إشبيلية وزار عدة مدن إسلامية، وسمع بالحجاز ومصر والعراق وخراسان ودمشق وقد استقر في دمشق يقرئ

(1) حسن لمحاصرة، ص 158

(2) لأوس جليل، 2، 46

(3) رحمة بن جبير، ص 257

(4) رحمة بن هروسة، 1، 54

(5) سجلات محاكم شرعية بالقدس، مركز المخطوطات، جامعة الأردنية، سجل رقم 95.

ص 426، 4، ومحمود بن رئاسة الوراء، طابو دفترى لقدس شريط رقم 342، ص 10.

(6) مذهبي، لحافظ شمس الدين محمد بن أحمد لعر في حبر من عمر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد

ابن سيوي، رموز در الكتب لعمية، مروت، ص 1، 1985، 3، 195

لحديث وفد الكثيرين إلى أن توفي سنة 636 هـ¹. كما تميز لمحدث قاسم بن محمد بن يوسف لدرزي لشافعي حفيد زكي لدين الذي خرج من إشيئية في أواخر لقرن السبع الهجري، وسمع من عدة شيوخ في الحجار ومصر ودمشق والقدس وحبس وحمّة و لاسكندريه، وأحيز من لكثيرين، وانتهى به المطاف إلى دمشق، فأقام فيها وتولى مشيخة دار الحديث في المدرسة لأشرفية²

ومن لأئمة المغاربة بمدرسة الكلاسة المنصقة بالجامع الأموي التي جددده صلاح لدين الأيوبي، وحصصت له كنية، أبو الحسن إسماعيل بن أبي جعفر القرطبي وكان قارئاً محدثاً، توفي سنة (631 هـ)³ كما عمل أبو حسن المغربي مؤدباً في مدرسة لعدلية دمشق حتى وفاته سنة (626 هـ)⁴.

ومن منشآت الحضارية البيهرستات بني عده بن جبير مفخراً من مفاخر الإسلام⁵، ووصف بن جبير بيهرستان السلطان صلاح لدين في القاهرة بأنه «قصرٌ من لقصور الرائعة حسنٌ وتسعة»⁶، ولهذا البيهرستان قيمة من أهل لمعرفة، لديه خزائن العقدير والأدوية بمختلف أنواعها، وفيه قسم خاص للنساء⁷. وفي دمشق بيهرستان

(1) نكسي، محمد بن شاكرو، فوت لوفيت وندس عليها، تحقيق د. إحسان عباس، در صدر، بيروت 1974، 2، 263-264 ابن عربي بردي، حمد لدين يوسف لأتابكي سحوم الزاهرة في ميوا مصر و القاهرة، در مكتب لعمية، القاهرة، 1942، 9، 319 ابن لعمد الخسي، عبدحي بو الفلاح، شذرات لذهب في أخبار من ذهب، در لسييرة، بيروت، ط2، 1979، 122، 6

(2) كتبي، محمد بن شاكرو فوت لوفيت ولدين عليها، تحقيق د. إحسان عباس، در صدر، بيروت 1974، 2، 263-264 بن عربي بردي، حمد لدين يوسف لأتابكي سحوم الزاهرة في ميوا مصر و القاهرة، در المكتب لعمية، القاهرة، 1942، 9، 319 ابن لعمد الخسي، عبدحي بو الفلاح، شذرات لذهب في أخبار من ذهب، در لسييرة، بيروت، ط2، 1974، 6، 22.

(3) لدين علي بروصنر، ص162

(4) مصدر، سبق، ص157

(5) رحلة بن جبير، ص256

(6) مصدر سبق، ص26

(7) سبق، ص26

كان قد ساه نور الدين ووقف عليه لأوفى. وهو وقف على الفقراء والمساكين، ولا يجمع منه الأغنياء لم يجدوا دواءً عليهم إلا فيه^١، كما جدد البيروستن في حلب، ووقف عليه لأوفى^٢، وقد بلغ هذا البيروستن درجة من التنظيم زمن صلاح الدين الأيوبي^٣

خدم في هذه البيروستات كبار الأطباء، مثل مهذب الدين النُّجَّار^٤ شيخ الأطباء، ونجم الدين ابن اللبودي^٥ الذي أظهر قدرة في العلوم الطبية، وخدم بعض الأطباء الأندلسيين في هذه البيروستات، ولعل أشهرهم بن لبصار ضياء الدين عدته ابن أحمد الملقب صاحب كتاب الأدوية مفردة، والذي تحققت عنده معرفة المستوصفة وقد خدم في البيروستن الذي أنشأه العدل^٦، كما كان من مكمل يعتمد عليه في الكثير من شؤون الطبية، وعمل عبد المنعم جُنَّاسي ندي قدم من جنبة إحدى مدقق غربطة في بيروستن السلطاني أيام صلاح الدين حتى وفاته سنة (603هـ)^٨.

(١) بن لاثم، عبر دين بن حسن بن عبد واحد، تاريخ لاهور في دولة الأتابكية، موصى، تحقيق عبد القادر صلمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1963، ص 170، رحمة بن حبيب، ص 255

(2) حطط شه، 6، 6، 66

(3) رحمة بن حبيب، ص 255

(4) مهذب دين النُّجَّار، أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بالندجور، كان واحد عصره وفريق دهره كتب كتب كثيرة، توفي دمشق سنة (628هـ)، ودفن بقاسيون، طبر، بن أبي أصيبعة، عيون الأسماء في طبقات لأطباء، شرح وتحقيق برادر صا، مكتبة الحية، بيروت 1965، ص 23، 24

(5) نجم الدين بن النبوي حكيمة بن زكريا يحيى بن الحكم، ولد بحلب سنة 627هـ، وخدم من منصور براهيم بن منب أسد دين شيركوه، واستورده، طبر عيون لأسماء، ص 66، 67.

(6) عيون الأسماء، ص 61

(7) بن سعيد المعري، نعصور ابعة في خمس شعراء، دائرة السعة، تحقيق براهيم الأبيدي، دار معارف مصر، ط 2، 1965، ص 104، 105

(8) رحمة ابن حبيب، ص 255

كم كثرت الخدمات. وقد ذكر أن في الإسكندرية وحدها أربعة آلاف حمم⁽¹⁾ كما أن لإربني حبي زار دمشق أعجبه من خصائصها حسن لعنائ وكثرة خدمات، وحسن تقسيم المبدء التي تدخل فيها⁽²⁾.

وقد كن من اتسع اعناء صلاح لدين بالمغربة تعيين خدمات يستحمون فيها متى احتاجوا لذلك، وتولى المغربة لخدمات في عكس زمن صلاح لدين، فقد «كان في العسكر أكثر من ألف حمم»، وفي كل حمام يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة، ويجفرون ذرعين فيضع ماء، ويأخذون لطین فيعمون منه حوصاً وحائضاً ويسترؤونه بحطب وخصير، ويقطعون خصباً من لبستين التي حوفهم، ويحفون الماء في قدور، وصار حمم يغسل لرجل رأسه بدهنهم وأكثر⁽³⁾.

وكان للمغربة وحوه واسعة للعمل، بالإضافة إلى عملهم في خدمات، فقد يكون لواحد منهم نظوراً في بسن، أو حفصاً لأبواب داخلية، أو أميداً على طحونة، أو كفلأ نصيب يؤدهم إلى محاصيرهم ويضربهم إلى منازلهم، وقد كانوا يؤتمنون لأنهم قد علاهم صيت، وطار لهم ذكر في أمثمتهم⁽⁴⁾.

نقد نتاج مستوى اعلمي واحصاري فرص العيش والعمل للمعاربة، الذين قُبوا على مشرق لأنهم وجدوا فيه الأمن والانفتاح و ترقى والحرص على لرعية الاجتماعية. كونت مثل تلك الظروف ستعد دُ نفسياً لاتجاه إلى المشرق منذ فترة سبقت القرن التاسع الهجري الذي تغيرت فيه أحوال الأندلس بصورة وصحة، وإن كانت الأحداث

(1) ح مرق، 200.

(2) محسن دمشق وحمدها ومدرستها (مخطوط)، مكتبته لأسد بوضنة، دمشق شريف رقم 6692، وردى 46 وقد طبع هذا كتاب مطبعة دمشق سنة 948، وقام بتحقيقه محمد أحمد دهمان، وذلك ما كتبه على حمده في مصادر كده (الأنايسون والمغربة في بلاد شام) ولم تعبر الملاحظة على

مطبع

(3) سلو، 1 في 94

(4) رحلة من حبر، ص 251

تتي سبقت لاجتياح تندر بمصر لأندلس، لا أن نية لارتحال إلى لمشرق موحدة عند
أهل لأندلس لاعتبرت وظروف وقف عدها، ويشير ابن بقي لضبطي (ت
540هـ) إلى ذلك بقوله

وَبَنِي هَمَّ سَدَ تَقْدُفُ بِبِلَادِأ نَاتَّ مَّ لِعِرَاقَ وَ لَشَّام
وَأَلْحَقُوا بِالْأَعْرَابِ عِبِلَاءَ بِهِمْ وَأَجِيدُ مَدَحَهُمْ هَتَامًا^(١)

وعن هذ حين لا تصل بالأعراب في امشرق ومدحهم، يؤكد مدى الارتباط
لوجداني والتواصل بين المشرق ومعرفة، وقد وردت إشارة بذلك لتج الدين
السر حسي^(٢) من لمشرق في رحة مفقودة له، إذ يقول: «إني وإن كنت خرساني الضية،
فبني شامي مدينة، وإن كنت العمومة من امشرق، فإن خروؤه من لمغرب»^(٣).

فلم يقصر هذ لإحساس بالارتباط والتواصل على الأندلسيين وحدهم أو على
المستدرة وحدهم كم تبيننا، بل هو اتجاه مشترك، يؤكد له لتواصل العممي والتفكري ولأدي
ولاجتمعي، الذي سننبهه في دراسة موضوعات لشعر. وما نحملة من أثر هذا لتواصل
في مدح شني

(١) صلاح حم، يحيى بن بقي حسان وأدبه، رسالة محسن، جامعة لأردنية، 1977، ص 355

(٢) سر حسي، رح، مدح بن حمويه، وندسه ٢٧٢هـ، كان فضلاً بزعمه، رر لأندلس والمغرب، نذير

عل بروسين، 1٧4

(٣) لفتح، 3، ١٥1.

الفصل الثاني

موضوعات شعر النازحين

علاقة الشعراء بالملوك والولاة وكبار رجال الدولة

كان ارتحال الشعراء الأندلسيين من بلادهم، نتيجة اختلال الأوضاع السياسية في الأندلس وغير ذلك من العوامل كما بيّنا في الفصل الأول، وقد ساهمت بيئة مصر والشام الجديدة في توجيه شعر هؤلاء وجهات معينة، نتيجة للأحوال التي عيشوها في موطنهم الجديد. فقد أكثروا من مدح الأمراء والحكام والقضاة والوزراء طالبين منهم النصرة في ديار غربتهم. كما تفاعل الشعراء مع الأحداث السياسية في المشرق، وعبروا عن نقيمتهم على الصليبيين، وامتدحوا قواد المشرق من خلال ذلك.

امتدح الشعراء ملوك الأيوبيين الذين كانت لهم اليد الطولى في الإحسان إليهم، بعد أن تباعدت بهم الديار، وأضحوا غرباء ينشدون منهم رفع الضيم فكانوا أوفياء لفضلهم، لديهم الولاء لهم، كما يقول ابن دحية في امتداح الملك الكامل بن العادل الأيوبي (ت 635هـ) بكمال الأوصاف، وعظم الملك وإقامة العدل:

شجّنتي شواج في الغصون سواجُ	ففاضت هوام للجفون هوامعُ
ولا حاكم أرضاه بيني وبينها	سوى حاكم دهري له اليوم طائعُ
يدافع عني الضيم قائم سيفه	إذا عزّ من للضم عني يدافعُ
هو الكامل الأوصاف والملك الذي	تشير إليه بالكمال الأصابعُ

وَيُضْرُ يُدْبِيه لَكْرِيمَةٍ فِي سَوْرَى قَلَانْدُ فِي الْأَعْنَاقِ وَهِيَ الصَّنْعُ^(١)

كان هذا لولاء الأيوبيين ينبع من عدهم، وحسن معاملتهم واحترامهم لعلاء لا سي عن علماء مغربة، وقد كان بن دحية قد حظي بمكانة خاصة عند الأيوبيين فقربو مكانه، وجمعوا له عبياء لحديث، وحضروا له مجلساً، وأقروا له بالتقدم، وكان الملك لكامل قد بنى له در لحديث اكملية بين القصرين والقاهرة^(٢) فقيده بإحسانه، إذ يقول:

وَلَمْ يَقْتِدْنِي نَدَاكَ لَكَارِي مَجَارٌ وَسِيحٌ فِي لَبْسِيضَةٍ وَسَعِ
فَأَنْتَ الَّذِي لِي وَلَا عَادِي كَثِيرَةٌ فَوَيْقُ مَكَانِ النَّجْمِ فِي الْأَفْقِ دَفْعٌ^(٣)

وقد رُبع الشعراء في مدح لأيوبيين حتى شَبَّهوهم بالملائكة نشدة تقوهم، يقول ابن خروف القرظي^(٤) في مدح الملك الظاهر أبي الفتح غزالي بن صلاح الدين صاحب حلب:

ثَمَرٌ هَدِيَّةٍ فِي أَبَاءِ يُوْبٍ أَخْتُ لِنَبْوَةٍ فِي أَبَاءِ يَعْقُوبٍ
هُمُ مَلَائِكُ فِي زِيٍّ مُنَوَّلٍ وَهُمْ أَسْدُ الْخُرُوبِ وَقَطْبُ الْمَحَارِبِ^(٥)

وكتب ابن سعيد على تدحية هديت لملك صالح نجم الدين أيوب، إذ يقول
سنان حه

لَا لَوْرُ الشَّبَابِ وَالْحَالِ هَدِيْتُ مَنْ كَسَا الزَّمَانَ شَبَابَ
مَنْكَ الْعَمِيْنَ نَحْمُ بَنِي يُوْبٍ وَلَا رَلَّ فِي الْمَعْنَى شَهَابَ

(١) عربي. ام العيس أحمد بن عبدالله عبور سراية فيمن عرف من لعبياء في مائة تسبعة هدية، تحقيق عدل و بهصر، خنة لتأليف و تترجمة و نشر، بيروت، ط ١، ١٩٦٢، ص ٢٧٥
٢٧٦، لفتح، ٢، ١٠

(٢) سنو، ح ١، ق ٢، ص ٢٥٨ حسن محصورة، ٢، ٣، لفتح ٢، ١٠٢.

(٣) لفتح، ٢، ١٠٢

(٤) طر شحق، لترحه رقم (٢٥)

(٥) عبور لبيعة، ص ١٣٩

جئت ملأى من الشئ عيه من شكور، حسانه واشوايا
لست ممن له خطب ولكن قد كفاني ربح عري خطبا

ولعلك لنصر صاحب حلب، من أكثر ملوك لأيوبيين الذين امتدحهم
لشعره، إذ أولاه لشعره من هتم، فقد كان يقور شعر ويجز عيه^١، وبنع شعراء
عنده حظوة ومكانة، بالإضافة إلى ما يتصف به من حزم وعدل وحسن خلق، وعطاء كما
يقول بن سعيد في قصيدة نصرية صلب العطاء:

حذني بـ ألقى خيال من لكري لا بد لصيف الملم من الفري
ناصر منك الذي عزمته أبدا تكون مع لعساكر عسكر
لدين أصلحه وعم صلاحه الدني وأصبح ناصر ومظفر
فكان كنيته غدت موضوعه من ربه ووصف منه مقرر

فلا غربة أن يجمع كل هذه الصفات، وهو من بني أيوب، أهل الفصل ورياسة
ومعالي وشجاعة:

من معشر خروا لزمان رياسته وسياسة حنوا الذرى حمر اندرا^٢
سم نعداء على حياء فيهم لا تعجزن كذلك أسد الشرى
حتى طمهم في احياء مثله بدت وقد أزدت تحيا أحر
وبيصيه قد توجوا أعداهم حتى لعدا حوالكيا تشكرا^٣

كما امتدحه بن الأنصف القرطبي^٤ في قصيدة أولها:

(١) نصح، ٢ 266

(٢) اعبر، ٣ 297

(٣) أسد، كلف وحمية نساء العرب، مادة ذرو

(٤) مغرب، ٢/ 175، لإحاطة، 2/ 156.

(٥) نصر مسح، الترجمة رقم (52).

دانت لك لعرب طوع حق والعجبة وأصبح لدهر من عيبك ييتسم⁽¹⁾
 ويمتدح شعر يحيى بن سليمان بن شاذول الطلبي⁽²⁾ الأشرف موسى⁽³⁾ لأيوبي
 بدسه وعزمه وكرمه، وردا على الدين أنكرو على يهودي مثله امتداح ملك الأشرف، رد⁽⁴⁾
 عقدت لطيف.

سيوف عزمتك القضة يصول ومضاء بانسك في يديه نصول
 لفرند سيفك من بهائك روق كلاهم ماء اجلال يجر
 كن وصفك مفتحهم اهل نهى سبان فيه علم وجه و
 قال لعد، ما نيهود ولندي فاجنهم خطاكم التحصيل
 ما شو موسى بحر جود موري إلا ليعبر فيه سرائيل⁽⁴⁾

وقد غني الشعرء بالأحداث السياسية في المشرق، وعبروا عن روحهم الانتصارات
 التي يحققها مولك لأيوبيين، وعن من أبرره لانتصار الذي حققه لأيوبيون دسترددهم
 دماط من لفرج سنة (618هـ)، إذ كان معظم عسى من حرص الناس على خلاصها،
 وسار مع خيه ملك الأشرف موسى بن مصر، ولتقيا بملك الكمل بن عدل الذي جا
 لى حطة أوقع بالفرج، فقد فتح نسيمون عليهم الترخ وأحدثت بهم العسكرة وقطعت
 عنهم ميرة، فبعثوا بطوبى الصباح مفدين تسليه دماط⁽⁵⁾، وقد عبر لفتح بن حمد⁽⁶⁾ عن
 دنت، مهت ملك الأشرف إذ يقول، مينها بالنصر، وحقاق حق.

(1) معرب، 1، 125، م كمل ابن سعيد لفصدة، بن ذكر أونها فقط

(2) مصر مدح، م رحمة رقم (25).

(3) لأشرف موسى أبو لفتح موسى بن ملك عدل أبي بكر بن توب، توفي سنة (635هـ) ببعته
 في دمشق، نور دمشق بعده أخوه ملك لصانع سمعين، نظر لذين على بروصتين، ص 165
 سبوك، ج 1، و 1، ص 256

(4) بن شعر موسى، غنود لمد في شعراء هد البرمان (مخطوط)، مكتبة لجامعة الأردنية، ج 3،
 ورقة 228، 229

(5) بن على بروصتين، ص 128، 129، اصفدي، حين بن أيت سوافي سوافات، باعتد
 همدت، م فر بن شير بسداد، ط 1، 1962، 96

(6) نظر لفتح، م رحمة رقم (3)

لَهُ كَرُّ هَذَا أَكْبَرُ رُتَبٍ شَبَّهَتْ هَذَا أَوْحُهُ الْأَوْثَانِ وَالصُّنْبِ
وَحُصِّنَ خَوْفُ وَاجِلَاتِ غِيَابِهِ وَاجْتَنَّتْ دَائِرُ أَهْلِ لَشْرِكِ وَالرَّبِّ
ثُمَّ يُبَيِّنُ حُسْنَ تَدْبِيرِ الْمَوْلَى، وَإِحْكَامَهُمْ خُطَّةَ الْمَعْرَكَةِ، وَيَمْدَحُهُمْ مَوْرَباً بِأَسْمَائِهِمْ:

يَا نَلْعَلِيبَ عَيْسَى وَهُوَ عِنْدَهُمْ رَبُّ دَاعَاهُمْ إِلَى التَّقْوَى فَلَمْ تُجِبْ
وَمُيَزَلْ وَهُوَ رُوحُ الْقُدْسِ مَبْدُورُهُمْ آيَاتِ مُوسَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ
فَحَاءُ عَيْسَى رَسُولاً مَرَّ مُحَمَّدِهِ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ مُوسَى لِبَطْشِ وَارْتَهَبِ
فَحَاءُ مُوسَى لِسَدْمَاطٍ عَلَى قَسَدٍ وَالنَّصْرُ يَقْدُمُهُ فِي جَحْفَلٍ جَبِ

ثُمَّ يَصِفُ مَا آتَى إِلَيْهِ لِرَنْجٍ مَنْ لَقِيتَ الَّذِي حَوْلُوهُ الْهَرُوبُ مِنْهُ، لَكِنْ السَّيْفُ كَانَ
بِانتِظَرِهِمْ، فَأَرْغَمُوا عَلَى تَسْلِيمِهِ دَمِيحاً:

وَصَالٌ مَبْ بَيْنَ دَمِيحٍ وَبَيْنَهُمْ بِكُلِّ مَرْتَقَبٍ لِهَوْبٍ مَرْتَكِبِ
مُسْتَيْقِنِينَ بِأَنَّ لَهُ خَابَهُمْ وَأَنْ مَرَجَعَهُمْ لِسَيْفٍ وَلِهَرَبِ
وَأَيْسَ يُهْرَبُ مِنْ مُوسَى وَفِي يَدِهِ لَسَدْنِ جَمِيعاً وَخَيْلُ اللَّهِ فِي اطْطَبِ
وَسَمَوْهَا وَمَا حَادُوا بِهِ كَرَمًا لَكِنَّهُمْ قَدْ قَدُّوا الْمُسْلُوبَ بِالسَّبِّ^(١)

وَيَمْتَدِحُ ابْنَ سَعِيدِ الْمَدَنِيِّ النَّصْرِيَّ، حِينَ فَتَحَ دِمَشْقَ، بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ لَصَالِحِ نَجْمِ
الدِّينِ أَيُّوبَ، يَقُولُ وَاصِفٌ دِمَشْقَ مَلْقِيَةً قِيدَها إِلَيْهِ، غَيْرَ مَمْتَنَّةٍ عَلَى مَا كُنْتَ فِيهِ مِنَ
التَّحْصِينِ:

أَمَّ دِمَشْقُ فَقَدْ أَلْقَتْ رُمَّتَهَا عَلَى يَدَيْكَ عَلَى حُسْنٍ وَتَحْصِينِ
مَ تَمْتَنِعُ عِنْدَمَا قَرُبَتْ سَاحَتُهَا وَجَانِ جَيْشُكَ فِي تِلْكَ لِمَيْدِينِ
مَنْ هَضَمَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَصِيَّةٌ تَلَفَعَتْ مِنْ حِيَاءٍ بِالْهَسَاتِينِ

(١) نظر الفصيدة، عقود الجمان (ميكروفييم)، رقم لشریط 1855، ح 5، ورقة 259

مثلُ عُروسٍ تجتَّتْ في ملايسها بكراً مَجَلَّ من حسنٍ وتزيين⁽¹⁾
وتعطف بن سعيد مع ما حدث للملك المعظم تورنشيه⁽²⁾، لما سار من حصن
كَفَّ و ر أمره إلى الملك، ثم لقتل و هلاك، يقول:

لَيْتَ الْعِظْمَ لَمْ يَسِيرْ مِنْ حَصْنِهِ يَوْمَ— وَلَا وَافَى إِلَى مُلَاكِ—
بَنَ لَعَبٍ صَرَّ إِدْرَائُهُ مُكْمَلًا حَسَدَتُهُ فَحْتَمَعَتْ عَلَى هَلَاكِهِ⁽³⁾

وهناك إشارة إلى مدح بن خروف للملك لأفضل بن الملك لناصر صلاح الدين،
والملك ناصر غازي بن الملك لناصر⁽⁴⁾

كما اتصل برتومون باوزراء و نقضاة، ممدحين ما أولوهم به من رعية وأمن، وهو
أحوج ما يكون إليه في غريتهم، من ذلك ما يقوله أبو عبدالله الغماري⁽⁵⁾ في مدح الوزير
أبي نصر إسماعيل بن يوسف الشيباني بحلب.

وَقَدْ جَمَعَتْ نَفْسُهُ نَظْمِي وَبَطْنُ الْأَسَدِ
وَالْجَيْشُ فِي مَدْحِكَ جَمِيٍّ لَا حِمْلَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ
فَقَالَ لِي كُنْ مِنْ أَمْنَاءٍ وَشَرُّ بَنِي الْمَقْصِدِ
بَنَ الْمُؤَيَّدِ الَّذِي اسْتَجَدَّتْ خَيْرٌ مُنْجِدِ

ثم يثنى على كرمه وطيب أوصيه، مؤكداً على فضائله في رعيته وإعزاز جده:

(1) ابن سعيد معري، مختصر مدح معري في لتاريخ محلي، يختصره أبو عبدالله محمد بن حنبل،
تحقيق، رهبنة أنباري، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ص 2، 1980، ص 7.
(2) الملك المعظم تورنشيه ابن الملك صاحب نوحه الدين أيوب بن سركيس، كتب إقامته بحصن
كيف (مدركو) سنة عن أبيه ما توفي سنة (647هـ)، استدعته شجرة بدر بن مصر فحاء واسترد
دمياط، وحرّضت عليه مهاييث بحرية فقتلوه سنة (648هـ) نظر، وفيت لأعين، 86/5.
الدية والجهة، 192/13.

(3) نسخة، 2، 303

(4) مصر توفي بسوق، 22، 90

(5) نظر محقق، ترجمة رقم (50)

أشهرُ أهـلِ لأرضٍ في مـكـرم وسـمـو دُؤد
أصـو وُهم في شرف الأصـبـر وطـيـب المحتـمـد
أعـزهم جـر ووفـهم بحـسن الموعـد
دامتْ لـه لنعمـة وألـسعـد دوام الأبـد⁽¹⁾

أما لقاضي كمال الدين بن أبي جرادة²، فقد عدا مأوى لغريب، وراحة المسكين،
وحمل لكل ضعيف بعيد عن أهله، كما يقول يحيى بن غانم³ ممتدحاً إياه:

وتركت لشوقي السدير وأهلهب
لعمري الصدر الذي يفتنه
صنق المنيح سيدياً متواضعاً
بأدي السكينة شامخ لعرب
وقصدت مشتجعاً كمال الدين
مأوى الغريب وراحة المسكين

ثم يدعونه أن يوقى أسباب فراق، حتى لا يعنى ما عنده هو من لأم فراق
وقيت أسباب فراق ودمت في
وبقيت في حب على رعم العدم
في كسر خطب مجدي ومعين⁴
ويردد الشعراء معني لاستجدرة والحماية وطب العون من رجال الدولة في قصائدهم،
من ذلك أيضاً بقصيدة الطويلة التي يمدح بها لفتح بن حماد أحد قضاة حلب⁵:

- (1) عقود المحن، ميكروفيسم، رقم شريط (٨٥٥)، ح ١، ورقة 218.
- (2) هو كمال الدين بن أبي جرادة، المعروف بابن العديم، مورخ محدث، ولد بحلب ورحل إلى دمشق وفلسطين وحار واعرقت في القاهرة سنة 660 هـ. انظر فوات نوفا، 3، 126-129
بوف، نوفا، 22، 421-426. نحموم بزاهرة، 7، 208 209
- (3) نضر المحن، ترجمة رقم (56).
- (4) عقود المحن، ميكروفيسم، رقم شريط (1045)، ح 10، ورقة 21 22
- (5) نضر القصيدة عقود المحن، ميكروفيسم، رقم شريط (1855)، ح 5، ورقة 256 258 خط غير واضح

ولم يتوزع بعض الشعراء، من وصف لقصة بعدهم لذوق الأدبي، كما كان من بين
جند شصبي، لدى أشد عبد لقضي شمس لدين بن حكيم وهو ينوب في
حكم بالقاهرة ايته التي يقول فيها

عزف لنسم عرفتكم يتعرف وأحو لغرام حُكمكم تشرف
شرف المتسليم في هراكم أنه صور ينوخ وترة يتنهف
نظفت معديه فهبت مع لصب وقيبه بهوبه لا يعرف
وبد لرفيد ت درى به فلا تبه أخفى لديه من تسيم ولطف
ولاءه بعدوا انسيم ديارهم وله على تسك الربوع توقف

فقد لقضي شمس الدين، يا شيخ فخر لدين لطفته بى أن عد لا شيء، فالتفت
وقال بسنه ... بما معده، أن القضي .. م له ذوق⁽¹⁾.

لقد كنت تجمع الشعراء المترجلين بكبر رحل الدولة علاقات، تقوم في معظمها
على التكسب والاستعطاف وضبط خرية، ولا ينفي ذلك تقدير الموك ولقود واقصة
لعبتهم، وإدراك فضلهم، وإعزاز جنبهم، وإغداق خيرات عليهم، ولعل لأحوار استي
عاشها المترجلون في الوطن الجديد، والتي لم تخل من المضايقات، والشعور بالمرغبة،
وحاجة إلى عون ممن هم في موقع الأمر والنهي، أدت إلى توجيه معظم شعرهم السياسي
هذه الوجهة.

الغربة، والحنين إلى الوطن

يكاد الشعور بالغربة يشمل معظم قصائد الأندلسيين في أغراضها المختلفة، في
علاقاتهم بالموك ولوزراء والقضاة، وفي علاقاتهم بالمدن واجزر والأهـر في المشرق، وفي
مضارحتهم ومحاسنهم. فكل م يروونه في المشرق يذكرهم بأندلسهم الذي فقدوه،
فيقارنون بين أيامهم الماضية في وطنهم، وبين الظروف التي يعانونها في مدن المشرق، فقد

(1) نظر سحق، لترجة رقم (4).

(2) نظر لايت وأحدثة في فوات لوفيت، 263/3 264

صُبحَت الغربة هـ جَسَّ يسكنهم، يرددون نفاظها ومعانيها المختلفة في معظم ما يكتبون،
مكثر من فيه من حنين الدائم لفردوسهم الذي فقدوه، وتدعو، عنه.

لقد رتبطت الغربة بالرحيل لقسري لئلا يبعد بين الاندلسيين ووطنهم، بعد
نوبى سقوط ملوك الاندلسية، وإذا كان لوطن قد انتزع فالشعور بالغربة والألم والشكوى
والتحسر على فوات المطالب لا يفت يلازمهم.

حرص المعربة أن يعطوا قصص نطبع عنهم في ديار الغربة، وهذا شأن الغريب في
غير وطنه، فقد كثر أفراداً فعلمين في كافة لمجالات في المجتمع، مشرقياً كما تبيد في
الفصل الأول من خلال دورهم في الحياة العممية والحضارية، ووظائفهم في احكامات
ولسياسات وت و لمرافق الأخرى. وقد كانت هذه الغربة كما رأينا، تزيد من حرصهم على
التقرب من ذوي الشأن، وهذا قد يفسر مدحهم واستعطافهم للملوك والوزراء، ونقضة،
وقد اشتملت وصيه موسى بن عبد الله بن سعيد⁽¹⁾ لابنه عبي على معظم هذه اجوانب،
حين أورد النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة، فكانت بيته إماماً ودليلاً له في
الغربة، ويقول

وَدَعَاكَ الرَّحْمَنُ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِباً رُحْمَهُ فِي أُوَيْتِكَ
وَمِيسَ يُدْرِي أَصْلُ ذِي عُرْبَةٍ	وَنِمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْمَتِكَ
وَكُرَّ مَا يَفْضِي لَعْدٍ وَلَا	تَجْعَلُهُ فِي غُرْبَةٍ مِنْ إِرْيَتِكَ
وَلَا تَجِدْ أَبَدُ حَسَدًا	فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ

ثم ينصحه بالتقرب إلى ذوي الشأن من رجال الدولة مفسراً ذلك:

وَلَا تَكُنْ تَحَقُّرُ ذَا رُبَّةٍ	فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ
حَيْثُ خِيَمَتْ وَقَصْدِي	صَحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ ⁽²⁾

(1) نصر سحوق، لترجمة رقم (54)

(2) نصح، 2 353 354

ثم دعا بن سعيد بنه بن شحي بحسن خلق، وراححة لعقل، مدعى ذلك بأقول
لشعره في غرته، يقول أحدهم:

يزين عريه بدم غارت ثلاث فمبهن حسن الأدب
وثلاثة حسن حلاقه وثلاثة حبب نرب
ويصور آخر:

يعد رفيع يقوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسب
بذل أرضه عاش فيها بعقبه وما عاقراً في بنية بغريب⁽¹⁾

لكن كيف عبر لشعره عن غرتهم؟ وهل كنت راححة لعقل، وحسن لخلق مخرجاً
للتغيب على لصعوبات تي واجهتهم؟ وهل وحدوا في ليثة جديدة سنوتهم وأنسهم؟
لقد ربط لشعره في قصائدهم ومقصعته، الغربة بصور مشؤومة، موحشة،
ك'غرب، ولذئاب، أو به يدل على الرحيل كالحمن، كما في قول بن عتبة لإشبيي:

ثم لغرات فإنه سبب نوى لا ريب فيه ولنوى أسبب
يدعو لغرب وبعد ذاك يحية جهن وتعوى بعد ذك ذئاب⁽²⁾

ويندز صوت الغرب بفراق وشيث، عنده يقطع لرجاء من اتواصل والعودة،
يقول بن سعيد في صورة مستقصية لما في الغرب مما يتطير به:

إدم غراب لبين صاح فقل له ترفق رمالك الله ب صير ب'بعير
صبح نوح ثم تعثر ماشياً وتبرز في ثوب من حزن مسود
متى حنت صاح البين ونقطع لرجاء كأت من وشك الفراق على وعد⁽³⁾

(1) صفح، 355/2.

(2) مصدر لسوق، 112/2.

(3) ريت مبررس وعديات لميزين، تحقيق محمد رسول الله، دار طلاس لدراسات، دمشق،
ط 987، ص 80 وقد ورد البين الأول والثاني فقط في صفح، 267/2.

ولعل بن سعيد من أكثر الشعراء تعبيراً عن الغربة وما تبعته في النفوس من ألم وشكوى بكل صورته، ويكاد يجذب شعره طرفان مترابطان هما: الشكوى من لغربة، وخين بن الوطن. لذا فإننا نركز في بيان معظم صور الغربة والخين عن دراسة لشعور العرب في شعره، ومدى تباين درجته في البيئات التي عاش فيها بن سعيد بحكم ترحله لدنه.

بلاحظ من خلال شعر بن سعيد أن الإحساس بالغربة عنده كان مبكراً جداً وقبل أن يغادر بلاده إلى تونس أو المشرق، من ذلك القصيدة التي فاه بقرمونة⁽¹⁾ منشوقاً إلى غرطة، والتي جاء في بعض أبياتها قوله:

عُثْنِي دَعْنِي لِحَامِ الْمُطَرَّتْ	بَكْسِي هِ وسواس فكري يُهْبِ
وَمِنْ مَبَّةٍ حَتَّى أَعَانَقَ يَكَّةً	وَالْتَمَّ غُغْرًا فِيهِ لِنَصْبٍ مَسْرُتْ
فَأَيْنَ رَمَلٌ مِ يَخْنِي سَاعَةً	بِهْ وَهْوُ مَسِي فِي التَّنْعَمِ أَرْغَبْ
فِي أَيَّتْ مَ وَى مُعْدُ نَعِيمُهُ	وَأَيُّ نَعِيمٍ عِنْدَ مَنْ يَتَغَرَّبُ؟ ⁽²⁾

لقد عد بن سعيد بعده عن غرطة غربة، وحنَّ إلى أيام نسه ونعيمه فيها، ثم لا يثبت أن يبكي زماناً تقضى فيها، ويحنُّ إليه، فيقول:

حَبْلُ عَيْشٍ قَطَعْنَاهُ لِي	مَعْطَسُ أَخْبُورٍ مَ فِيهِ نَصْبْ
يُ عَيْشٍ سَمَخَ الدَّهْرِ بِهِ	كُلُّ نُعْمَى ذَهَبَتْ لَكَ ذَهَبْ ⁽³⁾

وتزداد صورته الحزين في شعره وضوحاً، حين يترك ملاعب صباه في شيبية ويذهب إلى مملكة، فيصحب أسير شوق، سهرأ نيه، باحثاً عن أثر به، يقول منشوقاً إلى الجزيرة خضراء لإشيبية

- (1) قرمونة (αρχον) مدينة كبيرة تقع شرق شيبية، تمتاز بحصنتها، وفيها آثار كثيرة ودار صاعدة ابروصر المعاصر، ص 461
- (2) النصح، 2، 285، 284، 285
- (3) المصدر لسوق، 2، 259.

بِ نَسِيمٍ مَنْ نَحْوَتِكَ نَوَّحِي كَيْفَ بِاللهِ نَوَّرُ تَدْنِكَ لُبْطَحِ
 يَدِ رَمَانِي بِحَاجِيَّةٍ إِنِّي لَسْتُ مِنْ سُكْرِ مَا لَقِيتُ صَاحِي
 هَمَّ لَقِيتُ بَعْدَكَ مِنْ هَمِّ وَشَوْقٍ وَغَرْبَةٍ وَتَزَجِ
 يُسْنِفُ نَوْمٌ نَفْسُهُمْ فَتَكَلَّمَ قَرَّبَ لِدَهْرٍ ذَلُّوا الزَّوْجِ
 تَرَكَوْنِي سَيْرٍ وَحِيدٍ وَشَوْقٍ مَا لِقَلْبِي مِنْ جَلْوَى مِنْ مَرَحِ
 شَهْرُ الْبَيْتِ لَسْتُ غَفِي نَصْبَحِ أَتُرَى لِنَوْمٍ ذَاهِبًا بِالصُّبْحِ
 نَ . نَوْمٍ لِفَرْقٍ بَدَّدَ شَمْلِي طَارَأَيْتَهُ بِغَيْرِ جَوَّاحِ⁽¹⁾

وفي مرسية شرق الأندلس، يرداد إحساسه، بالاغتراب، ويصور مكابدة ومساءته
 عن ربوع إشبيلية، صاب من الحزن أن يعيره جناح ليضرب به إليها، يقول:

فَنَفْسُهُ وَجَدُهُ فَبَاحَ وَزَدْتِ بِمُحْسَنِهِ فَتَحَاحَا
 وَرَامَ يَشِي لِدَمَوَعٍ حَرَّتْ فَزَادَتْ لَهُ جِدَحَا
 يَكْسِدُ لِمَوْتٍ كُلِّ حِينٍ لَوْ أَنَّ هُ مَاتَ لَأَسْتَرَحَا
 يَسْزُو⁽²⁾ إِذَا مَا رِيحُ هَبَّتْ كَنَّهُ يَعِشُّ الرِّيحَ حَا
 كَمْ قَدْ بَكَى لِلْحَزَنِ كَيْفَ يُعِيرُهُ نَحْوَهَا جِدَحَا⁽³⁾

ولعل تنقل بن سعيد المبكر مع ولده وخروجه من إشبيلية، ومرافقة ولده في
 رحلاته، قد أوجد مثل هذه لنزعة في شعره، كما أن حياته في إشبيلية كان فيها من
 لاستقرار ما جعله يتعمق بها، بالإضافة إلى أنه وُلد في لفترة التي بدأ فيها رحلته
 لإسباني يقترب بعد موقعة لعقاب سنة (609هـ) مما كَوّن استعداداً نفسياً لندى

(1) لنصح، 2/ 308.

(2) يروى يثور ويتحرق، وفي دخمه من نوحه، معجم وسيط، مادة نَوَّ.

(3) لنصح، 2/ 307.

الأندلسيين للاغتراب^(١) إلى جانب طبيعة تكوين ابن سعيد، التي جعلت لديه استعداداً للنشبع بشعور العربة واخنين.

إذا كن لشعور بالغربة، ولبكاء على أيام الأناضول والصبيا في شعر بن سعيد وهو دخل حدود الأندلس، فإنه تسع وازداد حينه حل مع أبيه في بلاط لسلطان خفصي أبي زكريا في تونس، وتقلت به الأحوال وكثرت القلاقل والوسايات، مما زاد من شعوره الحاذ بالغربة التي يساويها بالموت، لا سيما حينه اشتد خلاف بينه وبين ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الحسين^(٢)، إذ يقول في بعض أبيات قصيدته:

هس هجرٌ لآلٍ يطول لتحنُّبٍ ويبعد من قد كن منه لتقرُّبٍ
إلى لله أشكو عذركم وملاككم وقد لآله دك لتعدُّبٍ يعذبُ
فهلأ رعيتم آله في ذراككم غريبٌ وليس الموت إلا التغرُّبُ^(٣)

ثم يشكو أصحاب المنافقين الذين فضت لغربة على مصحبتهم إن قورت بهم فهم داءً دفين، واذنب تخفي حقدك بالأسنة معسولة، فعدت غربته غربتين: غربة البعد عن الوطن، وغربة لعالم المتأدب بين قوم جهال، يقول:

صحت هم داءٌ لدفين فيسي ومُؤذنٌ منهم للذنب صحو
كلامهم شهادٌ وكنا فعلهم كسُم له بين الضوع ديب
سارحل عنهم ولتجربُ مُتذع قلبي هم شينٌ عيه أثيب
إذا عذب لإسنان عمر يسوؤه في هو في لإبعاد عنه غرب

(١) محمد جبر لأصدي لتفاع شقافي بين مشرق ومغرب في أدب بن سعيد مغربي، دار معرب لإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ط ١، ص ٦٠.

(٢) صر نصير ذلك في صفح ٢٧٧

(٣) صفح ٢٧٩

فإليست آتي لم أكن متأدباً ولم يك لي أصل هنك رسوباً^(١)

ويرتحل ابن سعيد مصر، ويكون الاغتراب المرير الذي يصل حد التآزم والألم لمصر، وتزيده المدة التي يقابلها المغاربة بصورة عامة في مصر، وهو ما أشد إليه انديد من المرحلين، من ذلك ما أورده ابن جبير من معاملة أهل الإسكندرية للحجاج مغاربة وتفتيشهم، ودخل لأيدي في أوسطهم بحث عم فيها، وهذا كما يقول لا يخفى بسبب العدة عند صلاح الدين الذي لو علم بذلك لأزاله^(٢). ونقل العبدري في رحته بعض ما شهدته أو سمعه عن غنظة أهل القاهرة في معاملتهم للغرباء من المعاربة، وشبه أهل الإسكندرية «بجسم لا روح فيه» لسوء أخلاقهم في معاملة الغرباء^(٣). وإن كان العبدري قد تطرّف في نقمته على المصريين، إلا أن ذلك لا ينفي عدم رضى مغاربة بصورة عامة عن أهل مصر ومعاملتهم. لكن ذلك لا يعدم وجود صور مشرقة لتعامل المصريين مع المغاربة، من ذلك ما نقله شجبي في رحلته عن حسن معاملة الحجاج في قوص^(٤).

على ضوء لصور الموجزة لأراء بعض الرحالة في مصر، نعود إلى معدة ابن سعيد، والاطباعات التي حملها في رحلته إلى مدن مصر. فقد تدخلت عدة عوامل جعلت غربته تزداد حدة، فهو غير راضٍ عن بعض جوانب الحياة في مصر من حيث المستوى الحضري، وطباع الناس، وتعدّد حجه، ومقارنته ذلك كله بحياته في الأندلس، مما يضاعف في مرارته وكملده.

ونفسطاً كما صورها ابن سعيد في القرن لسابع الهجري ضيقة لأسواق، غير مستقيمة لشوارع، مغرة الافق، ولقاهرة لا تقف حظاً عنها في كثرة الزحام، وسوء لتبصير، ورعه سلوك أساس ولتهمهم اطعم في الأسواق غير محتشمين^(٥). ويسير في

(١) اسفح، 2 276-277

(٢) انظر حجة ابن جبير، ص 14-15.

(٣) انظر رحمة العبدري، ص 126-127، ص 92-93.

(٤) مصر المدونة، ص 49-50

(٥) انظر مغرب عيسى حسان مصر، ص 4 12 12، صفح 37/2 39 د.

طرف مصر، فيجد كل ما يراه غريباً، يتمتعن في وجوه الناس فلا يجدهن مألوفاً، بل تزيد من غربته وشعوره بالضيق والوحشة التي تنف لأحاط، يقول:

أصبحت أعرّض لوجوه ولا أرى ما بينهن وجهاً لمن أدريه
عؤدي على بدني ضاللاً بينهن حتى كأي من بقيات التيه⁽¹⁾

وتتدى له عده صورة إشبيلية التي يشتد تحسره وبكؤه على مفارقتها، يقول:

هذه مصر وأين المغرب؟ مدناى عني دموعي تسكب
أين حمص؟ أين أيمي به؟ بعدها لى شيئاً يعجب

ويعوده ذلك إلى تذكر أيام هوه ونسه في ربوع شيبية

ثم تقضى بيها من إندة حيث لنهـر خريـر مصر
وجاه لأيك نشدو حولنا ولثني في ذراها تصحب
ولنو غير التبي نذكأها بالنوى عن مهحتي لا تسلب
بسدة طأت ورب غفر ليتني ما رلت فيها أذنب⁽²⁾

وكانه أراد ابن سعيد حينما ربط بين الحديث عن الغربة وبين وصف مجالس النهر في لأندلس، المقدرة بين حياته لمنعمة في الأندلس، وحياته في مصر وما يلاقي فيها من ضنك ومشقة.

ويصف ابن سعيد ضمراة ركوب البحر من باب زوية في القاهرة إلى لفسطاط، وينقل هذا المشهد بصورة كاريكاتورية ساخرة، مثيرة للضحك ولألم في ن

لقيت مصر شد بوز ركوب لمار وكحل نجر
وحمي مكرب فوق رباح لا يعرف أرفق مهي استطر

(1) لاحضة، 4 154 55، الفصح 2 262

(2) صفح، 2 28

أَنْدِيهِ مَهْلًا فَلَا يَرَعُوِي بِي أَنْ سَجَدْتُ سُجُودَ الْغَيْثِ⁽¹⁾

ويعرض بن سعيد هذه الحادثة، حينما يصف ركوبه زورقاً في نهر إشبيلية، حيث تشدى المفارقة بين المبتئين:

كُنْ تَغَامَاتٍ لَدَيْهِ تَطْرُبُ	يُسِرُّ حُسْنُ الْبَيْتِ مَسْنُ تَهْرِبُ
قَمَرٌ سَاقٍ وَعُودٌ يُضْرَبُ	كَمْ بِهِ مِنْ رَوَاقٍ قَدْ حَلَّ
وَكُنْكُمْ مِنْ جَمِيعٍ إِذْ يَرَكُّبُ	كَمْ رَكِبْنَاهُ فَلَمْ تَجْمَعْ بِهِ
تَعَبٌ مِنْهُمْ إِذَا مَا تَغَابُ	صَوْنٌ حَيْثُ اتَّجَهْنَا مَنَاجِدُ
تَرُ سَبَكٌ فَوْقَ تُسَطِّ يَنْهَبُ ⁽²⁾	قَدْ أَتَرَتْ عَثِيرًا يَشْبَهُهُ

وقد تركت معاملة المصريين في نفسه أثراً، حينما نظروا إليه كأبي فرد مغربي، وهو ينسب إلى أرفع الأسر الأندلسية، وله دوره لسياسي والعممي المتميز، فقد تعجبوا من خطه المغربي، غير أنهم يذكّنه، ونباهته وطيب أصبه.

هَاتِبٌ فِيهِ فَرِيدٌ مَهْمَلٌ	وَكَلَامِي وَنَسْنِي مُعَرَّبٌ
وَأَرَى لِأَلْحَظِّ تَنْبُو عِنْدَمَا	كُتِبَ الْطَّرْسُ أَفِيهِ عَقْرَبٌ؟
وَإِذَا حُسْبٌ فِي الْبَدْيِ نِلْمٌ	يَدِرُ كُتَابُهُمْ مَا أَحْسِبُ
وَأَنْبَدَى مَغْرِبِيًّا لَيْتَنِي	لَمْ كُنْ لِلْمَغْرِبِ يَوْمَ أَنْسَبُ
نَسَبٌ يُشْرِكُ فِيهِ حَمَلٌ	وَنَبِيَّةٌ يَنْ مِنْهُ الْمَهْرَبُ؟
أَتَرَنِي لَيْسَ يُجَادِلُهُ	شَهْرَةٌ؟ أَوْ لَيْسَ يُدْرِي بِي أَبُ؟

عنده يدرك قيمة الوطن الذي فارقه جهلاً كما يقول:

فَدَرَقْتَهُ النَّفْسُ جَهْلًا إِنَّمَا يُعْرِفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَدْهَبُ⁽³⁾

(1) المغرب، نفسه تخاص مصر، 6/1، نصح، 2/340

(2) انصح، 2/282

(3) المصدر سبق، 2/283

ويتبدي ضيع أماله ومقصده حينما يتعذر عليه الحج، يقول شاكياً:

قَرُبَ المَرَارُ وَلَا زَمَانٌ يُسَعِدُ كَمَ ذَا أَقْرَبُ مَا أُرَاهُ يَعْدُ
وَرَحْمَةً لِمَنْ يَمِيزُ غَرْبِيَّةً وَمَعَ التَّغْرُبِ فَأَنْهُ مَا يَقْصِدُ
يَا سَاكِنِينَ لِيُثَرِّبَ بَغْنَمُكُمْ قَدْ عَاقَبَنِي عَنْهَا الزَّمَانُ لِأَنْكَدُ
أَعْمَلْتُكُمْ إِنْ طَرْتُ دُونَ مَحْهَبِ سَبَقْتُ؟ وَهَ أَنَا بِذِئْدَانِي مُقْعَدُ

وكي ضاعت آماله في الحج، فقد ضاع عمره في الغربة كما يقول:

إِنَّ عَذَابِي وَطَنِي اعْتَرَفْتُ بِحَقِّهِ إِنَّ التَّغْرُبَ ضَاعَ عُمْرِي فِيهِ⁽²⁾
ويظهر بن سعيد بعد الشكوى مُريرة استعدداً لاستعادة مكانته، ويبرر أن ما آل
بِهِ فِي مِصْرَ مِنْ ضَعْفَةٍ، إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُ كَالْأَسَدِ خَارِجَ عَرِينِهِ، وَكَالسَيْفِ الَّذِي لَا يَلَامُ إِنْ وَقَعَ
فِي يَدِ جَبَنٍ، يَقُولُ:

فَإِنْ كُنْتُ فِي أَرْضِ التَّغْرُبِ غَرِيباً فَسَوْفَ تَرَنِي طَالِعاً فَوْقَ غَرِيبِ
فَصَمِّصْهُمْ عُمُرِي حِينَ فَرَّقَ كَفَّهُ رَمَوْهُ وَلَا ذَنْبَ لِيَعْجِزَ الْمَضْرِبِ
وَمَا عِزَّةٌ لَصَّرْ غَمٍ لَا عَرِينُهُ وَمَنْ مَكَّةَ سَادَتْ لُؤْيُ بْنُ غَالِبِ⁽³⁾

ثم يثني ابن سعيد عزمه على العودة إلى المغرب، بعد ما وُحِدَ أَنْ مَا فِي مِصْرَ بِرَقِ
خَادِعٌ كَمَا يَقُولُ:

سَوْفَ تُنْثِي رَاجِعاً لَا غَرَنِي بَعْدَ مَا جَرَّبْتُ بِرَقَ خُلَافِ⁽⁴⁾

وحينئذ ينتقل ابن سعيد إلى الشام، يدخل شعره مرحلة جديدة، ولا نرى في شعره
هَذَا الْأَثَرُ الْحَادِ لَشَكْوَى، وَالشُّعُورَ بِالْغَرْبَةِ، بَلْ كَانَ شَاعِراً يَعْكُسُ عَجَاباً وَانْسِحَاماً مَعَ

(1) نُفْح، 2/ 3

(2) مِصْرَ سَانِق، 2/ 262.

(3) مِصْرَ سَانِق، 2/ 267.

(4) مِصْرَ سَانِق، 2/ 283.

تلك البيئة الجديدة⁽¹⁾، وربما كان ذلك شدة لتقارب وأشبه بين البيئة الأندلسية والبيئة
الشمسية بالإضافة إلى ما وجده ابن سعيد من احتفاء به في البيئة الحسبية، واتصاله بذلك
لنصر الأيوبي، وسنقف عند وصف ابن سعيد لمن لشبه وبيئتها في موضعه من
لدراسة إن شاء الله.

وشك الشعراء مرتحون من لغرب كثير لدين أبي حيان، ولكنه لم يصل في شكوه
إلى الحد الذي وصل إليه ابن سعيد، فنراه يشكو انعدام الأصدقاء في مصر بعد إقامته فيها
عشرين سنة، يقول:

فلمّا نزلّ منها مديّ لدهر طيلاً ولما نجد فيهم صديقاً نواذره
ويعتز بنفسه وبالأندلسيين، من خلال حديثه عن دورهم في إحياء علم النحو
وقرءاتهم، يكتبه، يقول:

وما زال من أهر أناسٍ له جهلٌ بذُبدي فضّه وتناجده
أثرٌ كثيرٌ لغربٍ نُنحوا كأمٍ وعالجه حتى تبدّت قو عده
إذ مغربيٌّ حطّ بالغرّ رحله تيقن أن النحو أخفه لا حده

ثم يتبع هذا لأبيات بالشكوى من حامي لذهن، لذين تبة ذكرهم في مصر، ونوا
ما لا يستحقون، بيني كن المغربية هم لأولى بذلك، لإعصائهم هذا لعلهم حقه:

لقد أحرر لتصدير عن مستحقّه وقدم غمرٌ خامد الذكر هامة
علا عقفه فيهم هوّه في درى بأن هوى الإنسان للناس قيده⁽²⁾

ويبدو في ذلك متعصباً للأندلسيين، فالمشاركة هم الأصل في وضع قواعد هذا
لعلم، كما أورد في بداية القصيدة مبرراً دور خليل وسيبويه وغيرهم، فكيف يرى أن
لمغربة تُقدّر على درسته و ستحلأ مسائله، منكرأ دور المشاركة في ذلك؟

(1) انتداع الثقفي، ص 267.

(2) الإحصاء، 4 55 56 انصر القصيدة كملة ص 50-56، لم ترد هذه القصيدة في الديور

ويشتد شوق ثير لندس للأندلس، ويشكو لفرقة والبعد عنها، يقول:

يا فرقة أبدلتني بالسرور أسى وأسهرت ناظراً قد طالما نعبس
تلى يكون جتماع بين مفترق جسم بمصر وروح حل أندلس⁽¹⁾

ويستذكر مرتحون من المغاربة هذه لأبيات، لأنها تعبر عن وحشتهم في ديار
لغربة، وفقد نهم لوطن، فنرى القصدي يردد هذه الأبيات في رحته للمشرق في القرن
لتاسع هجري، إذ يقول: «ولما زال عد وعناء السفر، حنت النفس إلى الوطن، وتشوّف
خطر إلى الظعن، وستحضر خير قور أبي حين...»⁽²⁾ ثم يورد لأبي. مما يدل على
ستمرارية تأثير الغربة فيهم، واستذكر ما قبله إخوانهم ارتحلوا قبلهم، وشكوا
شكواهم

ويتردد صدى لشكوى من الانتزاع والبعاد وتمني لاجتماع بالأهل في شعر معظم
مرتحنين، من ذلك ما يقوله عيسى بن سليمان لرعي⁽³⁾:

هذا كتب قصي لدرمتمحن فرقة الأهل وإخوان والوطن
يشكو لبعاد وم قد ظل يرثقه من سوء فعل النوى في سير والعلن
فانه يجبر نكبي ثم يجمعني قبل المساء بمن أهوى بلا محن⁽⁴⁾

وكم شكا الشعراء ضياع لعمر في لغربة، فقد شكوا فوت المطالب متمنين عودة
لماضي، يقول يحيى بن غانم:

خبي من لوائه لتغرب بأرضكم قد فته كل مطلب

(1) ديوان ثير لندس أبي حيد، تحقيق: أحمد مصوب، وخديجة حديشي، مطبعة لعالي، بغداد، ص 1،
1959، ص 224

(2) رحلة لقصدي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجدن، لشركة لتوسية لتوزيع، تونس، 1987،
ص 148.

(3) نظر ملحق، الترجمة رقم (29)

(4) عقود جبر (مخطوط)، ج 5، ورقة 229.

خَيْلِيَّ قَوْلًا وَالْخَدِيثُ كَيْ حَكُوا شُجُونًا وَدَهْرِي سَاخِرٌ بِكُي وَبِي
هَلْ الزَّمَنُ الْمَاضِي بِي قَدْ مَضَى بِهِ يَعْدُو لَوْ مِنْ كُلِّهِ بِالتَّقَرُّبِ^(١)

ومن لطريف أن الشعراء قد قَسَمُوا حُرُوفَ غُربَةٍ، وجعلوا لكل حرفٍ معنى يشكّل ما في نفوسهم من أَسَى وغم، وذلك ما ورد عن عيسى بن سليمان تُرْعِنِي بما أشده. ياه عبدالله بن أحمد بن أبي بكر القرطبي^(٢):

وَحُرُوفُهَا مِنْ كُلِّ بؤْسٍ رُكِبَتْ لِسْتَعْمٍ مِنْ تَغَشَاءٍ بِالْأَشْجَانِ
فَالْغَيْنُ مِنْ غَمٍّ وَغُيْنٍ دَائِمٍ وَالرَّاءُ مِنْ رُزْءٍ عَلَى الْأَوْطَانِ
وَالْبَاءُ مِنْ بُرَحٍ وَبَيْنٍ وَبَيٍّ وَلَهَاءُ مِنْ هَمٍّ وَهَدْنٍ دَانٍ^(٣)

وقد وردت إشارات كثيرة للشكوى من ألم البعد ولحنين والشوق للوطن، وقد ارتبط أحياناً بالتوسل بالرسول ﷺ^(٤)، ولا تخرج في معظمها عن المعنى التي وردت

لقد متزحت الغربة نفوس الشعراء، فعبروا عنها في كل مواقفهم، وجعلوها مبرراً لكل ما يلاقونه من مصعب في ديار لغربة، ورسومها صوراً صادقة تعبر عما في نفوسهم، وصت حدّ المبالغة أحياناً، وهذا شأن الغريب.

وصف مدن المشرق، والمظاهر الحضارية فيها

لقد شكّا الشعراء من الغربة والانتزاع وفوت المطالب في بلاد المشرق، لكن هل كانوا راضين عن مدنها، ولما ظهر حضارية فيها؟ وما هي الانطباعات التي حملوها عن هذه البلاد؟ وكيف تعاملوا مع مظاهرها حضارية من حزر ونهر وبرك وبساتين؟ وما نذري عكسته صفاتها في نفوسهم وما ارتبطت به هذه الصفات من شاهدها وعيشها في

(١) عقود الجمان، ح ١٥، ورقة ٢٥.

(٢) ورد ذكره من خلال حديث عن عيسى بن سليمان تُرْعِنِي، حيث عاصره وأشده، ويرجع من الأخبار أنه من مُرحبين، لكنّه تردّله ترجمة. نظراً عقود حمّان، ح ٥، ورقة ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) عقود حمّان، ح ٥، ورقة ٢٢٨.

(٤) نضر، لإحصاء، ٤٦٤/٢، الوفي، ١٤/٢، المصح، ٦٠٩/٢ ٦١١.

ديارهم البعيدة في لاندس؟ وهل وجدت مفارقة بين ربيهم بمدن مصر وربيهم بمدن الشام؟

لنبداً بمصر ومدنها ومظاهرها احصائية، ثم نتقل إلى الشام، حتى نستطيع أن نخلص إلى مقارنة بين انطباعاتهم عن بعض مدنها.

فبن سعيد يعرض جانبين متباينين في وصفه لمدينة القسطنطينية، فقد عاين ما كرهه منها مثل كثرة غبار الأسود الذي دس ثيابه حينها طار به احمار في ظنمة الأزقة، وضيق الشوارع، وقد سبق إيراد شعره في ذلك⁽¹⁾ ثم يذكر إدبار المسرة عنه حين دخنها، وقسي من ردهم الناس فيها، وما عاينه من ضيق الأسواق حول مسجدها الجامع، وهذا صدق ما وجدته كما يقول في جامع إيشيية، كما رآه عدم احتشام الناس حينها يكتفون في عدة أماكن، والنصبان حينها يعبون في ساحة لمسجد ويكتبون على حيطانه، ويأتي للمقارنة مرة أخرى بينه وبين جامع إيشيية وما فيه من الزخرفة ولأنقة، ولبساتين في صحنه، إلا أنه كان يصف بصدق شعوره بالارتياح والأنس في جامع القسطنطينية، لارتباطه بالصحة ووقوفهم في مسحته⁽²⁾.

ومع كل هذه الصور التي لم تعجبه في القسطنطينية، إلا أنه وصف مشهدها، والمدينة التي باتت في صيرة وهي نوع من القوارب على جنب النيل، حيث بدت لمراكب كأسراب قط وسط أمواجه الرقراق الرطبة، يقول:

نزلت من القسطنطينية أحسن منسوز
وقد جُعبت فيه المركب سُخرة
وأصبح يصفق الموح فيهِ ويرتمي
ثم يصف ماءه لعذب

حلا موه كالتريق ممن أحبه
فمَدَّت عليه حُلَّةً من حُلَى الحَدِّ

(1) انظر الدراسة، ص 97

(2) انظر المغرب، قسم مصر، ص 706، للمص، 340 341

وقد كَانَ نَشْرَ النهرِ مِنْ قَبْلِ مَدَّهِ فَأَصْبَحَ لَمَّا زَادَهُ الْمَدُّ كَلَوْزِدٍ⁽¹⁾
ونراه يعلل وصفه هذا الماء النير بقوله: «لأنِّي لم أَذُقْ في نِيَاهِ أَحَدٍ مِنْ مَائِهِ، وَإِنَّهُ
كُونَ قَبْلَ الْمَدِّ الَّذِي يَزِيدُ بِهِ وَيَفِيضُ عَنِ أَقْطَارِهِ أبيضُ، فَإِذَا كَانَ عَبَبُ النِيلِ صَارَ
أُخْضَرَ»⁽²⁾.

ويمتدح بن سعيد أهل الفسطاط بلطفة ولين لكلام، وكثرة المازحة، ويفضلهم
في ذلك على أهل القاهرة⁽³⁾ دون إيراد شعر له فيهم، لكنه يدل على ذلك شعر لأحد
معاصريه، وهو أَيْدَمَرُ الْحَيَوِيِّ⁽⁴⁾، إذ يقول:

حَبَبْنَا الْفُسْطَاطَ مِنَ الْإِمْدَةِ جَنَّبْتُ أَوْلَادَهُ دَارَ الْجَنَفِ
يَرْدُ النِّيلُ، يَهِيهِ كَدِيرًا فَإِذَا مَرَّ رَجَّ أَهْلِيهِ صَفَا
لَطْفُوا وَافِ الْمُنْزِلَ لَا تَلُفُّهُمْ حَجَّالًا مَارَاتُهُمْ أَلْفُ⁽⁵⁾

وهذا الشعر يعكس رأي ابن سعيد فيهم.

ويفضل ابن سعيد بين لفسطاط والقاهرة فيرى «أن الفسطاط أكثر أَرْزَاقًا،
وَأَرْحَصُ أَسْعَدَاءَ مِنَ الْقَاهِرَةِ، لِقَرَبِ النِّيلِ مِنَ الْفُسْطَاطِ، فَالْمَرَكَبُ لَتِي تَصِلُ بِاخْتِيارٍ
تَحْصُ هُنَاكَ ... وَلِقَاهِرَةِ أَكْثَرِ عِمَارَةٍ وَاحْتِرَامًا وَحِشْمَةً مِنَ الْفُسْطَاطِ، لِأَنَّهَا أَجَلُ مَدَارِسَ،
وَأَضْحَمُ حَدَثٍ، وَأَعْظَمُ دِيَارًا لِسَكْنَى لِأَمْرٍ فِيهَا لِأَنَّهَا مُخْصَوَصَةٌ بِالسُّنْطَةِ»⁽⁶⁾، لكنه

(1) المغرب، قسم مصر، ص 8، نفح، 2، 342.

(2) المغرب، قسم مصر، ص 8، 1، 342/2، نفح.

(3) المغرب، لخص بمصر، 9/1.

(4) أَيْدَمَرُ مُحْبَبِي أَيْدَمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لُتْرَكِي مَكِّي عِلْمُهُ الْإِسْلَامِي، شِعْرُهُ لَهُ قَصِيدَةٌ وَمَوْشِحَاتٌ، أَعْتَقَهُ
يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَتَقَهُ بْنُ شَكْرٍ لَكْتُبِي فَخَرُ لُتْرَكِي (ت 674هـ)، الغوت، 1، 208، التركي:
لأعلام، دار النعم للملايين، بيروت، ط 9، 1990، 2، 34.

(5) المغرب، قسم مصر، ص 9، ترد هذه الأبيات في ديوانه

(6) خطط، 1، 367.

لا يستشي لقاهرة من اشهد التي عين بعضها في لفسطاط من كدرة وزحم وجو مغبر
فتنقبض نفسه، ويفر أنسه⁽¹⁾، ويقول راداً على رفاقه الذين يحضونه على العود إليها.

بقواون سفيرى لقاهرة ومالي بهار اخة ظاهرة
رحام وضيق وكرب وم ثير به رجس سيرة⁽²⁾

وقد صور العبدري لزحم فيها بقوله: «والزحام متصل، ونطرق غصنة باحق
حتى ترى الماشي فيها ما له سوى لتحفظ من دؤس الدواب يده، ولا يمكنه تأمل شيء في
لسوق، لأن الحق يندفعون فيها مثل ندفع السيل»⁽³⁾.

ولا يفوت ابن سعيد المقارنة بينها وبين بلاد المغرب، «فأكثر دروب القاهرة ضيقة
مظلمة، كثيرة التراب والأزبال، ولبني عبيها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك
لهواء والضوء بينهما، ولم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالاً منها في ذلك»⁽⁴⁾، ولا يخفى ما
في هذا نراي من تعصب ومبالغة.

كما صور ابن سعيد تعذر المعيش فيه ونزرتها على لسان أحد شعرائها في القرن
للسبع الهجري وهو أبو الحسن النور بن سعيد، ذيقول:

كم دثقي به بمصر معذباً بدويها
وكيف ترجو واداهم ونسحب تبخل فيها⁽⁵⁾

وقد نقل عن العبدري في ذلك أن رسولاً من قبل الروم وصل إليها، فأمر الملك أن
يدوروا به بعد لعصر حتى يرى عمرة لبد، فداروا به فقل لهم: «إن بدهم هذا

(1) حفظ، 1، 366.

(2) صفح، 2، 346.

(3) رحمة لعبدري، ص 128.

(4) حصص، 1، 366.

(5) صفح، 2، 350.

ضعيف». فقالوا: كيف؟ أو ما ترى المخدوق الذي به⁽¹⁾. فهو لم يكن يقصد كثرة الناس. بل قلة موارد وشرء الناس حياتهم يوماً بيوم. وفي ذلك قال عنها ابن بطوطة: «إنها محط رحل لضعيف وقادر»⁽²⁾.

ولا ينسى بن سعيد وصف موضعها الحسنة. ولا سمي أرض لقرط⁽³⁾ والكتان. يقول.

سقى لله أرضاً كس زرت روضها كساه وحلاها بزيتيه القرط
تحت عروساً وانيه عقودها وفي كل قُطرٍ من جوبيه قرط⁽⁴⁾

كم وصف لشعراء نهر النيل الذي عُده من عجائب الدنيا، لخصوبة أراضيها وكثرة محاسنها⁽⁵⁾. يقول ابن حروف القرطبي معجباً بجدان التي تحيط به، واصفاً زيارته.

ما أعجب النيل ما أحلى شربه في ضفتيه من لأشجار أدواخ
من حنة الخند فيض على نزع تهت فيها هبوب ريح أرواخ
يسب زيارته ماءً كرمو وإنما هي أرزق وأرواخ⁽⁶⁾

وقال بعض حكماء عن هذه الزيادة: «لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة رمن لصيف على التدريح، حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء

(1) راحة حدري، ص 128

(2) راحة بن بطوطة، 1، 53.

(3) قرط نبات كثرة لا أنه أجل منها وأعظم ورقاً، نعمة الدول، انظر: محمد حسن آل ياسين، مُعجم نبات وورد عفا، مطبعة لمجمع العلمي بقرقي، بغداد، 1986، 1/ 481.

(4) لُفح، 1/ 346

(5) هروي، لإشارات، ص 50، خنط، 1/ 63.

(6) لو في، 22، 92، السيوحي بعية الدعة في صقت للعوين والنجاة، تحقيق: محمد أبو عصير هيم، در تفكر، القاهرة، ط 2، 1979، 2، 204. لأرواح جمع رُوح لله، أي رحمة عبادته ساد معرف، مادة رُوح.

الزرعة لفسد إقليم مصر، وتعدّر سكّه، لأنه ليس فيه أمطار كافية، ولا عيون جارية»^(١).

ويقرون ابن سعيد بين هر النيل وهر شبيلية، إذ تكثر التماسيح في النيل، بينما يُسبح في نهر شبيلية دون خوف لخلوه من التيارات والتماسيح:

يـ نيل مصر أين حمص ونهر هـ حيث المناظر نجم تتح
في كل شط للمناظر مسرح تدعو إليه منازة وبطح
وإذا سبحت فست أسبح خائف ما فيه تيار ولا تمساح^(٢)

وقد ذكر لمقريري عن كثرة التماسيح وعن فرس البحر التي تعترض لمراكب وتلاحق تلك لتماميح وعن كثير من لأسر ك مؤذية^٣ التي تعيق لسباحة.

ولعل من لطيف أن نورد هنا أبياتاً لأثير الدين أبي حيّان في وصف تمسيح النيل وطئعه، وطريقة أكه و لتهامه لفريسته، راسماً ها صورة لا تخلو من الرهبة:

وخلق غريب لشك في مضر ناشئ وم هو في أرض سوى مضر يوجد
هو السبع العادي نيل صعيده يقاوض^٤ من لواء في نيل يقصد
ويخطفه خطف العقاب لصيده ويفصنه عضو فعضواً ويزرّد
وم من شخوص النيل حق له يد ورجل سواه وهو في البر يصعد
له ذئب مرحى طويل يقيمه يلف به من كان لناس يفتقد
وس نانه نثى على ذكر أتت يكسر العظام الصلب منها تفقد
ويحفر في رمس ويسدفن بيضه يعهده غب إلى حين توكد
ولا تغمر الأسياف فيه كائنا على جلده منه صفيح مسرد

(١) حطط، ٥١

(٢) لمع، ٢ 306

(٣) نضر، حطط، ١ 67-69

(٤) ماقص يشتت وجمع، سب العرب، مادة (قصص)

وَلَكِنْ تَحْتَ الْإِسْطِلْنِ جَلْدَةً فَمِنْهَا الْمَذِيبُ دُونَهُ تَصْعَدُ
وَيَفْتَتُهُ جَمُوسٌ فَهُوَ إِذَا ذَرَى بِهِ فَرَّ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّبْحِ يَجْهَدُ
وَيَحْدَعُهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَصِيدَهُ وَيَرْبِطُهُ كَالْغَنَرِ بِالْحَبْلِ تُصَفَّدُ⁽¹⁾

وإذ انتهت ريدة النيل، فتحت منه خلجان وترع⁽²⁾، وقد وصف ابن سعيد من هذه
الخلجان خبيح لقاهرة الذي يمرُّ غربيها، وتقع بظهره مدينة الفسطاط⁽³⁾، حيث يبدو
الكتنان على جوابه يرمقه بأحد قه.

نُظِرَ إِلَى النَّهْرِ وَلَكِنَّانُ يَرْمُقُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ بِأَجْفَانٍ هَا حَادِقُ
رَأَتْهُ سَيْفٌ عَلَيْهِ لَصَبٌ شَطْبٌ فَقَدَتْهُ نَحْدَقِي بِهَا رِقُ
وَأَصْبَحَتْ فِي يَدِ الْأَرْوَاحِ تَنْسُجُهَا حَتَّى غَدَتْ حَقَقًا مِنْ فَوْقِهَا حَقُ⁽⁴⁾

لكنه يعرض به يحدث في الخبيج في بعض الأحيان من الفواحش والتهكم
والمخالفة، حتى إن بعض لمحشمين لا يجيزون عبوره في مركب، ويصفه ابن سعيد مخذراً
من ركوبه في النهار:

لَا تَرْكَبْ حَبِيخَ مَصِيرٍ إِلَّا إِذَا أَسْدَلُ لُظْلَامُ
فَقَدْ عَلِمْتَ لَنَدِي عِيَهُ مِنْ عَالَمٍ كُنْهُمُ صُغَامُ
صَقَّانَ لِلْحَرْبِ قَدْ أَطْلَأَ سَلَاخُ مَبِيتِهِمْ كَلَامُ
يَبِ سَبْدِي لَا تَسْرِ إِلَيْهِ إِلَّا بِذِهِ نَيَّامُ
وَيَسْرُ سَتْرٌ عَلَى تَصْدِي عَلَيْهِ مِنْ فَضِيهِ لُثَامُ
لَهُ كَلِمٌ دَوْحِيَّةٌ حَنِينُ هَذَاكَ أَثَرُهُمْ لَأُثَامُ⁽⁵⁾

(1) ديوان، ص 150، 151

(2) حصص، 10/1

(3) مصدر نسق، 139/2

(4) سفع، 347/2

(5) حصص، 1 368 سفع، 349/2

وقد أشار المقرئ في شيء من ذلك في وصفه بدخليج، ووصف ما قاله بن سعيد
بالتحامل⁽¹⁾.

وقد كثرت في القاهرة لمتنزهات التي كان الدس يخرجون إليها رغبة في القصف
والعزف، ولا يبقى صغير ولا كبير إلا خرج متنزهاً إلى بركة الحبش، وهي من أشهر برك
مصر، يأكفون ويتفكهون وينعمون ويقضون أربهم من لنزهة واللهو⁽²⁾، وقد خرج ابن
سعيد إليها أيام فيص لنيل فراى منها أبهج منظر، ثم زهر أيام غاض الماء وبقيت فيها
مقطعات، بين خضر من القرط والكتان يتغنن الدسر فيها، يقول:

يا بركة الخشب التي يومي بها	طول الزمان مُبرَكٌ وسعيدٌ
حتى كثرت في لبسيصة جنة	وكان دهرى كنه بك عيد
يا حُسْن ما يبدو بك الكتان في	نواريه أو زره معقود
والماء منك سيقفه مسلوقة	والقرط فيك رواقه ممدود
وكان أبراحاً عليك عرائس	جئنت وطيرك حولها غريد
يا لبت شعري هل زمانك عائد	فالشوق فيه مُبدئ ومعيد ³

ومما قيل في هذه البركة أنها «ميدان رهان، وجنان نخل، وبستان شجر، ومنزك
سكنى. ونهر عجاج، وأرض زرع، ومرتع خيل وساحل بحر»⁴

وهذا بركة الفيل التي تقع بين مصر والقاهرة، وهي كبيرة جداً، عمر الدس
حوه، وأصبح فيها في القرن السابع الهجري مساكن من أعظم مساكن مصر⁽⁵⁾، وقد
وصف بن سعيد جمالها في الليل، حيث بدت بدائرتها كالبدر، والمنظر فوقها كالنجوم،
يقول:

(1) حطط، 2، 68.

(2) مصدر تسبق، ص 2، 152، 55.

(3) المعرب، قسم مصر، ص 10.

(4) حطط، 2، 153.

(5) مصدر تسبق، 164/2.

أَنْظُرْ إِلَى بَرَكَةِ الْفَيْسِ الَّتِي كَتَفَتْ يَهْ مِنْ مَضْرُوكٍ لِأَهْدَبِ لِمَضْرُوكِ
كَأَنَّ هِيَ وَلا بَصَارَ تَرْمُقُهَا كَو كَبَّ قَدْ أَدَارَوْهَا عَلَى نَقَمَرٍ⁽¹⁾

¹ ما حُبِنِي قَابَتِهَا الشَّمْسُ بِغَدَوٍ، فَقَدْ غَدَتِ فِي صُورَةِ أُخْرَى، يَقُولُ

أَنْظُرْ إِلَى بَرَكَةِ الْفَيْسِ الَّتِي فَجَّرَتْ لَهَا الْغَزْلَةُ فَجْرًا مِنْ مَطْلَعِهَا
وَحَسَنَ ضَرْفَكَ بِمَجْنُونٍ بِبَهْجَتِهَا يَهِيمُ وَجَدٌ وَحُبٌّ فِي بَدْعِهَا⁽²⁾

وَمِنْ امْتَنَزَهَاتِ الْأُخْرَى، جَزِيرَةُ بَرُوضَةِ نَصْحِيَّةٍ، وَهِيَ مَتْنَزَةٌ مَبُوكِي، قَدْ نَشَأَ
مَلِكٌ لِنَصْحِ نَجْمِ لُدَيْنِ يُوبٍ، وَفِيهَا الْقُبْعَةُ الْمَشْهُورَةُ بِقُبْعَةِ الْبَرُوضَةِ أَوْ قَلْعَةِ الْجَزِيرَةِ،
وَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي زَمَانِهِ تَتَبَّرُ لِإِعْجَابٍ، لِكثْرَةِ رَحْرِفَتِهَا، وَحَسَنِ سَقُوفِهَا الْمَرْيَنَةِ، وَبَدِيعِ
رَحْمَتِهَا⁽³⁾، وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ سَعِيدٍ حَسَنَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَقَلْعَتِهَا، وَمَعَانِقَتِهَا لُنَيْنٍ، ذِي قَوْلٍ:

تَأْمُرُ الْحَسَنَ الصَّالِحِيَّةُ ذَلَّتْ مَنَظَرُهَا مِثْلَ لِنَجُومِ ثَلَالَا
وَلِنَصْبَعَةِ عَرٍّ كَلْبَسِرٍ طَالَعًا تَفْجَرُ صَدْرُ الْمَاءِ عَنْهُ هَلَالَا
وَوَفِي لِيَهْ سِيرٌ مِنْ بَعْدِ غَدِيَّةٍ زَاوَا مَشْغُوفٌ بِرُومٍ وَصَلَا
وَعَنْفَهَا مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ بِحُسْنِهَا فَمَدَّ يَمِينًا أَنْحُوهُ وَشَلَا
جَرَى قَدَمًا سَعْدًا فَخَطَّ حَوْلَهَا مِنْ سَعْدٍ عِلَامٌ بِذَلِكَ دَلَالَا⁽⁴⁾

لَقَدْ كَانَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي وَصْفِهِ لِنَفْسِطَاطٍ وَالْقَاهِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ أُتْرَبَةٍ وَعِبَارٍ وَشَوَارِعٍ
ضَبِيقَةٍ، أَوْ مَا فِيهَا مِنْ مَتْنَزَهَاتٍ وَخُجْجَانٍ وَبُرُوكٍ، شَدِيدٍ مُمْلَاحِظَةٍ أَمِينٍ دَقِيقًا، وَكَانَ مُنْفَتِحَ
الْعَيْنِ عَلَى مَعْدَتِ وَالتَّقْيِيدِ وَالطَّبَائِعِ، وَلَا تَفُوتُهُ الطَّرْفَةُ وَخَفَةُ الْرُوحِ فِي وَصْفِ الْبَلَدِ

(1) حُظُوفُ 2، 367. نَمَحْ، 347/2

(2) مَبْصَرَاتٍ لِنَسَاعِدِ نَفْسِهِ وَفِي خُطْبَةٍ نَحَرَتْ هَذِهِ الْغَزْلَةُ نَحْرًا

(3) بَطَرُ خُطُوفِ 2، 183

(4) نَفَحَ 2، 69، 270

وأحول أهله^(١)، مقارنة بين مشهده في مصر، ومشاهداته في المغرب، وقرن عبره من الشعراء بن مصر وبلاد المغرب، مفضلين منهم على ما فيها من أحول مضطربة، فقد فضل بن عتبة الشبلي ترجوع إلى إشبيلية على الرغم مما فيها من لأحوال المردية وثورة ابن هود، لما عينه في مصر من أشغال لنصارى واليهود في دولة^(٢)، يقول شاكياً.

أصبحت في مصر مُسنداً
أزقُص في دَوْلَة القُرودِ
واضبيعة العمير في أخير
مع لنصارى أو اليهودِ
بأجود رزق لأمام فيهم
لا بدوت ولا جودِ
لأنصر الدهر من يراعي
معنى قصب ولا قصودِ
أود من ومهم رجوعاً
لنغرب في دولة بن هود^(٣)

أما وصف الشعراء المرتحلين من شام، فقد نحا الشعراء فيه منحى آخر يختلف فيه حساساتهم عند مشاهداتهم لما في مصر، في العديد من الجوانب. فحينما كان ابن سعيد على سبيل المنذر يذكر النيل مصر ويصفه فإنه كان لا ينسبه إلى إشبيلية، إلا أنه حينه رأى عدصي على اختلاف ما بين النيل والعدصي من حيث الامتداد والجريان، نسي نهر إشبيلية وتفعل مع هذا النهر وما عيره في حمّة، وأصبح هذا مشهداً ممتازاً بنفسيته وهواه، فقد غدا عدصياً مثله، ويغيب لنواكير رقصاً، وصفاً حمّة وجمالاً خندها، حيث يحبو الدهور والقصف.

حمى الله من شطي حمّة مناضراً
وقفت عينا السمع والفكر والطرفا
تغني همّ أو تميل حمّة
وتزهى مبدع تمنح الموصف الوصفا
يومون أن عصي التصوّن ولنهي
ها وطبع الكأس والهو والقصف

(١) محمد عبد النبي حسن، ابن سعيد مغربي، المؤرخ الرحلة لأدب، مكتبة الأنجلو المصرية،

دهرة، ص 127

(٢) حنصا نقد المعق، ص 164

(٣) المصدر نسق، ص 164

ذَا كَانَ فِيهِ هَرُ عَاصِي فَكَيْفَ لَا أَحْكِيهِ عَصِيًّا وَأَشْرُهَا صِرْفًا
وَتُشْدُو لَدَى تَكِّ النُّوْرِ عَيْرُ شُدُوهُ وَأَغْيِبُهَا زَقَصًا وَأَشْبِهُهَا عَزْفًا^(١)

كما يصف ابن لحن الشطبي حدة ونهرها لعصي الذي لا يطيع إلا لنسائه
لعنية

هَرُهَا الْعَاصِي تَنْدَى مُطِيعًا حَيْثُ مِنَ النِّسَاءِ أَضْحَى يَمِيلُ
وَمُخْتَبِ حَبِيبِ شَمْسِي فِيهِ وَوَجُوءٌ لِعَشْقٍ فِيهِ أَصِيلُ
وَعَيْلٌ لِسَقَمٍ فِيهِ صَاحِجٌ وَصَاحِجُ النِّسِيمِ فِيهِ عَيْلٌ^(٢)

ولعل شبه الكبير بين الشام و الأندلس، كان له أثرٌ في لتعلق بمدن الشام وحنين
إليها، والاستئناس بها، كما أن معدنة أهل الشام للمغربة وحسبهم بطبيعتهم في حب
الحل، كن عملاً رئيساً في حب أهل الأندلس لشام وأهله، من ذلك ما يرويه ابن سعيد
عن كمال الدين بن العديم رئيس لأصحاب بعلبك قوله: «وما وصفتُ معه إني، أنزلني
في در بستان ماء جارٍ، وقال لي: أنت أندلسي، وقد عرفت أن دياركم لا تخو من
هذا»^(٣)

وقد أصبحت حب ملاذ ابن سعيد وقبة شوقه، وليست مفرًا لحنين إلى الوطن
سعيد، كما كان حله في مصر، يقول:

حَادِي الْعَيْسِ كَمْ تُنَيِّخُ الْمَطَابِ شَوْقُ فَرُوحِي مِنْ بَعْدِهِمْ فِي سِيَاقِ
حَدَّتْ بِهَا مَفَرُّ غَرَامِي وَمَرَامِي وَقَبْلَهُ الْأَشْوَاقِ

(١) اسفح، ٢/ 326

(٢) أبو يبي. قطب ندب موسى بن محمد ذيل امرأة ارمال، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بجدة، ١٩٦٥، ٢، 202 ط١، هـ، 196

(٣) لمقتطف من شعره بطرف، تحقيق: سيد حمدي حسين، هيئة المصرية للكتاب، مصر، 1983،
ص 199-200

كَمْ بِهِ مَرْتَعٌ لَطْرَفٍ وَقَلْبٍ فِيهِ يُسْقَى الْمُنَى بِكَاسٍ دَهْقٍ^(١)

وقد حنت في قنوت مَرْتَحِينَ بِهَا، كما يقول لفتح بن حماد:

هِيَ فِي الْقَلْبِ لَا رَ لِقَابٍ فِيهَا جَمَعَ تَهْ بَيْنَ قَسِي وَعَيْنِي^(٢)

وتصفو في حلب نفس ابن خرووف لقرطبي، فيقول:

حَسَبْتُ لَدَهْرٍ أَشْطَرُهُ وَفِي حَالٍ صَدِّ خَبِي^(٣)

كما أعجب المرحلون بدمشق، شبهه بمدن الأندلس بسببها لأليفة، وبركة عميقة، وحيرات ممتدة، وجدود الرقاقة وعصون المتهمة^(٤)، حيث تغريد لأضير، وحفيف لأشجار، يقول أحمد بن مُفَرِّجٍ لِأَشْيِي^(٥)

خَيْمٌ بِجَنَّتٍ بَيْنَ لَكَاسٍ وَنُوتٍ فِي جَنَّةٍ هِيَ مَرْءٌ سَمِعَ وَالْبَصَرِ
وَمَتَّعَ لَطْرَفٍ فِي مَرَأَى عَيْنِي تَرَوْضُ فِكْرِكَ بَيْنَ الرُّوسِ وَالزَّهْرِ
وَنَظَرٍ إِلَى ذَهَبَاتٍ لِأَصْلٍ بِهِ وَاسْمَعُ إِلَى نَغَمَاتٍ لَطِيرٍ فِي شَجَرٍ^(٦)

وعن ابن سعد في وصف محسب، التي ملأت حوطة، يقول:

وَبِئْسَ لَوْ نَظَرْتُ بَأْفَ عَيْنٍ لِمَا اسْتَوَفْتُ مَحْسَبَهَا الْعَيْنُ^(٧)

ويجد فيها وطنه الذي يستطيع لغريب مثله أن ينسب به، يقول:

(١) لفتح، 2، 326

(٢) ذيل مرة الأرمات، ط، 955، 379/2، لكتبي، محمد بن شاكر عمود توريج، تحقيق د

فيصل سامر وسنة عدم مع، در نشره نشر، عرق، 1987، 20، 328

(٣) ربات مبرين، ص 138، العصون، ص 138، مغرب، 138

(٤) مسدب لأضير، حص حصر و أشام، ص 113

(٥) اصرا المنحو، نرحمة رقم 4

(٦) انحصار لفتح، ص 18، الإحاطة، 2، 213

(٧) انحصار لفتح، ص 18

مَمْدَمَشْقُ فَجَنَّةٌ يَبْنِي بِهَا الْوَطْنَ الْغَرِيبُ^(١)

على حين وجد بن سعيد في مصر. تتوحش الحظه. وتتباعد لائفه بينه وبين
لوحوه ثم بصف يوم لسبت الذي ختصه أهل دمشق لغناء ونهوه والمعب حيث لا
مشرَّب فيها ولا مسقد ولا منعص. يقول

لله يَـمَامُ الشُّبُوتِ بِهـ ومنظرُ هـ العجيبِ
نَظَرِ بَعِينِكَ هـ تَرَى إِلَّا حَبَّيَّـاً أَوْ حَبِيبَـاً
كَرَّ بِهـ نَفْسُهُ مـ تَشْتَهِي مَرَحاً وَطِيبَ
رُضْ خَلَّتْ مَمْن يَنْعَضُ وَيَرِاقِبُ أَوْ يَعِيبُ^(٢)

ويصف من ربحها روضة تنونت زهارها بعد أن روه السحاب بائه:

مـ مَن أَقْصَرِ جَنِّ رَوْضَةٍ رَقَّتْ لَنَ حِينَ لَسَحَتْ تُرَاقُ
وَتَلَوَّتْ زَهَارُهَا فَكَثَّمْ نَزَلَتْ بِهَا لِأَحْبَبُ وَالْعَشَّاقُ^(٣)

ويصور ابن الجذن جنة أخرى على أحد أنهر دمشق، الذي ترقصه النسائم العليقة،
وتميل عليه لأغصان^(٤).

وتصفو النفس في دمشق، حيث الأدواح متنوعة، ولأروح المتضوعة والغوطة
غناء. فيكتسب النعيم كما يقول بن سعيد:

أَمَّا دَمَشْقُ فَمِ فِي الْأَرْضِ مُشَبِّهٌ حَنَّتْ عَدْنِ بِهَا مِ يَشْتَهِي الْبَشْرُ
بِهَا الْعَيْمُ غَسَدًا لَدَسٍ مَكْمَلًا مُطَوَّلًا وَهُوَ فِي الْآفَاقِ مَحْصَرُ
تَقْضِبُ رَقِصَةٍ وَالصَّيْرُ صَادِحَةٌ وَالنَّشْرُ مَرْتَفَعٌ وَالْمَاءُ مَنَحْدَرُ

(١) 'عصون، ص 143.

(٢) مصدر 'نسو، ص 143-144.

(٣) سموت، 3 104 روافي، 22، 255.

(٤) صر محصر بقبح، ص 208.

فقد قرب اسلاطين الشعراء و الأدباء، وأحاطوهم بالرعاية، وشاركوهم أحياناً،
 ونُعلُّ نرد موك الذين كن هم دور في تشييط لحركة الأدبية. ملك لناصر الأيوبي،
 لذي كن بحصر لأدباء والفضلاء، وكان للشعر شأن كبير في أيامه^(١). يشهد بذلك ما
 ورد عن علاقته بابن سعيد وغيره من الشعراء، فحينم رتحل ابن سعيد بصحة كمل
 الدين ابن العديم إلى حلب، ودخل على الملك لناصر، أنشد ابن سعيد القصيدة التي ولها:

جُدلي بـ أنقى الخبأ من الكرى لا تُد للضيّف المنة من القسرى^٢
 فقل كمل الدين، هذا رجل عارف، وزى بمقصوده من أور كلمة^(٣). واختار
 ناصر له نقداً يتيق بحسن صوته، وهو النبيل، متبعاً إياه بالخنع الموكية ولأعطيات
 ولأرزاق^(٤)

وفي ملاط لناصر، التقى بن سعيد بشخصيت عممية وشعرية، كان العديم،
 ولشهاب النعفرى^(٥)، وعون الدين بن لعجمي^(٦)، والتج بن شقير^(٧)، والشرف

(١) لغوات، ٤، 362

(2) نصح، 2، 272

(3) لمصدر سبق نفسه.

(4) لمصدر سبق، 2، 273.

(٥) شهاب لنعفرى محمد بن يوسف الشيباني، نسبتة إلى (تل أعمر) بن سنحدر و موصل، سافروى
 دمشق، كان من شعراء لأشرف موسى. تصل بانث الناصر لأيوبي، كان يستحدي بشعره
 ويقمر، توفي سنة (675هـ) لناصر، معجم المدن، 2، 39، ولغوات، 4، 62.

(6) عون لدين ابن لعجمي. سليل بن عبد محمد بن حسن، لأديب حسي البرع، وُلد سنة
 (606هـ)، كان مة سلاً شعراً، وي لأوقف بحب، تقدم عا امث لناصر، توفي سنة
 (656هـ)، بطر. لغوات، 2، 66، 67، لواي، 5، 392

(7) ناح بن شقير. نصر لله بن عبد معة لتوخي، أديب من رحلات حديث، وي وقف لعدنية
 به مشق، توفي سنة (673هـ)، بطر. لغوات، 4، 186 بن القرت، ناصر الدين محمد بن
 عبد لرحيم - ريوخ بن نفرت، تحقيق قسصين زريو، جامعة بيروت، 1942، 37/7.
 اشدرت، 15، 34

سبيان الإربلي⁽¹⁾ وطائفة أخرى⁽²⁾.

وجمع ابن سعيد لشمك لنصر كتب (مبوك لشعر) ذاكراً فيه مكنة أشعراء، وخاصة لشهب لتعفري الذي حظي بمكنة خاصة في هذا المجلس⁽³⁾. كما متدحه بقصائد كثيرة، بلغت أبياتاً خمسة آلاف ورفعها إليه، راغباً في أن يترك سراحه لتعجب، فأنعم عليه، وأمر له بخلعة لم يكن معها زد، فكتب إليه:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَفَعَ الزَّمَانُ بِهِ وَضَرَّ
هَمْدِيَّتِي إِلَى التَّشْرِيفِ لَكُنْ دُونَهُ رَاذِلًا سَقَرُ
فَكَرَّمْنَا هَمْدِيَّتِي فِي فَصْلِ الرِّبَاعِ بِالْمَطَرِ

وحيث عدد من خج، أحسن بلضيق، وأراد لعود إلى المغرب، فكتب لنصر العديد من انقطعات، لكنه لم يستجب، إلى أن حضر مجلسه وأنشد مستعطفاً:

بِأَنَّهُ يَا كُزَّامَ مَنْ قَدَّرْتُ عَيْنَايَ بِالْمَغْرِبِ وَالْشَّرِيقِ
أَنْظُرُ لِقَوِي مِنْ صَفِّ مُفَكِّرٍ حِينَ أَوْقُوعُ أَوْ أَطْرِيقِ
قَضَيْتُ خَيْرَ الْعُمْرِ فِي أَرْضِكُمْ فَمَتَّعُوا أَهْلِي بِمِ قَدْ بَقِيَ

فارتاح وظهر منه احنان، وقل لأميته جمال الدين بن يغمور⁽⁴⁾، «صدق، يُسرح به يكفيه من لإحسان»⁽⁵⁾.

(1) شرف سبيان لإربلي سبيان بن أبي الحيش شرف الدين، شاعر محسن له شعر ونوادر ومدائح في الملك لنصر، توفي (686هـ) انظر لقوب، 2 57، توفي، 15 356 نحوم لراهرة، 372/7 373 انشدرت، 5 395

(2) نسخ، 273/2.

(3) مصدر سبق، 295/2.

(4) جمال الدين موسى بن يعمو، سمع حديث، وتقر في أعمال لولابت، مثل نية لنبصة في لاهرة ودمشق، كان حوادم مدحاً، وله ألف من سبج (ربات مبرزين وغايات المبرزين)، وكان شاعراً، توفي سنة

(663هـ) مصر، المغرب، خص بمصر، ص 301 نحوم لراهرة، 218/1 279

(5) نظر خادئة ولأبيات في خنصر بقدح، ص 7 8.

كم كان نه اتصنر بالملك المعظم تور نشه بدمشق. وقد دخل مجلس خلوته، وتعاف معه حينه قتل في حصن كيف⁽¹⁾ كم مر⁽²⁾.

قد تحري في مجلس الملوك، مضرحت بينهم وبين الشعراء، من ذلك ما وقع بين ابن دحية وملك الكامل لأيوبي، حيث كتب له ابن دحية قصيدة بتدأه بمقدمة غزلية، ثم بمتاح صفاته، إذ يقول:

من أسبيل برق برق عنكم من بعد ما بعثت ديري منكم
والعدل بالملك هلم محمد بادي المنار لك من يتظنم
عر الملوك اكمل الشرف الذي لعلاه سبع اكواكب تحم⁽³⁾
فكافاه سلطان مجيب يه ينظم بيتنه بمقدمة غزلية أيضاً.

وهيحن شرفي لأجارع اللوى وأين اللوى مني وأين الأجارع
دعى الله أياماً وأوثهم أي وقدوى الششت زواجع⁽⁴⁾
ثم يُشَيِّح الإحاحة على أبيات من دحية ثراً، ميراً إيده بالحسن والصفاء بقوله:
حمد لله ويحمد ونيس من لبيع أن يذف ابجر ذراً، أو ينظم اخليل شعراً،
وقد أخذت الورقة لانتزه في معانيها، وأستفيد به أودعه فيها، فله تعالى لا يخلب من
فوائد فكرته، وصانح دعبته و اسلام⁽⁵⁾.

ويرد لفظ ابن دحية على لأبيات مستخدم لقاوية و لبحر نفسيهما، بقصيدة يكثر فيها من التغزل، يقول:

- (1) حصن كيف ويقال كيف. وهي بلدة وقلعة عاصمة مشرفة على دحية بين مد وحزيرة ابن عمر من دير بكر، وكانت ذات جدران، وعلى دجنتها قصره عظيمة معجم ليلدن، 2/ 265
- (2) نظر لدرسه، ص 68.
- (3) عنوان المدراية، ص 272، 273.
- (4) لفتح، 101/2.
- (5) عنوان المدراية، ص 275، لفتح، 101/2.

شجتنى شوح في الغصون سوجعُ ففضلت هوم لجفون هوامعُ
وم محتى في حث غير عزيزة هي الدر في ليل النوائب طالعُ
ثم يستقل إلى مدح ملث الكم مشيداً فضله الخريه و الحثية:

يدافع عني لضييم قنم سيفه إذا عز من للضيم عني يدافعُ
كنائسه مصورة بكتائب من الملاء الأعلى وجبريل وازعُ
وتفتح قسطنطينة وقلاعها يتح فب أمر من الله قلعُ
ومك عيون لدمه تيقظ وعنك عيون الأحداث هواجع⁽¹⁾

لكن كانت الأبيات السابقة على صورة لطريحة والمسجبة، لكنها تبين إعجاب ابن دحية بملث الكم، ومطرحته له على سبيل المدح والإشادة، من الشاعر إلى السلطان، لذلك عدت من باب المنادمة.

أما لمجالس أدبية لأخرى، فقد كن الشعراء الأندلسيون يجتمعون فيها بشعراء مصر وشعراء الشام، ويشاركون في نظم شعر أو حرزته، وعكست هذه اللقاءات، ما تميزت به العلاقات بين الشعراء من مودة لا تحبو في بعض الأحيان من التنفس الذي قد يصل درجة من العداء وشناعة، في القيل والدر منهم.

وكن الشعراء المرتحون يجتمعون مع شعراء المشاركة في المنتزهات وعند البرك والأنهار، فحينما دخل ابن سعيد القهرة «صنع له أدباؤها صنيعاً في ظاهرها، وانتهت بهم لفرجة إلى روضة نرجس»² وكن هذا نجس يضم من شعراء المشاركة أب الحسين

(1) نظر القصيدة: عنون لدرية، ص 275-278.

(2) لإحصاء، 4 155

الجرار⁽¹⁾، ونحم الدين بن إسرئيل لدمشقي⁽²⁾، وابن أبي الأصبع⁽³⁾، ومشى حدهم على بسيط نرحس، فقل ابن سعيد ارتجالاً:

يَ وَاطَى الرَّجْسِ مَا تَسْتَحْيِ أَنْ تَطَأَ لَأَعْيُنَ بِالْأَرْجَسِ
فنهفتوا بهذا لببت، وراموا إجازته، فقال بن أبي الأصبع:

فقلت دعني أزل تحرجاً عني جاظ ارشأ الأكحل
وكان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غير ابن سعيد فقال:

قَالَ حَفُونٌ بِجَهْوٍ وَلَا تَبْتَذِرُ الْأَرْقَعَ بِالْأَسْفَى⁽⁴⁾
ثم استدعاه سيف الدين بن سابق⁽⁵⁾، صاحب الأشغل السلطانية إلى مجلس بمصر بصفة لنين مبسوط بالورد. وقد قمت حوله شهادات نرجس فقل في ذلك، مفضلاً نورد:

مَنْ فَضَّلَ لِلرَّجْسِ فَهُوَ لِي يَرْضَى بِحُكْمِ سُورٍ إِذْ يَرَأْسُ
أَمْ تَرَى الْوَرْدَ غَدَقَ عَدُّ وَقَمِ فِي خِدْمَتِهِ الشَّرَجُ

(1) أبو الحسين جرّار يحيى بن عبد العظيم، شاعر مصري ظريف كان حراراً باعسطاً، أوصيه شعره في الأسلاطين ونبوك، كانت يه وبين الشرح ورد ق مد عدت، توفي سنة 679 هـ نظراً: معرب، قسم حصص مصر، ص 296-297 نفوات، 4، 277، 293.

(2) نجم الدين بن سرائين محمد بن سرائين، ولد بدمشق سنة 603 هـ، كان مبيحاً نظم رائق معدي، توفي بدمشق سنة 677 هـ نفوات، 3/383، لعرب، 3، 336.

(3) بن أبي الأصبع عبد العظيم بن عبد الواحد بن طاهر بن أبي الأصبع العدوي بعبادتي ثم نصري نشاعر، من أعيان الأدب، وُلد بمصر سنة 595 هـ، توفي بها سنة (654 هـ) نفوات، 2، 363-364 اسحوم برهرة، 37.

(4) نظر خدومة والأبيات، الإحصاء، 4، 155، منج، 2/269.

(5) سيف الدين بن سابق أبو الحسن عيسى بن عمر بن قول معروف، نشد، كان يور لأعيان في لدوين مصر ونشم، توفي سنة 656 هـ معرب، لخص مصر، ص 260 نفوات، 3، 5.

ووفق ذلك ممليك لترك وقوفاً في خدمة على عدة المشرفة فاطرب
الخضرين¹، كم لقي بن سعيد في مصر أيدمر محيي، والبهـ رهير²، وجمال الدين
ابن مطروح³، وجمال الدين موسى بن يغمور⁴.

وقد أشدد ابن سعيد بصريقة 'نبهاء وشعره بقوله' «وحميني لشغف بطريقة هذا
الرجل، على حفظ ما يرد من شعره على أفوه لو ردين من المشرق، أن جمع الله بيني
وبينه بالقاهرة حاضرة الدير المصرية⁵، ونفعل أشد لانفعد في مقطوعة رهير لتي
أشده يها، ومنها:

رؤيدك قد فنيست بـ بـ اذمعي وحسبك قد أحرقت يـ وحد أضئعي
إلى كم أقسي لوعت بعد نوعية وحتى متى يـ بـ أنست معي معي
رعى لله ذاك نوجة حيث توجهوا وحيته عني الشمس في كل مطلع⁶

ثم تبادلوا الحديث حول صريقة مغربة وصريقة لمشاركة في استحد مهمل الأنفـ
ولمعا، واستشهد نبهاء لابن سعيد بأشعة على طريقة لمغربة من شعر بعض شعرهم،
كبن خفاجة وبن زيدون، وعلى طريقة لمشاركة من شعر بعض شعرائهم⁷، وسنقف

(1) طر لحدثة ولأبيات، لإحاطة، 155 4 2 272 وقد وجدت الايات في مسند

لأصـ (محفوظ) شريط، قم 1529 الجامعة الأدبية، ج 8، ق 2، ورقة 387

(2) نبهاء رهير، بهاء ندين أبو نفضل لأردي المهدي ثم النقوصي المصري الأشعر. وقد سنة
81هـ، وتوفى سنة 656هـ، وله شعر عذب الندة ولنهاية، 13 224.

(3) بن مطروح جمال الدين يحيى بن عيسى، شاعر كيب، أسسه نيك الصالح على دمشق، مسج
باصـ دود صاحب كركـ ما ستعد القدس، توفى بمصر سنة (650هـ) نصر وفيت لأعين،

6 258 260 انشاية ونهاية، 13 194 195

(4) صفح، 2 272

(5) موي، 14 232

(6) ديوان اسهـ رهير، دار صدر ودار بيروت، بيروت 1964، ص 195

(7) نظر موي، 14 233 235

عند هذه المقدرة في الجزء المتعلق بالتأثر والتأثير من الفصل الفني، كما أعجب ابن سعيد بشعر أبي الحسين الجزر وعلى وجه الخصوص في مقطوعة التي يقول فيها:

مَنْ مِنْ جَمْعِي مِنْ مَعْشِرٍ كَثُرُوا عَنِّي وَكَثُرُوا
صَادَقْتُهُمْ وَرَى خُرُوجَ مَنْ أَلْصَقَ صَدَاقَةَ يَعْسُرُ
كَحْطٍ يَسْهَلُ فِي نَظَرِ رُوسٍ وَمَحْوٍ مَتَعِ لَذُزْ
وَإِذَا زِدْتَ كَشَطْتُهُ لَكَ نَ ذَاكَ يَسْهُوُّ

و ابن سعيد بمقديسه نقدية خاصة، يصف هذه لمقطوعة بأنها تحتوي على معنى الغريب، الذي فاق ما لسان رومي وأي تقدم⁽¹⁾. وفي ذلك مبالغة، وحكمه نقدي مبني على المنجامة

و نقى ثير الدين مع ابن بت الأعز⁽²⁾ في جريرة، لروضة، فكتب إليه ووجهه مع بعض عدائه، فيقول مشيداً بآثير الدين وعلامه:

حَيِّتُ أَثَرَ الدِّينِ شَيْخِ الأَدَبِ قَضِي لَهُ حَقّاً قَدْ وَجِبَا
حَيِّتُ فَتَى بَطْنِ نَضْرِ كَلَقَدْ بَدَأَ مَلَأْتُ مِنْهُ طَرْبَا⁽³⁾
فأنشده أبو حيدر، مضمن شعره بعض الألفاظ التي وردت في قوله، ومشيداً بأسمه وجوده.

أَهْدَى لَنَا عُصْبَةً مِنْ نَضْرِ لَأَسْ أَقْضَى لِقَضَاءِ حَيْفُ جُودٍ وَالبَسِ
لَا رَأَى سَقَمِي أَهْدَهُ مَعَ رَشَا حَسْبُ التَّشْنِي فَكَانَ لَشَفِي الْأَسِي⁽⁴⁾

(1) نظر لأبيات وحر في المغرب، خاص بمصر، 317 6

(2) من سب لأعزّ علماء الدين ابن بت لأعز، من أدباء القاهرة، تولى احسبة فيها، قدم دمشق وتولى لتدريس في اذهرية، ثم عاد إلى مصر وأقام بها حتى وفاته سنة (699هـ) نفوت، 106/1 -

(3) صفح، 2 578

(4) نسوب، ص 236

كم تطرح أثير الدين ولبهاء زهير، و شهاب لعزاري¹ الشعر في صبي مصرع
يدعى جمال، فنظم فيه زهير قوله:

مُ صَارِعُ تَصْرَعُ الْأَسَدَ ثَمَرَتُهُ تِيهًا فَكُلَّ مَلِيحٍ دُونَهُ سَوِجٌ
لم عدا راجحاً في أحسنٍ قلتُ هُم عن حسنه حدّثوا عنه ولا حرجُ
ونظم أثير الدين:

سبني هالاً من مَلِيحٍ مُصَارِع عييه دليلاً لملاحه واضحُ
لئن عزّ منه المثلُ فالكلُّ دُونُهُ وإن خفّ منه احْصُرْ فالردفُ راجحُ⁽²⁾
ما العزاري فقد أشد حينما سمع النظم.

هَلْ حَكَمُ يُنْصَفْنِي فِي هَوَى مُصَارِعُ يَصْرَعُ أَشَدَ لَشَرَى
مُذَوِّرٌ عَنِّي الصَّبْرُ فِي حَبِّهِ حكى عليه مدمعي ما جرى
أَحْ قَتَلِي فِي هَوَى عَامِدٍ وَقَالَ كَمَ فِي عَشَقِي فِي الْوَرَى
رَمْبُتُهُ فِي أَسْرِ حَبِّي وَمَنْ أَجْفَانٍ عَيْيِهِ أَخَذْتُ لَكَرَى⁽³⁾

ولا تخلو هذه أبيات من لدلغة، والارتجال الذي يتبادر إلى خواطر الشعراء
حسب ما يتطبه الموقف، مصممين شعرهم بعض الصور المتوارثة من مخزون ما يحفظون،
ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تشبه معانيه وتكرار بعض ألفاظها، مما يجعلها تحمل
سمات مقاربة لا تجعل لكل شاعر منهم استقلالية خاصة في ألفاظه ومعانيه وتراكيبه، أو
تُرخص اسمت مشرقية أو مغربية، لأنها نسيج متقارب في مشهد واحد جاء لنظم فيه
مقصوداً، فتأثر كل شاعر بما نظمته الآخر.

(1) شهاب لعزاري- أحمد بن عبد الملك بن عبد لمعم، شاعر مصري كان يزاوياً في القاهرة بقياسارية
حركس، له موشحات وأعر، توفي سنة (710هـ) لجوم لراهرة، 214/9

(2) نديو ن، ص 436.

(3) طر حدثة ولأبيت في المنهج، 579/2 580. م ترد أبيت زهير في ديوانه.

ونقرب لأبيات السابقة. أبيات نظمها كل من أنير لدين وابن بنت الأعز عند رؤيتهم شداً حسناً يسبح وقد تنطح والترب، بإيعاز من لقاضي صدر لدين بن فخر الدين بالقاهرة، فقد بن بنت لأعر مشبهاً إياه بالندر بطرده لسحاب.

وَمُتَرَّبٌ قَدْ صَنَعَ نَجْمَهُ مَن تَبَصَّرَ لَأَبْصَرُ فِيهِ مَظْهَرُ
وَكَشَّاهُ بَدْرٌ عَلَيْهِ سَحَابُهُ وَالتَّرَبُّ يُبْلُغُ مِنْ سَهْوِهِ مَقْهَرُ
وطم فيه أنير لدين، مشبهاً إياه بكافورة طُخِتَ بمسك:

وَمُتَرَّبٌ قَدْ طَنَّ نَجْمَهُ سِيَّصُوهُ مَنَّا بِتَرَبٍ اعْفَرُ
فَقَدْ يُضْمَحُّ فَرْزٌ دَمْلَاخُهُ دَقْدَقُ حَوَى لَيْلًا بِصَبْحِ انْفَرُ
وَكَشَّاهُ جِسْمُهُ الصَّقِيلُ وَتَرَبُّهُ كَفُورَةٌ تُطَخَّتْ بِمَسْكٍ أَذْفَرُ⁽¹⁾

وجتمع بن سعيد العربي مع جماعة من شعراء العصر من المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار، فضموا شعراً في غلام نانم تحت شجرة، وقد أشاد أبو الحسين بما يصمه بن سعيد، مبيناً قدرته في الإنيان به ما يستطع لمشاركة لإثنين⁽²⁾. مما يدل على مكانة الأدبية بمغربة. وإن كانت بعض الآراء لا تخلو من المحملات، لأن هذه الأشعار هي من قبيل مشاركة وتسمية.

وقد يريد بعض الشعراء الأندلسيين أبياتاً على نظم لمشاركة على سبيل الإجازة، بحيث يكون على لحن والثقافية نفسيهما، كما كان من أنير لدين، حين أنشد قول الشاعر لمصري نور الدين لقصري في روضة مصر:

ذَا تَوَجَّهْتَ فِيهِ قَسَمَ لِحَسَنٍ فَاضْحَتَ بِهِ لِقَدُوبٌ نَهِيمٌ
ذَا يَبِيْ مَصْرَ فَهُوَ مَصْرٌ وَهَذَا يَتَوَلَّى وَسِيمٌ فَهُوَ وَسِيمٌ
قَدْ عَذَّبَ عَصْرَ النَّصْبِيِّ ضَبَّاهُ وَأَدَّتْ فُهَا لُغْمُومُ الْغُيُومِ

(1) لقوت، 1: 106 م ترد أبيات أنير لدين في ديوانه

(2) مصر: لقوت، 2: 104-105.

فزاد نو حيدن بيتاً وهو .

فبلغ البحار تسبح نونٌ وبمحّ انفق ريسفح ريه⁽¹⁾
ومن باب الإحزات أيضاً، ما أجزه أبو الروح التكرني⁽²⁾ لأبيت شرف لدين
عمر بن القرض في علام اسمه بركت بالجمع الأزهر، إذ قال بن القرض:
بركت يحكي لدر عند تمامه حشه بل شمس الضحى تحكيه
فكمن أبو الروح عن سحر والتقية نفسيه.

هذا الكلام فقل لمن قد عبه حسداً وآية كل شيء فيه
لم تذو إحدى زهرته و... كملت بذلك ملاحاة التثبيته
وكأنه قد رم يغبق جفنة ليصيب بالسهم الذي يرميه⁽³⁾
وقد تصل المصاحات حد لما كفة و مشامة وتعرى بالسب، من ذلك ما وقع
بين ابن دحية وأبي اليمس الكندي⁽⁴⁾، فقد كن هناك شخص من أدباء النصارى يتعصب
لأبن دحية، ويعتقد بصحة سبة للرسول ﷺ فقال أبو اليمس يعرض بأبن دحية من خلال
ذلك، صعد في نسبه، و صفاً يده بالخرق:

يا أيها العيسى ماذا لذي تروء أن تثبته في لصريح
إن الخطأ باب من دحية شبه الذي تذكره في المسيح
ما في من كلب سوى أنه ينبح طول لدهر لا يستريح
أخرق لا يهدى إلى زشيد كلب شر وكلام كـريح

(1) صفح، 2، 574.

(2) نصر سحو، لترجمة رقم (50)

(3) صفح، 2، 627 لم ردبت ابن القارض في دونه.

(4) أبو اليمس الكندي: زبد من لحس تاح لدين أبو اليمس، لنحوي دعوي محدث، قدم دمشق
وسكن فيها، أفرق لقراءات واسحو و لغة، قر عليه معظم عسى، توفي سنة (570هـ)، طر
أوفي، 15، 53

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ دَحِيَّةٍ عَلَى الْحَرِّ وَتَقَدَّى بِنَفْسِهِمْ مَعْرِضًا، وَمَدَافَعًا عَنْ نَسَبِهِ، مَعِيًا عَلَيْهِ أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُ بِنَصْرِ نِيٍّ، فِي حِينٍ يُدْمَمُ مِنْ قِبَلِ مُسْلِمٍ مِثْلِهِ:

إِذَا لَدِي يُعْزَى إِلَى هَاشِمٍ
 أَلَسْتُ عَلَى النَّاسِ فِي حِفْظِ مَا
 كَوْنُ حِطِّي مِنْكُمْ طَعَنَكُمْ
 وَأَعْجَبُ الْأَمْرِ شِقَائِي بِكُمْ

ذُمَّتْ عِنْدِي فِي الْبَرِّ يَا بُيْعُ
 يُسَنِّدُ عَنْ حَدِّكُمْ فِي الصَّحِيحِ
 فِي نَسَبِ زَالِكِ عَلَيَّ صَرِيحُ
 وَنَنِي أَحْمَى بِقَوْمِ الْمَسِيحِ (1)

وقد كان لسبب الرئيسي في ذلك، اختلافهم في مسألة من مسئل اللغة، إذ صنف ابن دحية مؤلفاً سبعة: «الصدرم الهندي في الرد على الكندي»، وبلغ ذلك الكندي، فعمل مصنفاً سبعة: «تف الملية من ابن دحية»⁽²⁾.

وہ یسلم ابن دحیة من لسان شرف الدین من عنبر اللادع، إذ قال فیہ صد عند منسبه:

دَحِيَّةٌ لَمْ يُعْقِبْ قَدَمُهَا تَعْتَزِي إِلَيْهِ بِالْبَهْتِ وَالْإِفْكِ
 مِصْحَاحٌ عِنْدَ النَّاسِ شَيْءٌ سِوَى أَنَّكَ مِنْ كَذِبٍ بِلَا شَكٍّ³⁾

وقد يحكم بعض شعراء مشاركة في بعض شعراء الأندلسيين لحكم على شعريهم، من ذلك ما تحكم به الجزر، والسراج لوزاق⁽⁴⁾ عند رضي الدين الشطبي، إذ بعث إليه لحرار شيئاً من شعره فقال: هذا شعر جزل، فما بلغ الوراق ذلك، أرسل إليه من شعره فقال: هذا شعر سنس، ثم انتهى آخر الأمر إلى القول، ما أحكم بينكم⁵

(1) خطر الخدشه والانسداد. موفى، 22 454 455، متردئيت بي ايمن الكسدي في دونه

(2) لوائی 5 75

(3) دیوبند میں عکس، حصہ 220.

(4) لسرح نورف عمر بن محمد بن حسن بن حفص، شاعر مصر، في عصره، كككتا نو بيها، كال

حسن التحصيل، توفي - القاهرة، سنة (695هـ) - نصر العزوت، 3 40 - النجوم، 83، 8

378 3 7.2. πει (5)

وينبدي من خلال ذلك ثقة المشاركة بأدباء الأندلسيين، وتقدمهم عندهم، كدلت مجمة لأندلسيين في حكمهم القدسية، فقد انتهى رضي الدين كما رأينا إلى قوله «ما أحكم بينكم» حتى يرضي نظرفين، كما تبين تلك الحادثة جوالندفس لأدي واصدراحت، وما كانت تنطوي عليه المجلس من مودة ومشاركة بين الشعراء.

وقد يسي بعض الشعراء من المشاركة برأيهم فيما يسمعون من شعر المغاربة، كما وقع من ابن دنيال⁽¹⁾ حينما رر أثر الدين مع جماعة من الشعراء بسبب مرضه، فسمعهم قصيدته النحوية التي مصعبها:

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده لقد فار باغيه وأنجح قصده⁽²⁾

فلم فرغ منها، ول ابن دانيال: «إن لشيخ عوفي وم بقي به بأس، لأنه لم يبق عنده فضلة»⁽³⁾ وهذا الرأي يؤكد ثقة المشاركة بشعر الأندلسيين وفضيهم، كم كان من صدق رأي الأندلسيين بالمشاركة.

وهذا صور للمسجلات وملكات الأدبية بين الشعراء الأندلسيين والشعراء المشاركة، تكشف عن مدى لتواصل والتواؤ بينهما مع تقارب الأمكنة أو تباعدها، وتعكس رأياً في اشرق وشعرائه، كم تصور، نطباعت الشعراء الأندلسيين عن بعض الأماكن في المشرق، ومدى ارتبطهم بها.

من تلك المساحلات، ما نكاتب به ابن سعيد المغربي مع السراج الوراق، حيث كتب لسراج لابن سعيد مشيداً به، ومورياً باسمه.

د بن سعيد ساد هل زمينه فقل لهم ما ساد هذا الفتى مدى
أرى الشهب من شرق لغرب مسيرها لتحظى بأن تهوي لنا النور سجداً

(1) س دنيال: محمد بن دنيال بن يوسف لموصي شمس ندين، صاحب نظم لمحو ونثر العبد، وضع كتاب «طيف الخيال» كتب له صفة الملك لأشرف، توفي سنة (710 هـ) الطر نفوت، 3 330 331 لواق، 3 51 52 لنجوم رهرة، 9 215.

(2) صر اقصية كمة في لإحاطة، 3 50 56 م ترد قصيدة في ديونه.

(3) توفي، 2 3 15.

فكتب له بن سعيد مورياً بالسراج والنور ممتدحاً إليه، على البحر نفسه مخلفاً
القافية:

أتى برتسمي في لمحبة مسطور^١ فله مطوؤه هناك ومنثور^٢
أهيم بمعنكم ومعنى جمالك^٣ وأي سراج لا يهيم به لنور^٤
وأجاب لسرج رداً بالفضل على البحر والقافية نفسها.

كتبك نور سدين نور مفتوح^٥ أريج الشد من صوب عقبك مصور^٦
سارج لي لم تبلغ جبد^٧ سطور بها قد أشرق لنور ونور^(١)

وجرت ملاطفة أخرى بين بن سعيد، وابن النقيب^(٢)، فقد كتب إليه ابن سعيد
معجباً بصفة شعره وحلاوه، مشيداً من خلال ذلك بالأدباء المصريين:

ياسكني مصر غد نيل حرك^٨ فكسبكم تلك احلاوة في الشعر^٩
وكن بتك الأرض سحر وم بقي^{١٠} سوى أثر يسوعى النظم والنثر^{١١}
فأحبه بن النقيب، بكتابة لا تخلو من كياسة ودمثة على البحر والقافية نفسها:

وما حدث الثغر ز دحلاوة^{١٢} وحيته أعلى من الشدر^{١٣} والشدر^{١٤}
فرحت وبى شوق وما كنت شيقاً^{١٥} ما ثم ذك الثغر لولاك في الشعر^{١٦}
ولا تصبى سحر البيان أرضنا^{١٧} فكم فيه موسى مبطلاً آية السحر^{١٨}
لارقة الشعر الذي كان أولاً^{١٩} وكيف رقيق الشعر مع قسوة الدهر^(٤)

(١) بطر المسححة وأبيها، لوفي، 22/259

(2) بن سبب. حسن بن شور بن صرخاب، ابن انتقيب الكنانى، شعر من فصلاء مصر وله كتب
«مدار لأحباب ومثرة لأدب»، توفي في القاهرة سنة (687هـ) ودُفن بسبع مقطم. القوت،

1 324 نوافي، 2، 44 لحوم برهرة، 7 376

(3) شدر صعر انونو، سد لعرب، مده: شدر.

(4) اطر المسححة ولآيات، القوت، 1/328 لوفي، 12 51

ومن مساحلات لطيفة ما وقع بين بن سعيد وناظر الديور ابن محارب. فحينئذ
وصل بن سعيد إلى الإسكندرية يريد حجازاً، تقف ابن محارب كتب ابن سعيد ليأخذ
لوكة منها ولزكاة. فطرق ابن سعيد منزله وهو يقرأ بعض الكتب، وحينئذ عنه،
وخبيراً نه قال: لقد يصرعوننا هؤلاء المغاربة! فكتب إليه ابن سعيد عتباً، معتزلاً بأصحه
المعربي، مستهجاً كيف يصدر عنه مثل هذا القول، وهو يُمَيّ الآداب

يا إذا احج	ب ترَقُّو	ففقي حِي	ني حجـاب
إن سُـدَّ بـاً	ك عَنْـي	فكـم	إلى الله بـ
وإن أكنـ	من مغرِبـ	فلي معـان	غـراب
كُتِبَ لـ	أدبُ تـمـلي	وعنـك	يُروى لـصوب
ولأـ	صيحُ لـشي	أهـكـ	الآداب

فأجاب بن محارب معتذراً، غير متذنب عن ستيقء الصرية:

أدخـ	ل فـلديت رفيقـاً	فـيس دونـك	سـب
وكلـ	مـرمت يُقـضي	وبلـنـجـ	ح الجـواب
سـوى	ضرئـب مـلك	فـمـونـهن	ضـراب ⁽¹⁾

ومن المساحلات الإخوانية بين الأصدقاء، ما جرى بين بن سعيد وكمال الدين ابن
لعديم، وكان ابن سعيد قد زار معه مشهد الخاريجة عن دمشق، وفي خدمتهم المـليث
بمنطق الذهب، كلولدان في الجنن، فتعهدا على عدم تخاذ المـليث، فمضى بن
لعديم إلى حلب، علم أن ابن سعيد عدما كان عليه من تخاذ المـليث، فكتب إليه نصحاً
وعتباً وملاطفاً:

يا بن سـعيد	إليـك شـوقي	شـوقك لـعـصـن	ولكـثـيب
نقـضت	بـعد البـعد	إلى الله	مـن قـريـب

(1) 'أختر المحدثنة والساحنة في لقدح، ص 45.

فردّ عليه بن سعيد معترفاً:

يا ابن لَكَمال طَرِخَ كتاباً
وسألتُ الله أن يُعْـفِي
في الشُّوقِ للغصنِ والكُثيبِ
نسب كلاب وسوف نُنسى
م من مُقْبِلة الشُّوقِ لَرَّيبِ
لكنني عُدتُّ من قَرِيبِ^(١)

وقد ورد مثل هذا لشعر في الغلمانيت والعدار، في غير موضع عند ابن سعيد^(٢)،
لا يفي عنه ذلك.

وسبق بن سعيد بعض المساجلات مد كتبه له شعراء التمد الذين لازمهم، دون أن
يورد إجاباته عن هذه المكاتبات، من ذلك ما كتبه به الفخر بن عز القصاة^(٣) من جنته على
مهر بردي، بعد أن لازمه بن سعيد مدة في دمشق يطلب منه المساعدة وعدم تسويق
لتعم بطيب لعيش في هذه الجنة، واغتمد زمن الدهو والقصف فيها، وقد تبدى جمال
فصل الحريف.

يا بن سعيد دُمْتَ في أسعد
في حنة قد جُنَّ سَسْها
هَر لَكَ في طيب لنا سَرَمَدِ
والوَرَقُ أثري من حَوَليه
إذ مرَّ بالدرِّ على الجَنَمَدِ
أبدي حريف الفصل فيه لب
يميل أو يسقط لا تهتدي
فصل وواصر مُسرَّعاً مُنْعِماً
عشاقه كيبها نقتدي
وَحاشَ للمجد باد يرتضي
فكأس كس واقف في اليد
خَفَا لا أسلف من مَوْعِدِ^(٤)

(1) نصر الحر ولأيت في نقد، ص 6

(2) انظر الترايت، ص 76. توي، 257/22، النسخ، 263/2.

(3) الفخر بن عز القصاة: إسماعيل بن علي بن عبد الوحد فخر الدين، المعروف باسم عز الفضاة، كاتب
وأديب، انقل المثلث لنصر صاحب حب، نزهد ولازم الشيخ محيي الدين بن عربي، توي ست

(689هـ) نصر عوات، 79/1، 81

(4) المقتطف، ص 157، 158.

كم كتب له النور الأسعدي^(١) من دمشق إلى حلب، قصيدة يحن فيها إلى أيامه معه، ويذكره بدمشق وجماعها، متعجباً من صبره على البعد عنها، وهو الذي يمتاز بركة ولطف يحكي رقة سيمها، ولطفه:

إليك حنيني لا إلى لكاسٍ ولَصَصَ وما زال دهرٌ قد قطعنه من ذِكْرِ
ولطفك يقضي أن تكون بيده حَكَتْ جَنَّةُ الرِّضْوَانِ قِصْلَ مَدَى حُسْرِ
أجَبْتُ في الدنيا فتخارُ غيرها ما هي لي أرضٌ ولكن سُسْتُ فكري
أنصبرُ عن أرضٍ ينوحُ حممُها غراماً وتختلُ الغصونُ من الشُّكرِ
يمرُّ احتلاساً في رُبابِ نسيمة فحسبهُ من روضها سِرِّق النُّشْرِ
إذا لم أضعُ عمري على رُغمِ حاسِدٍ بنيلِ المُنَى فيها فو، ضيعةُ العُمَرِ^(٢)

وكتب له من مصر أئمة المحيوي بإشارة من وزير الحزيرة محيي الدين بن ندى، طبيباً منه أن يشني اعزم على الحضور من حلب إلى مصر، وتجديد العهد بها.

يا رفعا للمعالي رأية الأذب حتى متى لا تزال الدَّهْرُ في حَلَبٍ
من كان مثلك لم تقعدْ همتُهُ بالفضلِ وحِدٍّ ولتُشْمِرَ في الطَّلَبِ
قضيت مهنة أرض الشام فثن إلى مصر العتاق وجدد عهد مغرب

ثم يذكره بالأيام التي قضى أصائلها معاً في الأهرام، وجزيرة لصحية، وبركة الفيس، وتطرحا الشعر عنده، حتى تكون هذه الذكريات حفرآل رجوعه.

وأكبر مع هذا قضيت أصائلها بين المذائب^(٣) والأغصان والكُتُبِ
فكم لب بذرى الأهرام من نُزْرِ أبدى لنا الدَّهْرُ منها كُلَّ ذي عَجَبِ

(١) نور الأسعدي محمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد بن رُسْتَم، شاعر فيه مجون وصف، اتصل بالملك ناصر ومدحه بقصائده سنه ٦٥٦ هـ. انقوت، ٢٧١/٣ ٢٧٢
الو، ١/١٨٨ ١٨٩. لبديّة والبهية، ٢٢٥/١٣.

(٢) المقتطف، ص ١٦٥ ١٦٦

(٣) مدب مفرد مدب، وهو مسيل في الحصى، وهو كهنة، جدول. سان العرب، مادة: دَب.

وَأَصَاحِيَّةٌ حَيْثُ لِنَهْرٍ عَنَقَهَا كَمْ قَدْ قَطَعْنَاهُ مِنْ جِدٍّ وَمِنْ لُجْبٍ
وَبِرْكَةٍ لَقِيلٍ لَا تُنْسَى لِيْلِيهَا وَلَشَّمْعٍ فِيهِ يَضْهِى زِينَةُ الشُّهْبِ^(١)

لقد لوحظ على لأست لتي كتبت لابن سعيد من شعراء مصريين وشاميين امتداح كل منهم لبده، ووصف الأماكن الرائقة الجمال فيها، ووصف معلمه حضارية ومعاهد أنسه، وتذكيره بمجلسه مع لشعراء فيها، وهو نوع من المفاضلة التي اشتهرت بين مصر والشام، وبين المغرب والأندلس، ولعل المرسل في ذلك غنية عن التعريف، مثل رسالة القاضي الفاضل^(٢)، ورسالة الشقندي^(٣).

ومن المساجلات الإخوانية المشهورة بين المغرب والمشرق، ما كتبه أبو العباس لعسدي^(٤) صديق ابن سعيد من تونس، من أبيات في غية الرقة هذ النرح الذي أضحي بعيداً، فتحدت الأشوق فؤاد صاحبه لخالق على الدهر الذي جعل لتواصل بينهما خيلاً:

يَا نَارِحاً عَنِّي أَجِبْ كُتُبِي كَيْ صَدَحَ لَحْمٌ إِذَا لَحْمًا تَرَنَّى
وَأَجَلْ جَفَوْنِكَ فِي سَطُورٍ لَمْ تَكُذْ لَوْلَا تَصَعُّدُ فَرْقِي أَنْ تُفْهَمَ
لِللَّهِ طَرِحَنِي اخْدِثْ فِرْنِي أَهْوَى حَدِيثَكَ مُفْصِحاً وَمُجْمَعِي
بَاقٍ عَلَى حِفْظِ الْوِدَادِ وَطَانِ أَمْسَى بِأَيْدِيِ الْخَادِثَاتِ مَقْسَمِي
تَنْجِ دَبُّ لَأَشْوَاقُ قَبِي كَمَا أَبْصَرْتُ فِيهِ مَكَانَكَ الْمُتَوَهَّمِ
وَيَطْوُلُ رَدِّي لِكُؤُومٍ تَذَكَّرْ فَإِذَا شَرِبْتُ شَرِبْتُ فِيهَا الْعَنْقَمَا
وَيَحَالُ هَذَا الدَّهْرُ فَوْقَ أَسْهُمَا لِحَادِثَاتٍ فَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى

(١) المقتطف، ص 161 62.

(٢) نظر تفصيل ذلك في ترويضتين، 57/2 60.

(٣) نصر نفح، 3/186 وما بعده.

(٤) أبو العباس لعسدي، كما كتب في بلاط المستنصر خفصي، وجرت بينه وبين ابن سعيد مطرحات كثيرة، نظر النفح، ص 12، ريت، ص 144.

مَا كَانَ يَقْنَعُ التَّوَّاصِلُ دَائِي ۖ فَلَیَوْمَ يُقْنَعُ الْخِيَالُ مُسَلِّي^(١)

ويرد ابن سعيد بأبيات لا تقل رقة عن أبيته، على البحر والقافية نفسيهما، ولا تخو
من شوق اندي يضره فؤده لأهله وأصدقته، و صف أثر قصيدة الغساني فيه، حيث
غدت منذراً لأفقه احالك لما يعنيه في دير الغربية:

طَعَنَتْ فِي نَيْسٍ لَتَشَوْقٍ أَنْجِي ۖ نَبَّ بَعَثَتْ مُسَدَّلًا وَمُسَلِّي
لَوْلَا كِتَابُكَ ظَنَنْتُ فِيهِ حَيْرٌ ۖ حَيْثُ اتَّجَهْتُ رَأَيْتُ جَنَحًا مُظْلِي
وَفِي وَأَفْقِي حَالُكَ فَنَارُهُ ۖ وَأَوَامُ شَوْقِي مَوْلُومٌ فَشَفَى الظِّي
أَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَفَاحَ نَسِيمُهُ ۖ فَكَأَنَّمَا نَوُورٌ بِجَمْرٍ ضَرَّ مَا
عَهْدِي بِصِيرِكَ مِثْلُ بَحْرِ زَاخِرٍ ۖ لَا غَرَوْا إِنِ أَرْسَلْتَ دُرًّا نَظَّاهَا
إِيَّاهُ أَبُوبِ الْعَبَسِ بَعْدَكَ لَمْ أَزَلْ ۖ مَهْمَا تَدُرْ مَشْمُونَةً مَتَجَهَّيْ
وَقَدْ كَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ فِي الْجَفْنِ مِ ۖ أَبْكِي بِهِ إِنِ كُنْتَ بُكَيْتَ لَدَمِ^(٢)

ولعل هذه المسجدة تختلف عن سبقها، إذ يتبدى فيها صدق لعطفة، وحرارة
المشعر، فلا غرابة في ذلك، إذ إنها مكتبة بين بن سعيد وصديقه اندي قضى معه أيام
شبابه، وقد كتب أبو العباس أبيته من أرض الوطن اندي لا ينفك ابن سعيد يحن إليه
وهو فيه، فكيف إن تبعد عنه، ولا شك أن عو مل البعد وارتبط بالأهل والأصدقاء
والحنين إلى الوطن اندي جتمعت في هذه المسجدة، جعلتها من أصدق لمسحلات
لإخوانية وأرقها.

ونأتي لنمعرضات، فقد عارض بعض الأندلسيين لمرتجلين، قصائد مشهورة
لمشاركة من عصور متقدمة، ومن أشهرها معارضة ضياء الدين أبي الحسين عي بن محمد
خزرجي^(٣) لقصيدة كعب بن زهير المشهورة التي يمدح فيه الرسول ﷺ ومطلعها:

(١) مقتطف، ص 162، 163

(٢) قدح، ص 5 المقتطف، ص 163، 164

(٣) نصر لمحقق، لترجمة رقم (26)

بَأْتَتْ سَعَادُ قَلْبِي يَوْمَ مَتَّبِعُوا مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَمْ مَكْبُولٌ⁽¹⁾

وَأَمَّ الْخَزْرَجِي فَقَدْ خَالَفَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَعْبٌ، فِي عَدَدَتْ سَعْدَ سَوْلِهِ، فَوَصَّيْهَا
وَعَدَمَهُ سَيَانَ، لَأَنْ وَعَدَهَا مَحْصُولٌ، يَقُولُ:

مَا فِي سَعَادُ لَنْتَ قَصْدٌ وَلَا سَوْ
وَمَا سُعَادُ وَمَا مَقْدَارُ مَنْصِبِهَا
سَيِّدٌ عِنْدِي إِنْ بَأْتَتْ وَإِنْ وَصَّيْتُ
وَمَا أَنْ يَدُوهَا عَهْدٌ وَإِنْ غَدَرْتُ
فَإِنْ قَبِي عَنْهَا الْيَوْمَ مَشْغُولٌ
حَتَّى أَيْتَ وَقَلْبِي مِنْهُ مَتَّبِعُوا
فَوَضَّيْهَا بِنَصْلِ الصَّدِّ مَفْصُولٌ
فَهُوَ الْوَفَاءُ، وَعَهْدٌ لَغِيْدٍ مَطْطُولٌ

وَكُنْهَ يَأْخُذُ عَلَى كَعْبِ الْإِبْتِدَاءِ بِمَقْدَمَةِ غَزِيَّةٍ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ لِأَنَّ حُبَّ النَّبِيِّ
يَحِبُّ أَنْ يَشْغُوهُ عَنْ حُبِّ مَنْ سِوَاهُ، وَيَطْنِبُ ضِيَاءَ الدِّينِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَبْدُو مَعْجَزَاتِهِ
فِي قَصِيدَةٍ زَادَتْ عَلَى مَثْنِيْنِ وَثَلَاثِيْنِ بَيْتًا، فِي حِينَ بَلَغَ عِدَدَ أَبْيَاتِ قَصِيدَةِ كَعْبٍ بَضْعًا
وِثْمَانِيْنِ، وَلَمْ يُوْرِدْ ابْنُ رُشَيْدٍ الْأَبْيَاتَ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْ مَعْجَزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ وَاكْتَفَى
بِالْإِشْرَةِ إِلَى بَعْضِ الْأَبْيَاتِ فِي خُتْمَةِ قَصِيدَةِ الْخَزْرَجِيِّ، وَمِثْلُهَا:

يَمِنْ لَهُ فِي حَدِيثٍ لِمُصْطَفَى سَنَدٌ عَالٍ، وَيَسْمَعُهُ وَالنَّقْلُ مَعْلُولٌ
خُذْ هَذِهِ فَهِيَ لِلنَّاسِ تَذَكُّرٌ وَنَظْمُهَا فِيهِ تَقْرِيْبٌ وَتَسْهِيْلٌ
يَعَالِي السَّرَّ لَا تُفْضَحُ سَرِيْرَةٌ مَرْنٌ لَهُ عَلَى عَفْوِكَ الْمَرْجُوُّ تَعْوِيْلٌ
وَصِلْ صَلَاةً عَلَى خَيْرِ الْوَرَى فَلَهُ بَيْنَ النَّبِيِّيْنِ تَخْصِيْصٌ وَتَفْضِيْلٌ²

وَلِأَثَرِ الدِّينِ قَصِيدَةٍ يَعَارِضُ فِيهَا قَصِيدَةَ كَعْبٍ سَمَّاهَا «الْمُوْرِدُ الْعَذْبُ فِي مَعَارِضَةِ
قَصِيدَةِ كَعْبٍ» يَبْتَدِئُهَا بِمَقْدَمَةِ غَزِيَّةٍ، يَقُولُ:

لَا تَعْدِلَاةُ فِي الْحَبِّ مَعْدُوٌّ الْعَقْلُ مَحْتَبِسٌ وَالْقَلْبُ مَتَّبِعُوا

(1) صر مصعبه، ديوان كعب بن زهير شرح أبي سعيد لسكري، نسخة مصورة عن طبعة دار
الكتب، القاهرة، 1950، ص 6-25

(2) ر. رشيد المهرى السبي، من لعبة جمع بطون معينة في الوحمة لوجيهة إلى خرمين مكة وطيبة،
تحقيق محمد الحسب ابن الحوحة، لشركة تونسبة للتوزيع، تونس، 1981، 48/3، 49.

هَرَّتْ لَهُ أَسْمُرًا مِنْ خَوْصٍ ⁽¹⁾ قَدَمْنَهَا فِي أَشْيِ الصَّبِّ إِلَّا وَهُوَ مَقْتَبُورٌ

ثم ينتقل بعد المقدمة الغزلية إلى دعوة إلى التوبة ونبش للرسول ﷺ

أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَالْيَدِ مِنْهُ وَبَدْرٌ لَتُوبٍ إِنَّ تَوْبَ مَقْبُورٍ
وَمَنْ لَعَفُوَ وَأَسْبَتْ مَهْمَهَا قَدْ ذَفَّ إِلَى رِصَى اللَّهِ إِنَّ لَعَفُوَ مَأْمُورٌ ⁽²⁾

ثم يبين معجزات الرسول ﷺ من نفاق لحجر ونبع ماء، ويؤكد بقاءه وحمودها.

وعرض ضياء الدين الخزرجي مسمط ⁽³⁾ حريري الذي جاء في مقامته بهصرية خمسين، ومطبعة:

وَالْمَعْمُورُ	خَلَّ أَدَّكَ رَ لَأَرْبَعِ
وَعَدَّ عَدَّ عَدَّ	وَانْظُرْ عَيْنَ مَنْ دَعَّ
وَوَدَّتْ فِيهِ لَصُحُفًا	وَالدُّبُ زَمَانُ سَدَفَ
عَلَى نُقْبِيحٍ شُنْعٍ	وَمَنْ تَزَنَ مَعْتَكِفُ
مَنْ أَتَى أَبَدَتْهَا	كَمْ لَيْسَ أَوْذَعَتْهَا
فِي مَرْقَدٍ وَمَضَجٍ	شَهْوَةٌ أَطْعَمَتْهَا
رَبِّ لَسَمَوَاتِ الْعُغَى	وَكَمْ تَجَرَّأَتْ عَلَى
صَدَقَتْ فِيهِ تَدْعِي ⁽⁴⁾	وَلَمْ تَرْقُبْهُ وَلَا

(1) خَوْصُ الغصن لدعم، سد العرب، مادة خَوْصَ

(2) بحر لقصيدة كاملة، ديوان، ص 461 471

(3) مسمط من شعر أبيات مشطورة يجمعها قافية واحدة، وفيه ما سمط أربع بيوتات وسمط في قافية واحدة سد العرب، مادة سمط

(4) نشريني، أبو عباس أحمد بن عبدالمؤمن شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفصم، برهيم، مؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1976، 5، 366

وقد بلغ عدد أبيات مسمط الخزرجي واحداً وأربعين بيتاً، وهو يُقارب عدد أبيات مسمط الحريري التي بلغت أربعة وأربعين، لكن لسبتي لم يورد منها إلا عدة أبيات تحمل بعض المعاني التي أوردها الحريري من لتوبة، و لتضرع لله واللوذ بأهل الورع لتكفير عن لأثر وهي.

هَـوْؤُنْ بِأَهْلِ الْبَيْدِ	واحدٌ رٍ والتـصنِع
وَدِنْ بـتـركِ الطَّعْمِ	وُلْدُ بَأَهْلِ الْوَرَعِ
وَهَـنْجُ بـرَّ جِهـيـدِ	وَعـمُّ مَثَّ ضَعِ
وَنَدَبُ زَمَنٍ قَدْ سَلَفَ	وَلَمْ تَجِدْ مِنْهُ خَافَ
وَبَعَثَ بَأَنْفَسٍ لَأَسَفَ	رَسـيْلُ التـضرُّع ⁽¹⁾

ويعرض أثير لدين أبو حيان موشحة ابن العفيف التلمساني⁽²⁾ التي يقول في مطلعها متغزلاً

قَمَرٌ يَجِدُ وَدَجَى لُغَالِسٍ بَهَرِ الْأَبْصَارِ مُنْذَ ظَهَرَ
 آمِنٌ مِنْ شَبْهَةِ الْكَالِفِ
 ذَبِثُ فِي حَيَّيْهِ بِالْكَالِفِ
 لَمْ يَزَلْ يَسْعَى إِلَى تَفْـسِي
 بَرَكَاتِ الدُّرِّ وَالصُّدْفِ
 أَهْلُ وَلَا أَعْيُنُ حَرَسِ نَالَتْ مِنْهُ لَوْضُنْ مُقْتَدِرِ⁽³⁾

(1) من نعيبة، 3 46

(2) بن نعيف التمسلي، شمس لدين محمد بن سبيح بن عي، منقب بالشاب لطريف، شعر مجيد ولدي في قدهرة، وولي عمرة اخراة بدمشق، مات شباً سنة (688هـ) نظر: لفوت، 3/2/3

373 الوافي، 3 129 130 لنداية وللهية، 13 334

(3) ديون شاب لطريف، تحقيق شاهر هادي شكر، مطبعة سجع لأشرف، لعراق 1967، ص 294.

أما موشحة أثير الدين فتأتي على الترتيب نفسه، لكنه يغير من قافية الأسباط، فجعلها رثية، في حين كنت فائية كما تبين عند بن لعفيف، يقول في مطلعها:

عذني في لأهيف، الأئس
لوراة كان قد عذرا
رشا قد زائنه لحور
غصن من فوقه قمرة
قمر من شجبه شعرة
نغر في فيفه ثم درر
جربسين الدر واللعل
خبرة من ذاقها سكر⁽¹⁾

وربما كان تغيير قافية الأسباط عند أبي حيان من باب إظهار قدرة الأندلسيين وبرعتهم، وربما كنت قافية الرء كما يرى أبو حيان أكثر ملاءمة، فربما كان تغيير القافية من باب معرضة، ولانبت تقدم الأندلسيين على المشاركة في فن الموشح، وقدرتهم على نسجه بطريقة خاصة، قد لا يصل إلى مستواه المشرقة كما يرون

هذه جانب من صور المعارضات، التي جاء بعضها معرضاً لقصيد من عصور سابقة كقصيدة ضياء الدين خزرجي وقصيدي أثير الدين للاميتين في معارضة قصيدة كعب بن زهير، ومسمط الخزرجي لذي يعارض به مسمط الحريري، وجاء بعضها الآخر معرضاً لقصيد شعري في لعصر ذاته، مثل موشحة أثير الدين التي يعارض بها موشحة بن لعفيف، وقد تكون تلك المعارضات من باب المخالفة أو الموافقة كما تبين.

وتكشف هذه المعارضات عن تتبع المغيرة لأدب المشاركة، قصائدهم، ومقاماتهم وموشحاتهم، وتنبئ عن إعجاب أندلسي بتراث المشرق وأدبه، ثم يقف الأندلسيون عند امتداحه، بل شاركوا فيه لمشاركة، مطرحة أو مساجنة، أو معرضة.

(*) ديوان، ص 495

الزهد والتصوف

يُعدّ لزهد وتصوف من الظواهر العامة التي لا يخفى منها أي مجتمع من لمحتّمات، لكنها زدادت وتسعّت في هذا العصر بصورة تسترعي النظر نتيجة للظروف التي دهمّت لناس من فتن وحروب ومجاعات وتشرّات وبئس وكثرة مضلّ، فأروا في التدين سبيلاً للخروج مما يلاقون، بالإضافة إلى تشجيع القادّمين على الأمر لهذا الاتجاه. لأسباب قد تكون سبعة من قيم دينية وإقامة العدل وإصلاح زمن الأيوبيين وخاصة صلاح الدين. وما لتتخية هؤلاء عن الانشغال بشؤون السياسة خاصة في العصر الممّوكي. فزهد بعض الناس وعزلوا وبلغوا في ذلك، وكثرت الدعوات التي تحصر على استصغار الدين وعدم التعلق به في شعر المرتحين من ذلك ما يدعو إليه أبو الحسن عبي بن أحمد الجُميري¹ من ترك الدين وعدم الاعتراض به لأن العمر قصير والموت خير وأعظم، في رثته لعز بن عبد السلام.

أمدّ حياة كما عيمنت قصير	وعينك نقاد بها وبصير
عجباً مغترّ دار فنائمه	ولله إلى دار البقاء مصير
فسيبهم لنديت معرّض	وعزيرها بيد الردى مقهور
يظن أن عمر ممدود له	وعمر فيه على الردى مقصور ²

وما دمت لأيم زينة لا محالة، فقد دعا الزهاد إلى التسرعة بعبادة الله تعالى والابتغال والدعاء له بطلب المغفرة، يقول ضياء الدين اخنرخي:

بناثي وعيون قوم ساهرة	ولا يباي أطال لليل أم قصر
فلم لتتجداً يا نومس مجتهد	فلجديدين سيف ينسف العمر
وسرّ لفحر يوم الحدي فقم	وناد من لم يزل في المنك مقتدر
باعلم السر لا تفضح سريرة من	وافك بك فلق الإصباح مفتقر

(1) صر محق، ه حمة قم 21

(2) 'نسخ، 2 611

وَقَدْ دَعَاكَ قَرِيحَ الْقَبِّ مِنْكَسِرٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا أَبْدَى وَمَا سَتَرَ
فَهَبْ لَهُ تَوْفَةً وَأَرْحَمْ نَضْرُغَهُ بَلَيْتَ وَغَفَرَ لَهُ بِخَيْرٍ مَنْ غَفَرَ⁽¹⁾

ولا بد من نزع سبيل المصطفى ﷺ والتمسك بكتاب الله للنجاة من عقاب الله تعالى، كما يقول محمد بن عبد الله المُرسي⁽²⁾:

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي النِّجَاةِ فَلَهُ غَيْرَ اتِّبَاعِ الْمَصْطَفَى فَمَا أَتَى
ذَلِكَ السَّبِيلُ الْمُسْتَقِيمُ وَغَيْرُهُ سُئِلَ الْغَوَايَةَ وَالضَّلَالَةَ وَالرَّدَى
فَاتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَلِسَانَ النَّبِيِّ صَحَّتْ فَنَازَكَ إِذْ اتَّبَعْتَ هُوَ الْهُدَى
لِذَنْ مَقَالَ لِنَبِيِّ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مِنْهُمْ جُفُفَ⁽³⁾

وقد كان لزهد ثورة على حياة اللاهية، لذلك كان على المرء ألا يلهي بمتاع الدنيى وملذتها، بل عليه أن يقطع ويثق بالله تعالى حتى يحظى بمكانة رفيعة، يقول علي بن أبي بكر ابن عتيق⁽⁴⁾:

وَقُنْعٌ بِمَا عَطَاكَ رَبُّكَ رَضِيًا إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَنْزُهَا لَا يَنْفَدُ
بِالْوُثُوقِ بِذِي الْمَعَايِ رَفْعَةً يَحْطِى بِهَا لَعَمْرُ الرَّشِيدِ لَا سَعْدُ⁽⁵⁾

كما يبحث الشاعر على التحيى بالأخلاق حميدة التي تقرب المرء من خالقه تعالى كالصدق والإحلم، ويحذر من الصفات التي تعدد بينه وبين الله تعالى مثل الكذب والنميمة والحسد، يقول:

إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ لِمَثِيرِ عَدُوَّةٍ إِنَّ لَكَاذِبٍ عَنْ لِإِلَهِ مُبْعَدُ
وَنَصْدُقُ أَوْ مِمَّا مَكَتَ طَرِيقَهُ فَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ لِأَقْصَدُ

(1) من الغيبة، 3/ 47 48

(2) بصر الشحو، بترجمة رقم (44)

(3) معجم الأدباء، 18 212.

(4) بصر الشحو، بترجمة رقم (١٦).

(5) معجم الأدباء، 18 212

إِنَّ النَّمِيمَةَ خِصْمَةٌ مَذْمُومَةٌ يَسْعَى بِهَا لِنَذْرِ الشَّيْءِ الْأَوْعَدِ
 لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا عِنْدَهُ فَنَعْقِلُ مَغْبُوطٌ مَنْ لَا يَحْسُدُ
 وَحَمٌّ فَإِنَّ لِحْنَهُ خَيْرٌ مَضِيَّةٍ مَنْ كَانَ رَاكِبُهُ يُجْرُ وَهُوَ يُحْمَدُ
 كما يدعو إلى اتقاء مطاعم الشبهات، والحرص على تناول الطعام من مصدر حلال،
 يقول

واجْعَلْ طَعْمَكَ مِنْ حَلَالٍ خَالِصٍ فَمَصَاعِمُ لَشَبَهَاتِ سُمٍّ تُؤَوِّدُ^(١)
 ويغرق الزهاد في لنفور من الدنيا، ويستمرون في محذاتهم لإخراج حُبِّها ولتعلق
 بها من قلوبهم، فيتطور ازهد حتى يصل مرتبة أسمى هي التصوف، فالحياة الإلهية وما
 يلاقيه من ضنك نعيش بدفع بهم إلى الانعزال والانعزال في الروحانيات ومنجدة
 لذات إلهية، حيث تبدى لهم أسرار يستشعرون بها لذة تفوق أية لذة دنيوية، يعبرون
 عنها في أشعرهم.

ومن أشهر الشعراء المتصوفين من المرتحمين محيي الدين بن عربي، وأبو الحسن
 للشَّشَنَرِي اللُّذَانِ تميز لشعر الصوفي لكل منهم بالغرارة والتنوع، ولا يمكن في هذه
 لدراسة أن نقف عند نتائج كل منهم لسمته، ولأنه يحتاج إلى دراسة مستقلة ولكننا سنن
 جونا من تأثير عقائدهم وعلاقتها في البيئة الجديدة في مصر والشام.

فابن عربي وصف بأنه ضاهري المذهب في العبادات، لطني النصر في الاعتقادات^(٢)
 وقد تأثر بمؤثرين أحدهم إسلامي والآخر غير إسلامي، يتخصص لأول في الكتب
 والسنة والنظرات الصوفية السديدة وآراء المتكلمين، وترجع مؤثرات غير الإسلامية إلى
 لفلسفات لتقافات الأجنبية من يونانية وهندية وفارسية، فقد كنت تتردد على خياله

(١) عقود خير (محموظ)، ج ٥، ورقة ٩٥

(٢) صفح ٢٠٥

عن خياله شطحات صوفية وأفكار فلسفية لحصيلته الثقافية المتعددة لروافد⁽¹⁾. وذهب إلى أن لوجود كنه واحد، وأن وجود المخوقات عين وجود خالق، بمعنى أن وجود المخلوقات وحدة و كنه ذليل وجود خالق واحد هـ، فلو وجود بأسره وحدة واحدة ليس فيه ثنائية أو تعددية⁽²⁾. وقد نفى عن نفسه القول بالوحدة والاتحاد للذين قال بهما المحدون، حين قالو: «إن شخصية النفس وذات الإله لا يختلفان»⁽³⁾ يقول:

وَدَعَّ مَقَالَةَ قَوْمٍ قَالُوا عَنْهُمْ لَا تَحْدُ دُخُولُ لَا يَمُورُ بِهِ
بَأَنَّهُ بِفِهُ الْوَاحِدِ اتَّحَدَا
وَعَنْ حَقِيقَتِهِ وَعَنْ شَرِيعَتِهِ
إِلَّا جَهْلُ بِهِ عَنْ عَقِيدِهِ شَرَدَا
وَهَبَّ الْأَسْرَارَ تَحْضُّ بِهِ
فَعَبْدُ إِيْمَاكَ لَا تَشْرِكُ بِهِ أَحَدَا
وَلَتَتَّخِذْ عِندَهُ قَبْلَ الْقُدُومِ نَدَا⁽⁴⁾

وتولدت عن وحدة الوجود عند ابن عربي وحدة لأدين، ونظريته في الإنسان الكامل⁽⁵⁾. وقد أثرت آراء ابن عربي لفقهاء في مصر ضده وسعوا إلى إراقة دمه، وأوذى بسببها وأودع لسجن، نولا صديقه أبو الحسن البجائي الذي تأول كلامه بأنه «شطحات في محل شكر ولا غتب عن سكران»⁽⁶⁾، وقد اتصل ابن عربي ببن الفارض من شعراء مصر، حيث بعث له يستأذنه في شرح تائيته، فقال: «كنت المسمى بالفتوحات لمكية شرحها»⁽⁷⁾ ثم شيخ مشيخ الدير المصرية عز الدين بن عبد السلام فقبل به طعن ببن

(1) علي الخطيب، المحطات الأدب لصوفي بين حلاج وبن عربي، در المعارف، القاهرة، 1404هـ، 297

(2) طبعت عدم أضوء على التصوف، علم الكتب، القاهرة، ص 219 - 220

(3) اسير بلاطوس بن عربي حبه ومذهبه، ترجمه عن الإنسانية، عبد الرحمن بن دوي، وكالة المطبوعات، بكويت، ودر بقلمه، لسد 1979، 257

(4) ديوان ابن عربي تكبير (مخطوط)، جامعة الأردنية، ص 441.

(5) أضوء على التصوف، 9 - 40، وتريه من التفصيل، بطر 228 - 237

(6) عمور لدرية، 157 - 158

(7) صفح، 2 - 166

عربي طاهر^١، لكنه حينئذ سئل: أين القصب، أشد إليه، فقيل له: فأنت تصعن فيه، فردّ بحجبه: أصون ظاهر شرع^٢.

أم في الشام فقد لقي بن عربي كل حفاوة وتكريم من موكلها وخاصة من الملك الظاهر غزني بن صلاح الدين صاحب حلب (ت 613 هـ). وكان الناس يجأون إلى بن عربي للتوسط لدى السلطان لقضاء حوائجهم، حتى إنه كم قل، رفع إليه في مجلس واحد مئة وثماني عشرة حاجة ففصاه كلها^٣. وقد بلغ في بلاطه نفوذ ز د عى نفوذ لفقهاء الدين شت عليه حرباً لتعلب أهوائهم على نفوسهم، حيث أفتوا للظاهر غزني بتحليل العديد من لأفعال لمحرمة، بالإضافة إلى كراهية ابن عربي لهم لموقفهم المتشكك من الصوفية^٤. كم كانت له علاقة جيدة بالملك المعظم عيسى (ت 637 هـ) وراد أن يؤمن به معاشه، فأجرى عليه كل يوم مئة درهم فصة، فوجد ابن عربي في ذلك سبيلاً لتصدق بها^(١).

وقد شهد أجل مشيخ الشام مثل كم ل الدين الزمكني، وسعد الدين احموي لأن ابن عربي بسعة علمه، مشبهين إياه بالبحر الزخار الذي لا ساحل له، و صفين من بكروا عليه عقائده بجهلهم وقصور فهمهم عن الإدراك، كم لقي الإجلال من قاضي قضاة الشافعية في عصره شمس الدين الخوئي، وقاضي قضاة المالكية^٥.

وقد خفف ابن عربي في كل سد نزل به ما كان قد كتبه من مصنفات لتي شتغل بها لناس، وما زلوا إلى يوم، يحاولون تفسير ما فيها من شطحات صوفية وشرارات ورموز بعيدة.

(١) لنفتح، 2، 184.

(2) لمؤحات مكية، در صدر، بيروت، 4، 539.

(3) مصدر، سبق، 3، 69، 70.

(4) سبق، 4، 558، 560.

(5) سبق، 179، 184، 179.

ما أبو الحسن الششتري فقد تنقل بين مصر والشام، ووصفه لغبريبي صاحب عنوان الأدريّة بأنه «من الطبقة لمحصّنين ومن الفقراء لمنقطعين، له معرفة بالحكمة، ومعرفة بصريق الصّالحين والصوفية، وله تقدم في علم النظم والنثر على طريقة التحقيق»⁽¹⁾، وقد أخذ عن محيي الدين ابن عربي، وحتّم في لثام بالشاعر الصوفي نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل ندمشقي (ت 677 هـ)، وأعجب كل منهم بالآخر⁽²⁾ وقال عن لنجم «أعيتته على قدم لتجرد، وله أشعر وذوق... وكان من لأمراء وأولاد الأمر، فأصبح من الفقراء وأولاد الفقراء»⁽³⁾، وتنقل لششتري بين لربط والأديرة في مصر والشام، وترك هذه البيئات أثراً في موشحات وأزجال الششتري ألفاظها ومضمونها، كم كان له دور بين في إيصال معانيها الصوفية إلى الناس ببساطة نظراً لأنها صيغت على لغة لعامة ولسهولة عندها وتجنّنها، وعلى بساطتها، لم تخل من العمق، وسنقف عند بعض موشحاته وأزجاله، وموشحات ابن عربي في الأدرسة لفظة إن شاء الله.

ومن الشعراء المتصوفين الذين كتبوا في معاني التحقيق من لمرّشحين أبو الحسن خراساني لتجيب⁽⁴⁾ الذي كان يديه علم في التفسير والفقه والطبيعية والمنطق، ولتقى بلعر بن عبد لسلام شيخ الدير المصرية ووقع بينهم كلام على التفسير⁽⁵⁾، وقد وردت له بعض لأبيات التي يبين من خلاها أن المعرفة لا يتوصّل لها عن طريق العقل بل يتم لوصول إليها بالذوق لأن العقل قد يكون حجاباً، ويقصر عن الإحاطة بلطابق، يقول:

كدي رُمْتُ لَذِي وَضْئَةً صار لي العقل مع العجم حَلْمٌ⁽⁶⁾
يقطع بي بحيالات لفن عن وجود لا يُقَيّدُ عدَمٌ⁽⁷⁾

(1) سوان أدريّة، 239.

(2) المصح، 185/2.

(3) الإحاطة، 4 206.

(4) انظر لمحقق، الترجمة رقم 18.

(5) سوان أدريّة، 144، 145.

(6) حليم أنه كمقص خير اصوف وفطحه معجم لوسيط، مادة جنم.

(7) سوان أدريّة، 155.

لكن لأبيات القيسية التي وردت له لا تكشف عن مذهبه الصوفي، ويرجع من شذره وسيرة حياته أن له شعراً في التصوف غاب الكثير منه.

ومن لشعراء المرتحين الذين كتبوا في عرص التصوف أثر لدين أبو حيان دون أن يكون متمثلاً لفلسفة التصوف سوياً، فم يكن كلامه إلا نظرياً، ويشير في أبيات أورده إلى أن الارتقاء بالنفس لا يكون إلا بترك الأغير (كل ما هو غير الله)، وعندئذ تصعد النفس من الخفيض إلى المرتب العبد، فتزور عنها لحجب وتخرج من رؤية الكثرة إلى رؤية الوحدة، يقول:

فلم ر في لأكوان غيري لأني	زحنت عن الأغيار روح حياقي
وقدسيتها عن رتبة لوتعينت	فدئماً دمت هـ حاسر قي
فهي أن أصعدتها عن حضيضها	إلى رتبة تقضي لها بثبات
قامت زماناً في حجاب فعندما	تزعزع عنها رمت الخفوات
لنقضي بها ما فت من طيب أنسا	بها ونال أجمع بعد شتات

هذه بعض الالتفات في لزهد والتصوف في شعر المرتحين سواء كانوا متمثلين للزهد والتصوف أو واصفين له وموردينه غرضاً من أغراضهم، نكت أن لا نجد في هذا الشعر ما يربط بين معانيه الدينية لعميقة وبين ما يلاقي الشعراء من ضنك الارتحال وشكوى والغربة، لما يجمع بين الالتفاتين من ألم وابتعاد عزلة، ولا شك أن الزهد والتصوف بشكلاهما من دخا خصاً لتعبير عن هذه معاني التي عناها لشعراء المرتحلون نتيجة لبعد عن الوطن.

اللهو والمجون

كثرت لأشعار التي تصف مجانس لهو والغناء، وما يجري فيها من شرب الخمر ولاحتلاط بالنساء، ولتغزل بالغلمان، وفي حين كانت ظروف الشدائد والمحن وتفوقم لأخطار، بالإضافة إلى شعور المرتحلين بألم الغربة ومعادة البعد عن الوطن تؤدي إلى

زبد لنزعه إلى نزهة والتصوف. كنت هذه نظروف نفسها تؤدي إلى نجة آخر نحو
لهو ومجون. حيث كان أصحاب هذا الاتحاد يرون أن الحياة قصيرة فباعتوا من مساكنها
وليستمتعوا بأوقاتهم قصيرة ما يستطيعون، فلألام في زمنهم كثيرة وطويلة.

وقد تفعل الشعراء لم يتحون مع هذا التبرير الإلهي في مصر والشام، وتبادلوا مع
الشعراء المشرقة وصف مصدريه، إذ كانت لطبيعة من حولهم وما تبعته في نفس من
حول تصبح لأن تكون مواطن لمجلس أنسهم وهوهم، وقد بينا بعض جوانب من هذه
المحاض ووصف ما يجري فيها عند الحديث عن وصف مظاهر حضارية في مشرق من
متنزهات وبرك، وفي بعض مطرحت الأندلسيين مع المشرقة وما يتبادلونه من الغزل
ووصف الغنى، لكننا نورد هذه مواضع أخرى تدعم هذا الاتجاه.

يدعو بن سعيد إلى اعتد من الذات وترب اخبر في روضة غناء تخفق أعصاه
طرباً، وتفتح زهره لتي كحنتها لشمس إشرقاً، يقول:

إذا غصون عدت خفقة الغدب	فاسجد هديت إلى الكاسات وقرب
وضريح السورق في أوراقها طرب	ومل إذا ملت الأغصان من طرب
وهضر إلى أم أس بنيت دسكرة	تجى عليك بكبير من نذهب
ونظر إلى رينه لذي ور خرفه	في روضة رقتها ثمل الشوب
ولأزهر حردق محذقة	قد كحنتها يمين لشمس بذهب ⁽¹⁾

ونرى ابن حمزة القرطبي⁽²⁾ يصف أحد محاررين شرب الخمر غير به ب يرتب
على ذلك من لعقب، مسمياً إياه بالعجور لأن حده شنون جلدة، يقول:

عدلنا فلاناً على فعله	ونأه في شربه للعجوز
فقل دعوي من أجه	نل أب وأحي والعجوز ⁽³⁾

(1) موقت، 105، 3

(2) مصر مدحوق، ترجمة، رقم 2

(3) نصح، 374/2

ولا بن خروف لحوي⁽¹⁾ يُياتُ يصف فيه حال كأس الخمر، يقول:

أَبْ جَسْمٌ لِحُمَيٍّ وَ حُمَيٍّ فِي رَوْحٍ
بَيْنَ أَهْلِ الظَّرْفِ أَغْدُو كُـلُّ يَوْمٍ وَارَوْحٍ⁽²⁾

ويزج بن جنان بين سكره من لذت، وسكره من لدم لتي تبدو بلونه المذهب كالشمس، فاجتمعت مع وجه محبوه الذي يشبهه بالشمس فأصبح عنده شمسان يبهى سها لأفق، يقول:

هَبْ لُدْمٌ فَقَدْ نَحَّحَ لِحْمٍ عَى هَدِ انْظِلَامٍ وَجَيْشُ لُصْبِحٍ فِي لَطْلَبِ
لَا أَسْتَفِيقُ مِنَ اللَّذَّةِ أَوْ لَوَّ مَا اهْتَزَّتِ الْقُصْبُ فِي مُخَصَّرَةِ الْعَذَبِ
وَلَكَّسُ حُلَّتْهَا حَمَرَاءُ مُنْهَكَةً لَكِنْ أَرَزَّتْهَا مِنْ نُؤُؤِ احْتَبَبِ
إِنْ تُهْتُ دَلْشَمَسٍ بِأَفَقِ السَّمَاءِ فِي شَمْسٍ، وَجَهَ نَدِيمِي وَبَنَةُ لَعْنَبِ
قُمْ سَقْنِيهِ وَتَعْرُ لَصْبِحِ مَبْتَسِمٍ وَالْيَسْرُ تَبْكِيهِ عَيْنُ الْبَدْرِ بِالشُّهْبِ⁽³⁾

كما يثمن من سكر نصبة بين دواح غوطة دمشق، حين تأتيه لسننهم بأخبار محبوب وتتلو عليه أحاديث الغرام، يقول:

خَبِرْتُ بِأَنْفَسِ الرِّيَّاحِ مُعْطَرُ وَفِي شَذَاهُ فَضْلَتْ مِنْهُ أَشْكُرُ
وَفِي وَمَا فِي الْقِسْمِ مِنْ يَدْرِي بِهِ إِلَّا فَتَى فِي حُبِّهِ مَتَنَكَّرُ
نُسْتُ أَحَادِيثُ الْغَرَامِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانُهُ عَمَّ بِهِ يَسْتَخْبِرُ
حَتَّى ذَغَى لَهُ حَادِي بِهِمْ وَسَرَى لَهُ مِنْ نَشْرِ الْيَسْرِ الْعَنْسَرُ
هَزَّ لِعَطْفِ ثَمَرِ رَحْمَتِهِ نَشُونَ فِي ذَيْلِ النَّصْبَةِ يَعُثَرُ

(1) يضر ملحوا، لم حمة رقم 24

(2) نوفي، 22/93

(3) شذج، 208.

منهتك¹ في العشمين كي ترى يدي الذي يُخفيه منه ويُضمير²

وقد تعزل شعراء في مجالسهم بالنساء والغلمان ر بطين بين صفتهم وجمال عناصر
لصبيعة من حوهم، من ذلك ما يصف به أثير الدين فتاة وصفاً حسياً مشبهاً نظراتها بنفث
سحر، ولين قدها بالغصن وما تبعته هذه الصفات في فؤاد الصب، يقول:

أَسْحَرْتُكَ لَعِينٌ فِي الْقَلْبِ أَمْ وَخَزُ وَلَيْنَ لُذَاكَ الْجَسَمِ فِي نَمَسٍ أَمْ خَرُ
وَمُلُودُ ذَاكَ لَقَدْ أَمْ سَمَرٌ غَدَا لَهُ بُدَا فِي قَلْبٍ عَشَقَهُ هَزُ
فَتَاةٌ كَسَمَهَا لِحُسْنُ أَفْخَرِ حَلَاةٍ فَصَارَ عَيْهٍ مِّنْ مَّحْسِنَةٍ طَرُزُ
وَأَهْدَى إِلَيْهِمْ عَصْنٌ بَيْنَ قَوْمِهِ فَمَا سَ كَانَ لَغَصْنٍ حَمْرُهُ لِعِزُ
يَضُوعٌ دِيمُ الْأَرْضِ مِنْ نَشْرِ صِبْهِ وَيَخْضَرُ مِنْ تَسَرُّبَتِهِمْ جُرُ
أَصَابَتْ فُؤَادَ لَصَبٍّ مِّهَا بِنْظَرَةٍ فَلَا رُقِيَّةَ تُجْدِي الْمُصَابَ وَلَا حَرُ³

وبصور أبو حسن لميورقي افتتنه بقدر المحبوب الذي بد كغصن البن لمورق،
مأولاً قوله (لا):

وَذِي هَيْفٍ رَقَّ الْعِيُونَ أَشْوَهُ بَقْدَ كَرِيْنٍ مِّنَ الْبَانِ مُوْرَقِ
كَتَبْتُ إِلَيْهِ هَلْ تَجُودُ سَزُورَةٍ هَوَقَّعَ «لَا» خَوْفَ الرَّقِيبِ الْمُصَدِّقِ
فَأَيَقَنْتُ مِنْ «لَا» بِالْعَنَقِ تَفْؤُلَا كِي عَتَقْتُ «لَا» ثُمَّ لَمْ تَتَفَرَّقِ⁴

ويصف أبو الربيع سيهان النيسبي⁴ أثر جمون المحبوب فيه، ونفاذه إلى قلبه
كأسحر، فيمثل لأمره:

رَشَا أَصْدَقُهُ وَكَادِبُ وَعْدِهِ يُبْدِي لِعَشَقِهِ أَدْلَاةَ عُدْرِهِ

(1) قدح، 207.

(2) لبون، 207، 208.

(3) نفع، 2، 663.

(4) انظر المحو، انظر حذرقه 7.

لولا تحدييه بأية سحره ما كنت ممتثلاً شريعة أمره
ظهرت نبوة حسنيه في فترة من جفنيه وصلالة من شعره⁽¹⁾

كم كثر الغزل بالذكر في هذا العصر، فقد كثر الغلمان في مجالسهم نتيجة سبي
الحروب نصيبه، وما كان محبه تحار لرفيق من أطفال الأترك والفرنج⁽²⁾، فكانوا
يرافقوهم في روحهم وغدوهم، ويتشرون في الأماكن لعمدة كحى مات والأسواق، وقد
وصفهم في جميع أحوالهم وصفاتهم

يقول محمد بن أحمد نصيبوني⁽³⁾ في وصف ساق.

يسقي الرحيق المختوم من يده ختامه من عذره وسنك
أسبل دمعى من صدو ذرراً جسمي لفرط الضناها سنك⁽⁴⁾

ويصف بن خروف لقرطبي راقصاً يتمايل فيعب بقلوب وعقول محبيه حسنه:

ومنوع الحركات يعب بانتهى ليس المحسن عند خلع لباسه
ناعقل يلعب مقبلاً ومدير كادهر يلعب كيف شاء بنسه⁽⁵⁾

وحمل العذر معنى حاصداً عند الشعراء، وبشبه عبي بن أحمد القدسي⁽⁶⁾ خد الغلام
وعليه العذر بذء وانظر، يقول:

ذاك لعذر المظن دمى عليه يطس
كأنني خد ماء وقد جرى فيه ظس⁽⁷⁾

(1) المسح، 2، 381

(2) محمد رعبو سلام، أدب في عصر لأبوي، دار معارف مصر، 1967، ص 238

(3) نظر المسح، المرحمة رقم 37

(4) الحوات، 3، 285

(5) ريات ميرس، 139

(6) مصر المسح، المرحمة رقم 19

(7) المسح، 2، 3

ويرد محمد بن عبد الله لموسي على الذين يعيون العذر، معتلًا ذلك:

قلوا فلان قد أزال بهاءه ذلك لعذار وكان بدر تمام
فجبتهم بل زاد نور بهائه ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
استقصرت أحظله فتكاثرت فأتى العذار يمدده بسهم⁽¹⁾

كم كثر وصف لشعراء لأصحاب المهن من لغنيان، رابططين بين طبيعة مهنهم وبين ما يفعلونه بقلوب محبيهم يقول ابن خروف القرطبي في علام خياط رابطط بين وخز يبرته في الثيب، ووخز أشفده في ثقبوب:

نبي المعبرة لي في حيككم رشاً ظلال سمركم تغنيه عن سمره
يزهى به فرس كرسى من بطن بيرة هي مشر هذب من شفرة
إذ تالت عنده الخيط تحسها شهب رجم جرى و لنور في أثره⁽²⁾

ولأثير لدير في علام نوتي (ملاح) يجذف في قلوب محبيه مع تجديفه بالماء، يقول:

كفنت بنوتي كائن قومه إذ ينثني خوط من الدين نعم
مجدفته في كسر قلب مجذت وهزأته للعاشقين هزائم⁽³⁾

ويصف ابن خروف القرطبي غلاماً قواساً، وقد درت في يده القوس فأصبت إحدى ثديه، فيعمل ذلك حسده له، لأنه أسدر وهي اهلال:

لا زرت يزور كفت حلاح⁽⁴⁾ يوم اهيج ولا زمت نبالا
دزعت عند لرمي مقلعة شدين نصمي القنوب وم تغب نبالا
وقرعت ما يحمي به حسد له ما غد بدر وحت هلالا

(1) معجم لسان، 18، 212، المصح، 2، 242.

(2) اعصود بينة، ص 140، 141.

(3) النبو، 47.

(4) حلاح شت شجاع، لسان نعر، مادة: حل.

فغدت جُمانهً بسننه مُرجاةً وغد فُرحُ رُضاهه جرب لا⁽¹⁾

وقد تعزل شعراء بأصحاب لدهات والأمراض من غلمن ممتدحين هذه
لصفات، وسدني إلى بيان بعض جوانب هذه النزعة في دراسة الفنية إن شاء الله.

هـ تكذ نحر معني ايهو وامجور في شعر مرتحين عن لسات لعمة لمعني شعر
شعراء في مصر و لشم في ذلث معصر، س تمثل معها انجهد متكاملاً، وإن كنت بعض
مقصوعات بني وردت للشعراء المرتحين في وصف لمظاهر الصبعية والمجلس
و شترهت قد حمت سمة خاصة لسيهم في بقرة على نسح اصورة الحسية الداخية في
تركيب دقيق متكامل تعبر عنه عنصر الصبعية وتمتزع هـ.

موضوعات متفرقة

وصف الرحلة إلى المشرق في شعر المرتحلين

عثرت الباحثة على قصيدة مخطوطة⁽²⁾ من نظم علم الدين لقاسم بن أحمد الدلقلي⁽³⁾
يصف فيها رحلته إلى المشرق، محدداً زمنها، ومكان الذي خرج مرتحلاً منه وعمره حينها
والبحر، ذاكرةً من تبقى بهم من لعماء، معدداً فضائلهم، ولقيمة هذه القصيدة في أنها
كشفت عن مخطوط يتعلق بتدريج الأندلس، وأحرله نتي أدت إلى ربح الأدباء،
وتأكدها ما سبق أن وردته عن الارتحال لمشرق، تقف الباحثة عند معظم أليات لني
قد لا ترقى إلى مستوى في مقبول، ولكن لأهميتها الموضوعية.

يبين علم الدين هدفه الرئيسي من الارتحال، وهو صلب العلم، لا سيم المتعق
بكتب الله تعالى، يقرب.

(1) الذين والكمة، ح 5، ق 1، ص 348 حريان حرشيدة لخمرة لسار لعرب، مادة: خزل

(2) طر قصيدة من علم دين لقاسم بن أحمد، مجموع مخطوط رقم 3818، مكتبة الأسد
بوصلة دمشق وقفة (2 1 14)

(3) صر ملحق، ترجمه رقم (32)

وكان من قصتي أن كان لي أمرٌ في العلم مع همة من أشرف بهم
لا سبب في كتاب الله أن له فضلاً على كل متوٍّ ومرتبسٍ
وقد كثر لم يتحور في طلب لعمري بأعداد يصعبُ حصرها، فالمشرق أساس انطلاق
العلوم، بالإضافة إلى وجود الأعلام والمشاهير في العلوم كافة، يقول:

شمرت في طلب للعلم معتبداً رويةً وقراءاتٍ على أُممٍ
حصلتُ كبر ما يروي مشيخنا من الغريب مع مشهور كالعلم
ويبين أنه لم يتح له لِمَشْرِقِ لطلب العلم وخج وزيرة بيت الله حرام، وهم من أهم
أسباب الارتحال، إلا بعد أن حصل العلوم في المغرب:

فحين ما صحت لي علامٌ مغربنا أحببت روية من بالشرق من علم
خرجت من بلدة تُسمى بمُرسية بُغْيَ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ وَالْحَرَمِ
ثم يشير إلى عمره حينما خرج مفارقاً أهله وأصحابه، مواجهاً الصعاب، والمشقة:

فرقتُ أهلي ومن قد كُنتُ لَفْهُ من الأفسدِ ولأصحابِ والخدمِ
والعمرُ يومئذٍ عشرون تبُعُهم ثلاثة قُضِيَتْ في الحَقْضِ والنَّعَمِ
فتارةً مجمَعٌ لبحرين أقطعه وتارةً أحرَقَ الأرضين بالقدمِ
ويبدو الشاعر معتزاً بحياته لمنعمة في الأندلس، مقارناً بها به يلاقيه من ضنك
ومشقة في رحلته

ثم يبين مسار رحلته، ومدن المشرق التي مرَّ بها، ممتدحاً صفاتها:

من شرقِ أندلسٍ كنتُ أمسيرُ إلى دمشقَ التي من حُسبِها فَضُلْتُ
إلى حِوَاةٍ ومن قُدَامِهَا حَلَبُ فسطاطِ مصرٍ فأرضِ الشَّامِ ذِي الْأَكَمِ^(١)
على السَّلاطِ وحَتَّى أَخْتَهَبَ إِزْمَ إلى العِراقِ ودارِ لِعِزٍّ وَالْحُشَمِ

(١) لأكم: للال جمع كفه، نعهه بوسيط، مدة أكم

ويشيد الشاعر بالعلماء الذين التقاهم، وأخذ عنهم علمه، ففي مصر أخذ رواية لفرء ت عن شيخ اشيوخ الذي لم يؤه باسمه، والتقى في مدن الشام بجلة من علماء والفصلاء، خاصة بأليمن الذي قرأ عليه كتاب سيبويه في دمشق:

فحين جئت إلى مصر لقيت بها شيخ الشيوخ أبا للجلود والكرم
فلم أزل رويًا عنه قراءته بالسبع مع كتبها المشهورة النقم⁽¹⁾
ثم أتيت دمشق لشوم معتضد زيدا بآليمن تاج لدين ذا الحسم
حتى قرأت عليه أفخر الكتب وسيبويه الجليل لقدر وإقيم
ثم يستكمل بعلم حب وحمدة، كهذه لدين بن شداد، قاضي حب، والآمدي⁽²⁾
لنقيه، الذي لازمه مدة.

وقد لقيت بن شداد لدى حلب وفي حمدة رئيس العجم والجكم
لأمدي الذي سارت مباحثه شرقاً غرباً ومايتلى على قدم
لأمرته مدة أقر دقائقه ومنتهى سؤيه في البحث والفهم
ثم ينقل للحديث عن فضلاء بغداد، مما لا يدخل ضمن هذه الدراسة لتعقبها بمصر والشام، ويبين بعد ذلك مصداقته لكل إمام من أئمة ومشاهير وعلماء المشرق، الذين بلغت عدتهم عشرين، لكن كثرتهم قصرت عن تسمينهم جميعاً:

عشرون شيخاً ماماً قد لقيتهم لم أسمهم كهم خوف من لسم
وهم مشاهير من بالشرق يومئذ وهم أئمة كل العرب والعجم
ولا بد للشاعر مرتحل أن يتكرر حديثه عن لغرة في كل مناسبة، إذ كان العلم ومن نقيه من علماء، من الأمور التي تجو غريته التي لا ينسى.

(1) نقيم نعصم، ونقيم لصريق معظمها، لساد عرب، مدة نقيم
(2) لأمدي، سيف لدين عبي بن محمد بن سالم، أصبه من دوز بكر، تعجم في بغداد وشم، تنقل
لنقاهرة، ودرس بها، صنف في أصول لفقه والدين وسطق، ستوطن حمدة وتنقل لدمشق وتوفي
بها سنة (631هـ)، مصر، وفيت لأعاب، 3، 293، 294 شذرب، 144/5.

وكنْتُ أُجسِّدُهُمْ هَمِّي وَمُغْثِي كَأَنِّي بَيْنَ هَسٍ بَعْدُ لَمْ أَرَم
وبين أن رحته صوبية، كثيرة لتجرب ولأحداث، بما لا يستطيع أن يشرحه في
بيات

فهذه رحتي لو كُنْتُ تُسْرِخُ مَا لَأَقِيتُ فِي الْأَرْضِ مِنْ خُنْصٍ وَمِنْ أَمَم
لُكْتُ تَعَجِبُ مِنْ إِحْكَامِ صَنِيعِهِمْ سَبَّحَنَهُ وَتَعَبَى مِنْ شَيْءٍ لَرَّمَم
ثم ينتقل إلى الحديث عن أهل زمانه شاكياً، ومظهراً ضعفه وقلة حيلته، ونزوعه إلى
لورع والتفوي وقراءة القرآن في انتظار أوجه، منتهياً بقصيدته هاية وعطية ابتهاجية، ومختتماً
بآيات بتريخ نظمها وهو:

نَسَعٌ وَخَمْسُونَ مَعَ سِتِّ هَبْ مِئَةً تَرْيُخُ كُنْتَهَا فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
نوادير وطرائف ومداعبات مع المشاركة

ورددت بعض أشعار لسمرتحلين فيها من الطرافة والدعابة، ما يجعلها خفيفة على
السمع، قريبة للنفس، تكشف عن بعض أحوالهم الاجتماعية، وعلاقاتهم مع المشركة وما
فيه من مودة ولطفة.

فابن سعيد يحمّد عدم زواجه الذي قد يشغله عن طلب العلم والترحال
ولا يستمتع بأزمان السهو، بسبب تنعيص الزوجة بمطابخها التي لا تنتهي.

أَبْ شَاعِرٌ أَهْوَى لِحَيْلِي دُونَ مَا زَوْجٌ لَكَيْي تَحْصُرُ الْأَفْكَارُ
لَوْ كُنْتُ دُ زَوْجٌ لَكُنْتُ مُنْغَلَصاً فِي كُلِّ حِينٍ رَزَقَهَا مُتَمَارُ⁽¹⁾
دَعْنِي أُرْجِ طَوَّلَ التَّغْرِيبِ خَطَرِي حَتَّى أَعُودَ وَيَسْتَقَرَّ قَرَرُ
مَهْمُ أَرُمُ مِنْ دُونَ زَوْجٍ أَوْ أَكُنْ كَلّاً وَرَزَقِي دَائِمٌ مَدْرُ
وَذَا خَرَجْتُ لَمَرْجِسَةٍ هُنَيْتُهَا لَا ضَنْعَةٌ ضَاعَتْ وَلَا تَذَكُّرُ⁽²⁾

(1) أُمْتُرَ يَصْبُ مِيزَةً أَوْ طَعَامَهُ، لَسَدَ الْعَرَبِ، مَدَّةٌ مَبَرَّةٌ

(2) لُفْعٌ، 2، 268

ومن طريف شعره وقد داغبه أحد 'الفهاء' وسرق سكينه من حُرز قوله:

ب سَارِقْ مَكَا مَصُوبٌ وَلَمْ يَحْبُثْ عَلَى يَدِهِ قَطْعٌ وَفِيهِ نَصَبٌ
سَتَدْنُهُ الْأَفْلَاكُ عَمْدَ عَثَرِهَا وَيَكِيهِ إِنْ يَعُدُّ نَصَوَاتِ كِتَابٍ^(١)

ويكتب بن خروف بن قاضي لقصة محيي الدين ابن الركي، يستقيه من مشرفة
البيهرستان النوري، وكان بوابه يسمى لسيّد، وهو في اللغة الذئب:

مولاي مولاي أَجْرَنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي دِرْ لَأَسَى وَالْحَتُوفُ
وَلَيْسَ يَصْبِرُ عَلَى مَنْزِلٍ بِوَائِهِ السَّيِّدُ وَجَدِّي خُرُوفٌ^(٢)

ويشهد بن خروف فروة خرف من القاضي مهء الدين بن شداد، لأنها جند أبيه
كما يقول:

مهء الدين وَلَسْتُ وَنُورَ لِمَجْدٍ وَالْحَسْبُ
طَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَاءِ مِنْ نُعْمَاكَ جَلْدَ أَبِي
وَفَضْلُكَ عَالِمٌ آتِي خُرُوفٌ بِبَارِعِ الْأَدَبِ^(٣)

وله أبيات أخرى في الغرض نفسه^(٤).

ومن طريف ما جرى بين أثير لدين وصدر الدين ابن الوكيل^(٥)، أن أثير لدين أبو حيان
حضر لزيارته، فلم يجده في منزله، فكتب بالجسس على عادة المصريين «حضر أبو حيان»
وكتبت لكتبة على مصراع الباب، فلم حضر صدر الدين رأى اسم الشيخ، فكتب إليه:

(١) نفع، ص 266

(٢) نوى، 22/91

(٣) المصدر انسق، 22، 92

(٤) نصر لذيل وتكلمة، ح 5، ق 397

(٥) بن لوكن محمد بن عمر بن مكّي، أو عنده صدر الدين بن المرّحل، شاعر من لعناء دمشق.
ولد بمدينة سنة (665هـ) ونقل مع أبيه إلى دمشق، ولي مشيخة دار الحديث بدمشق. توفي في
لعاهرة سنة (717هـ) ز نصر نفوت، 4/13 26 أيّدة ولهة، 14/82 8.

قَالُوا: أَبُو حَيَّانَ غَيْرُ مُدَافِعٍ تِلْكَ النَحَاةُ فَقُلْتُ بِالْإِجْمَاعِ
 اسْمُ سُوءٍ عَلَى لِقَاؤِي وَنَبِيٍّ شَهِدْتُ كُنْيَتَهُ عَلَى الْمَصْرَعِ⁽¹⁾
 ولأبي حيان بُدِيتَ يصف فيها بعض ذوي العاهات، يرُسُّ من خلاف صور
 كدركتورية لا نحو من مداعدت معهم، واستحسان صفاتهم⁽²⁾.

الشكوى وعدم الرضا عن العيش

لعل نزعة شكوى لا ينحو منها أي عصر، ولكنها رتبعت عند الشعراء المرحّلين في
 معظم مواضعها بغربة، والبُعد عن الأهل والوطن، وقد أشرنا إلى بعض صورها عند
 الحديث عن الحنين والعربة⁽³⁾، لكن نشير إلى بعضها الآخر مما قد لا يكون قد ارتبط
 مباشرة بالعربة، وإنما به نتج عنها من اختلاط بالذس، والشكوى من سلوكاتهم، وتعليل
 ذلك في معظم الأحيان بالبُعد عن الوطن، فرصي الدين محمد بن يوسف يبدو منغص
 لعيش، لأنه لم يسكن إلى أحد في غير بيته، يقول:

مَنْغَصُ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَاةٍ مَنْ كَانَ دَا تَلْدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدٍ
 وَلَسَاكُنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هَمَّتُهُ سُكْنَى بِلَادٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ⁽⁴⁾
 ويبدو الشاعر في موضع آخر محتدًا، حتى يصل به الأمر إلى تمنّي الموت لسوء أخلاق
 من يجاورهم كما يقول:

لَوْلَا بَنَاتِي وَسَبَائِي لَطَرْتُ شَوْقًا إِلَى الْمَهْمَاتِ
 لَأَنْبِي فِي جِوَارٍ قَوْمٍ بَغْضَنِي قَرُّهُمْ حَيَاتِي⁽⁵⁾
 ويشكو أثير الدين كذلك أهل عصره، لانعدام الأوفياء الذين طلبهم كثيرًا، لكنه لم
 يعين منهم إلا الذئب والجهال، يقول:

(1) انظر لأسات و لحدته، الوافي، 272/5، 273، 2، 544.

(2) انصر الوافي، 274، 5، 276، 2، انصر، 548.

(3) انصر جزء شعق، ختتين وغربة من الدرسة، ص 72-83.

(4) انصر، 2، 377.

(5) المصدر السابق، ص 377.

حَبِيبْتُ لِدَهْرٍ أَشْطَرُهُ رَمَانًا
فَلَمْ أَبْصُرْتُ مِنْ حِلٍّ وَفِيَّ
ذُنَابٌ فِي تَيْبٍ فَدَتْبَسْتُ
وَمِنْ بَيْتٍ بِدَعِي مَسْهُمٌ صِلَاحُ
تَرَى احْتِفَالُ تَتَعْنَهُ وَرِصَى
فَبَيْنَهُمْ مَقْتَهُ وَيَصِيبُ مَسْهُمُ
وَيؤثرُ نُوْحِيَّ لِلْعَزَلَةِ وَالْفِرْدَعِ النَّاسِ، وَمُزْدَمَةُ الْكُتُبِ لَا سِيَّيَا لِقَرْنِ الْكَرِيمِ،
بَعْدَهُ تَتَكَرَّرُ بَيْنَ النَّاسِ صُورُ مِرَاءَةٍ، وَيَصْبِيحُ هَمَّهُمْ جَمْعُ الْمَالِ وَطَلِبُ الدُّنْيَا، وَيَنْعَدِمُ فِيهِمْ
الصَّدِيقُ الْخَصِيُّ، فَيَسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْهُمْ.

عَدِلْتُ دَرَنِي وَفَرَادِي عَنْ الْوَرَى
نَدَمَايَ كُتِبْتُ لِمُسْتَعِيدِ عُمُومِهِا
وَنَسْهًا لِمَرَّةٍ فَهُوَ الَّذِي بِهِ
تَقْدَحُنْتُ فِي غَرْبِ الْمِلَادِ وَشَرْقِهَا
فَنَمُّ رَأْيَ الطَّائِبِينَ أَرِيَّاسَةً
فَضَلْتُ يَدِي عَنْهُمْ وَأَثَرْتُ عُرْلَةً
لَكِنْ هُوَلَاءُ لِأَعْدَاءِ نَفْعِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، فَكَانَ سَمُّهُمْ دَوَاءً.

مِنْ خَصٍّ بِأَوْدٍ لَصَّحْبٍ فَيَنْبِي
جَعَلُوا لِنَفْسٍ فِي الْمَعَالِي دِيْنِي
وَنَعُوْا إِلَيَّ مِنْ أَلْيِ فَحَدْرَتُهَا
وَأَرْبَابُهَا اتَّفَعُ الْفَتَى بَعْدُوْهُ
أَجِدُ وَبِخَالِصٍ وَدِّي الْأَعْدَاءُ
حَتَّى وَطُنْتُ بِأَخْصِي جَوَزَاءُ
وَنَفَيْتُ عَنْ أَخْلَاقِي لِأَقْدَاءُ
كَالِسَمِّ أَيْحِينَ لَا يَكُونُ دَوَاءً³

(1) المصحح، 2/ 567

(2) لأدواء، ص 489 490

(3) المصحح، 2/ 568 لم ترد لأبيات في ديوانه

ويبقى بعض شعراء غير راضين عن عيشهم، حتى بعد مرور سنوات طويلة على غرتهم وبعدهم عن لوطن، فهو محمد بن سراقه يبدو متحسراً على ضياع لأمانه بعد مرور خمس وعشرين سنة، يقول:

إني كنه سني النفس ما لا تلهي فيذهب عمري والأمني لا تقضي
وقد مررتي خمس وعشرون حجة ولم أرض فيهم عيشتي فمتى أرضي⁽¹⁾

هذه بعض صور لشكوى التي نتجت في الغالب عن الغربة والارتحال، فيرى الشاعر أن من يبغضهم به كانوا لأنه في غير بلده، فعدا غير راض عن عيشه الميء بالمعصات والضيق، وظروف الرحين، وظروف لعصر المضطربة نتيجة الحروب والفتن وأثره على الحياة الاجتماعية

صور من العلاقات الاجتماعية في شعر المرتحلين:

تعدّ المنسبب الاجتماعية صورة من صور العلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع في ظروف مختلفة، وقيمة تدور بعض صورها في هذا البحث أنها تعطي انطباعاً ملموساً، وتصوراً لربط الودّي بين المشرقة والمترحلين من الأندلسيين. فقد تبودلت بينهم التهاني في لولادة ولزوح وتوأي مصاب، وغيرها من المنسبب

فقد هنّا ثير ندين أبو حيان ابن جماعة⁽²⁾، عند ولادة ابنه عمر بعد بنتين، مشيداً بتسميته، ومداقب والده التي سيورثها لابنه، يقول:

حييت برحمتي روضة وعدهما جاء نجس أغر
وسميته اسمهم إمام إذا رة أبو مرة⁽³⁾ منه فر

(1) عيون البوريح، 20/314، الوبي، 2031

(2) ابن جماعة شيخ لشيوخ عبد العزيز بن محمد بن منصور بن حنبل، ولد سنة 586 هـ، دمشق

وسكنها مدة، برع في الأدب وخاصة في نظم الشعر، توفي سنة 662 هـ، انظر: لغو، 2، 354

355 اسجوم لرهرة، 214، 215

(3) كنه يابس، نسب عرب، مادة مر

ولا عَجَبٌ مِنْكَ عَبْدَ عَزِيزٍ إِذْ كَانَ نَجْلُكَ سُمِّيَ عُمَرُ
نَصْرَ عَنَّا مِنْ إِمَامٍ هُدَى وَبَدَرَ الدُّجَى وَرَنَيْسَ لَبْسُ
فَلَا زِلَّ يَوْضُحُ سُبُلِ هُدَى وَلَا زِلْمٌ تَقْفُوانِ الْأَثَرُ^(١)

وله بخطب قصي القضاة شمس الدين اسروحي الحنفي^(٢) مورياً باسمه مهتلاً،
بعودته إلى منصب القضاء سنة ٦٩٨ هـ، بعدما كان يتطلع إليه رجلٌ يدعى نجم الدين.

ذو عِصَمٍ فِي سَدَنِ نَجُومٍ زَوَاهِرُ وَإِنَّكَ فِيهِ الشَّمْسُ حَقّاً بِلَاسِ
إِذَا خُتَّ أَحْفَى نَوْرُكُمْ كَرَّ نَسِيرُ أَمْ تَرَى أَنَّ النُّجْمَ يَخْفَى مَعَ لَشَمْسِ^(٣)

ولأحمد بن نصر الملقب^(٤) شعر يهني فيه لقاضي زين الدين الأسدي^(٥) بولاية قضاء
بحلب، ويشيد بقدرة وفضائله وتقدمه، وهي أهم لصفت لتي تليق بهذا المنصب:

يَهَيِّ لِمَنَاصِبَ إِذْ عَنَوْتَ أَجْلَهَ وَنَكَ التَّقَى وَالِدِينَ وَتَحْصِيلُ
شَهَدْتُ صِدُورَ الْعَصْرِ أَنَّكَ صَدْرُهُ يَبْ مَن لَه الْإِكْرَامُ وَالتَّبْجِيلُ
يَنْتَبِ دِينَ لَه يَبْ ابْنَ وَلِيِّهِ تِلْكَ لِفَصَائِلُ مَهْ وَاتْفَاضِيلُ^(٦)

(١) نديون، ص 450.

(٢) شمس الدين اسروحي، قاضي قصة الخنفة، شمس الدين أحمد اسروحي، ولي القضاء سنة ٦٩٢ هـ، ثم وليه قصي يسمى حسام الدين ثم أعيد إليه شمس الدين سنة ٦٩٨ هـ انظر النجوم برهقة، ٢٨ ٢٢٩.

(٣) نديون، ص 236.

(٤) طبر، المذبح، الترجمة رقم (٣).

(٥) نقاضي زين الدين عديسه بن عبد الرحمن بن عمرو الأسدي، تولى قضاء حلب بعد بن شداد، كاتب رئيس عالماً فاضلاً، توفي سنة ٦٣٥ هـ اسدية ونهية، 13 / 162.

(٦) عقود حبال (مخطوط)، ج ١، ورقة 232.

ويقول أثير لدين، مهنتاً بزواج عبي ابن قاضي القضاة شمس الدين سروجي،
 تحت بحر الدين بن جماعة^(١)، مشيداً بمناقب كل منهما، داعياً لهم:

هَيْئاً بِتَأْيِيفٍ غَرِيبٍ نَظْمُهُ لَقَدْ حَازَ فِي وَصْفِهِ نَظْمٌ عَرَفَ
 عَدَّتْ شَمْسُ حُسْنِ نَثِّ بَدْرِ سَيِّدَةٍ تُزَفُّ لِبَدْرِ نَجَرِ شَمْسٍ مَعْرِفَ
 سَمَانٌ لِمَظْهَرِ الْبَتُولِ وَلِئْرَاضِ عَيٍّْ وَنَجَلَا الْأَكْرَمِينَ الْغُضْرِفِ^(٢)
 فَمَدَّ عَلِيٌّ عَيَّْ الْجَدِّ سَيِّدٍ وَلَا رَنَ فِي ظِلِّ مِنَ الْعَيْشِ وَارِفِ^(٣)

كم هذا لشعره باخلاص من الاعتقاد، من ذلك ما يقوله أحمد بن نصر مهنتاً
 شهاب لدين بـ العباس^(٤) بخلاص ولديه من الأسر، وجمع شمله بهم داعياً له:

يَا خَيْرَ مَعْتَمِدٍ وَأَفْضَلَ سَيِّدٍ وَمِنَ الشُّعُودِ سَجَلَةٌ قَدْ أُسْعِدَ
 يَا نَخْبَةَ إِسْلَامٍ يَا خَيْرَ لُورِي أَصْبَحْتَ لِدَيْنٍ لِقَوِيمٍ مُؤَيَّدِ
 وَهَذَا لَجَمْعِ الشُّمُسِ عَشْتِ مُؤَيَّدَا مَا دَامَ بِالْأَيْكَ الْحَيَاةُ مَعْرَدَا
 وَاللَّهُ يَمْنَحُكَ الْجَنَّةَ بِمَنْزِلِهِ وَزِيَادَةَ جُوداً حَسَناً خُرَّدَا^(٥)

هذه بعض نصوص التي تمثل جانباً خاصاً ومتنوعاً من العلاقات الاجتماعية في
 مناسبات احتفالية مختلفة كالميلاد والزواج وتولي المنصب والخلاص من الأسر.

(١) بحر لدين بن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد، قاضي القضاة، وُلد بحجة سنة 639 هـ وفي خطابه
 المجموع الأموي، وولي قضاء مصر سنة 690 هـ، ر 733 هـ (العوات، 3، 297، الهجوم الزاهرة،
 298، 9، 299)

(٢) عطار، مفرد، العُضْرِيف، والعُضْرِيف وهو السيد الشريف نسخي. سأل لعرب، مدة عطف

(٣) الديوان، ص 299، 300

(٤) شهاب لدين أبو عباس، عبد السلام بن المظهر بن أبي عصفور، من تلامذة علي المدرسة المنسوبة
 لسي عصفور بن حبش، وكان قد حصص لأحمد بن نصر جمكية، من أعلام قرن لسابع هجري
 عقود، ح 1، ورقة، 23

(٥) عقود حبش، ح 1، ورقة 231، 232

الفصل الثالث الدراسة الفنية

الصورة الشعرية

أكثر الشعراء المرتحلون من رسم الصور في مقطوعاتهم وقصائدهم، فجاءت معبرة عما يخلج في نفوسهم، مما ولد فيها جمالاً تلقائياً، يدركه الذوق. وتكمن قيمة دراسة الصورة الشعرية في أنها تحكي ما وراء السطور، وما لم يرد الشعراء قوله مباشرة لأن في «الخيال الراقي روعة من نسمات الحقيقة، (ولو قبلت الحقائق) جافة من غير أن يعتمد (الشاعر) إلى الخيال في تشبيهاته، لما كان لقوله التأثير، ... فهذا الشعر يعبر عن حقائق نفسية، هي في نفسها جمال»⁽¹⁾.

لقد اهتم شعراء العصر بالصورة اهتماماً بالغاً، وتنوعت صورهم، وجاءت في شعرهم صور تقليدية كثيرة، حيث شبهت «العيون الجميلة بعيون المها» و«بياض الوجه بالصبح» و«المشية بتمايل الغصن» و«الهلال بالزورق» و«الليل بالبحر». وحشدوا الصور والتشبيهات في شعرهم، باعتبار ذلك شكلاً من أشكال الإجادة ومقياساً لمستوى القدرة الفنية لدى الشاعر في هذا العصر. وربما كان قرب مأخذها، بالإضافة إلى قربها من الموروث الشعري القديم سبباً للإكثار منها، خاصة أنها لا تحتاج إلى إعمال الفكر والابتكار، فيأخذها الشاعر من محفوظة مباشرة.

(٦) ابن سعيد المغربي، المرقصات المطربات، دار حمد ومحيو، بيروت 1973، ص 211، 212.

الفصل الثاني

موضوعات شعر النازحين

علاقة الشعراء بالملوك والسلاطين وكبار رجال الدولة

كان ارتحال الشعراء الأندلسيين من بلادهم، نتيجة اختلال الأوضاع السياسية في الأندلس وغير ذلك من العوامل كما بيّنا في الفصل الأول، وقد ساهمت بيئة مصر والشام الجديدة في توجيه شعر هؤلاء وجهات معينة، نتيجة للأحوال التي عيشوها في موطنهم الجديد. فقد أكثروا من مدح الأمراء والحكام والقضاة والوزراء طالبين منهم النصرة في ديار غربتهم. كما تفاعل الشعراء مع الأحداث السياسية في المشرق، وعبروا عن نقيمتهم على الصليبيين، وامتدحوا قواد المشرق من خلال ذلك.

امتدح الشعراء ملوك الأيوبيين الذين كانت لهم اليد الطولى في الإحسان إليهم، بعد أن تباعدت بهم الديار، وأضحوا غرباء ينشدون منهم رفع الضيم فكانوا أوفياء لفضلهم، لديهم الولاء لهم، كما يقول ابن دحية في امتداح الملك الكامل بن العادل الأيوبي (ت 635هـ) بكمال الأوصاف، وعظم الملك وإقامة العدل:

شجّنتي شواج في الغصون سواجُ	ففاضت هوام للجفّون هوامعُ
ولا حاكم أرضاه بيني وبينها	سوى حاكم دهري له اليوم طائعُ
يدافع عني الضيم قائم سيفه	إذا عزّ من للضم عني يُدافعُ
هو الكامل الأوصاف والملك الذي	تشير إليه بالكمال الأصابعُ

رسم شعراء صوراً كثيرة ومتنوعة لطبيعة استمت بالدقة والتتبع، جاعلين هذه الصور في كثير من مواضع افتتاحاً للمقطعات ولقصائد، ر بطين بها أعراضهم ودواخل نفوسهم، أو تخصيص مقطعات كاملة لوصف الطبيعة ورسم صورهم. فبن سعيد يرسم لوحة متكاملة لعناصر سروض وقد طرز الندى عليه حبته، والنهر وقد هزته ريح لصب، وكنت على صفحة الماء أسطراً، ثم جاءت لشمس وألقت عليه ردهم لذهبي، يقرن.

لرَوْضُ بُرْدٌ دَلْنَدِي مُطَرَّوْزٌ وَالنَّهْرُ سَيْفٌ بَالِصَبِّ مَهْرُورٌ
كُتِبَتْ بِهِ خُوفَ لِنَوَاطِرِ سَطْرٌ فَعِيَهُ مِنْ حَطِّ النَّسِيمِ حَرُورٌ
وَرَمَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَضْلَ رَدَائِهِ فَعَلَا مُذَابِ الْجَنِينِ بِرِيْزٌ
وَلَعَصْنُ إِنْ رَكَدَ النَّسِيمُ كَأَنَّهُ أَلْفُ بَهْمَزَةٍ طَيْرِهِ مَهْمُورٌ
وَكَأَنَّهَا لَأَرْهَرُ فِيهِ قَلَانِدٌ وَكَأَنَّيَ الْأَوْرَاقَ فِيهِ خَزُورٌ^(١)

ولشاعر يتفنن في رسم هذه الصورة وانعكاساتها، في حلتى حركة النسيم وركوده، لا تفوته الحركة الخفيفة، وما نضفيه على المشهد من تلوين، وقدم ابن سعيد هذه المقطوعة المتكاملة المشهد، لوصف الخمر، فكنت أبيات وصف الطبيعة أكثر من أبيات صورة خمر، إذ أصبح ننظر الطبيعي كالقاعدة أو العامل الكيميائي المساعد في القصيدة أو لمقطوعة^(٢).

وحملت عناصر الطبيعة صوراً وأحاسيس لشعراء، وخذجت نفوسهم، حيث غدا لنسيم عند ابن الجندى يتبختر فرحاً يشم نل المحبوب، وتحمل أنفاسه أخباره المعطرة:
حَرٌّ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ مُعْطَّرٌ وَاقِفٌ إِلَيَّ فَظَلَّتْ مِنْهُ أَسْكَرٌ

- (١) المعرب، 176/2، خزوز: جمع حرّ وهي ثياب منسوجة بحريرو نصوص، أو بحريرو احناص.
سنان العرب، مادة خرز
(٢) إحسان عباس، تريح لأدب لاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت - لبنان،
ص 5، 1978، ص 203.

لله ما أحلى شئنه تُني جاء النسيم بعرفها يتبخّر⁽¹⁾

كم شاركهم لروض سرورهم، فقد تثنى عنده النهر، وبدت الغصون وكأنها تسيل
معه من لطرب، يقول ابن الحداد:

يارعى لله عيشنا بين روضي حيث ماء السرور فيه يجو
نحسب لهر عنده يتثنى وتحال الغصون فيه تسيل⁽²⁾

وقد رقصت لأغصان، وأنشدت الورق، وصفق النهر، وبكى الغيم، وضحك
الزهر في أرض النيرين، كما يقول أبو العباس الشريشي:

كأنني لم أكن بالنيرين ضحى ولغيم يبكي ومه يضحك الزهر
والورق تشد ولأغصان راقصة والدوخ يطرب بالتصفيق والنهر⁽³⁾

لقد أخذ الشعراء من صفات عناصر الطبيعة ما يشاكل معاني ما في نفوسهم، فالغيم
يبكي لمشاكاة مطر الدمع، كذلك الزهر يضحك لتشاكل الضحك مع إشراق الزهر الذي
سببته دموع الغيم، وغدت الأصوات في الطبيعة أصواتاً لإنسان ينشد ويغني، والأغصان
تميلها صورة لرقص، صورة تشخيصية مميّزة بالحركة والصوت واللون، ومن ذلك
أيضاً ما وصف به ابن سعيد الغيم وقد أسبل عليه إزار، وغد البرق يذكي نفاس الغيم
بشرره، وطاب انسيم بأريجيه، فغد، الجو من عنبر ونار:

أنظر إلى الغيم كيف يبدو وقد أتى مُسبّل الإزار
والبرق في جبينه يذكي أنفاسه وهو كالشّرار
ما طاب هذا النسيم إلا واجو في عنبر ونار⁽⁴⁾

(1) الفوت، 265/3.

(2) لمصدر اسبق، ص 266، ذيل مرآة الزمان، 200/3.

(3) لنصح، 116/2.

(4) لو في، 257/22.

وفي صورة أخرى تزخر بعناصر لون وحركة والصوت، يرسم بن سعيد مشهد عرس الأفق، الذي يحيه البرق والمصر والصبح، يقول:

أَدِرْ كَوْوَسَكَ نَ الْأَفَقَ فِي عُرْسٍ وَحَسْبَ أَنْتَ تَرَعِي حُسْنَكَ الْمُقْلَ
الْبَرْقُ كَفْ خَضِيبٌ وَالْحَيْبُ دُرَّرٌ وَالْأَفَقُ يُجِي وَطَرْفُ الصُّبْحِ مَكْتَجِلٌ⁽¹⁾

يبدو النسيم نشوان من الأحاديث اللطيفة، والغصون تموج فرحاً، كما يقول ابن لجنان:

مَا شَأْنُ هَذَا النَّسِيمِ الرُّطْبِ نَشْوُنُ كَأَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ الْقَوْمِ رِيَانُ
رَوَى لِمَنْ خَبِرَ مَنْ أَرْضٍ كَظِمَةٍ لَمْ تَدِرْ كَطِمَةٍ عَنْهُ وَلَا ابْنُ
مَجِ الْكُثِيبِ وَمَجِ الْعَصْنُ مِنْهُ فَهَلُ جَرَتْ لِعَطْفِ الْهَوَى فِي الْكَوْنِ أَرْدَانُ⁽²⁾
وكما شاركت الطبيعة لشعراء رقصهم وأفراحهم، فقد شاركتهم بكاءهم وحزنهم والمهم، يقول ابن لجنان:

فَمَ سَقْنِيهِ وَتَغَرُّ نَصْبُ مَبْتَسِمٍ وَاللَّيْلُ تَبْكِيهِ عَيْنُ الْبَدْرِ بِالشُّهْبِ
وَأَعْيُنُ لَدَّهِرٍ مِنْ طُولِ الْبَكَ رَمَدَتْ فَكَحَلَتْهَا يَمِينُ شَمْسٍ بِالنَّهَبِ
وَلَسْتُ بَقُلِّ لِبَسَتْ سَوْدَ الثَّيْبِ وَقَدْ قَمَتِ لَتَرْتِيَّةُ الْأَطْيَرِ فِي الْقَضْبِ⁽³⁾
ويبدو البدر كخاء، معبراً عن حل الشعر حينه بذل وجهه على لثيم مكرهاً، يقول ابن سعيد:

لَبَّ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَى لَثِيمٍ أَمَرٌ مَنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ

(١) نزيات، ص 181، النوافي، 22، 257

(٢) ديوان، ص 199

(٣) حنظل، ص 208، وذيل، ص 200، البيتان الأول والثاني فقط.

فَلَبَدْرٌ فِي وَجْهِهِ كُدْحٌ حِينَ اجْتَدَى الشَّمْسُ فِي الشَّعْعِ^(١)

أما لشمس فقد بدت مريضة وقت لغروب، حينئذ مدت راحتها لتوديع الأفق كما يقول ابن سعيد:

وَالشَّمْسُ مِنْ أَلَمِ لِفِرَاقٍ مَرِيضَةٌ مَدَّتْ لِتَوْدِيعِ الْبَحِيرَةِ رَحًا^(٢)

فمعاني الفرق والرحيل ماثلة في ذهن الشعراء ونفوسهم، تبرز في صورهم لأنها تحكي رحيلهم لمؤلّه عن أرض الأندلس، فقد غربت الشمس في صدر ابن سعيد، لغروب لوطن عنه، يقول:

وَعَلَى مُرْسِيَةِ أَبْكِي دَمًا مَنَزِلٌ فِيهِ نَعِيمٌ مُعْشِبٌ
مَعَ شَمْسٍ صَعَّتْ فِي نَاضِرِي ثُمَّ صَارَتْ فِي فُؤَادِي تَغْرُبُ^(٣)

وشك النسيم اللوعة والبعد وجرت ذيلولة السقام، كحدّ الشاعر لبعده لأحبة، كما يقول ابن ذي النون^(٤):

مَا لِنَّسِيمٍ سَرَى الْأَصِيلَ عَسِيلاً ثَرُهُ يَشْكُو نَوْعَةً وَغَلِيلاً
جَرَّ لِذِيُولٍ عَلَى دِيَارٍ أَحَبَّتِي فَاتَى يُجُرُّ مِنَ السَّقَامِ ذِيُولاً^(٥)

عند الشعراء بعض صورهم كما رأينا، فالشمس كحلت عيون الدهر لأنها رمدت من طول لبك، و لشمس مرضت بسبب لفراق، ثم النسيم فقد غدا عسلاً بسبب فراق لأحبة. وفي الوقت نفسه جاء رسم بعض صور الطبيعة لتبرير معنى أراد إثباته الشاعر، من ذلك ما رده ابن سعيد على من يلومونه على شرب الخمر في حل الشيب، معذراً ذلك برسم صورة مختارة بدقة، من صور الطبيعة:

(١) لرايت، ص 180.

(٢) لرايت، ص 180.

(٣) لصفح، 283/2.

(٤) صر ملحق، الترجمة رقم (٥٠).

(٥) لصفح، 44/2.

يَوْمُونِي أَنْ شَبْتُ فِي الْخَمْرِ ضَمَّةً وَأَنْي إِذْ وَاقٍ لِمَشِيبُهَا أَحَقُّ
إِذْ شَابَ رَأْسُ لَيْلٍ بِالْفَجْرِ قَرِيبَتْ لَهُ أَكُؤُسُ الصَّهْبِ مِنْ خَمْرٍ لَشَفَقٍ^١

لقد اختار شعراء من صور الطبيعة وحالات عناصرها، ما يريدون التعبير عنه في دواخيلهم، في حي السرور أو الحزن، و الضحك أو البكاء، في الزهر والشمس والغيم ولأغصان وأنسانم ولنهر. وقد عد حازم لقرطاجني هذه المتصورات التي تجد في فرحاً أو ترحاً أو شجواً في النفس، متصورات أصيلة⁽²⁾. لقد تجت الطبيعة صدفية بصورها، وصور نفوس شعرائها، التي لم تكن تخلو من نزعات رومانسية، وتعكس مشاعرهم أكثر مما تعكس أفكارهم.

وتمتزج صور الطبيعة بالصور والألفاظ الحربية، ولا غرابة في ذلك، فمشهد الحرب تسكنهم، لقد كانت الأندلس قبل خروجهم منها مليئة بالفتن والحروب المتوالية والتهجير والصدد إثر سقوط المدن، ونتيجة لذلك توجه الشعراء إلى مدن مصر ولشام التي كانت تعيش ظروفاً مشابهة في معظم جوانبها، بسبب الحملات الصليبية، وهجمات لتتار، والفتن، وقد عكست الصور هذه المعاناة وهذه الأجواء السياسية الحربية بصورة غير مباشرة، مما قد يجعل الصور في الكثير من عناصرها مصدراً من مصادر دراسة أحوال العصر السياسية وانعكاسات هذا الوضع على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فهي تحمل الحقيقة بصورة محجوبة مبطة.

وكما كن للطبيعة عرس، فإن لبوغى عرساً آخر تمتزج عناصره بعناصر لطبيعة فقد عدت النبل فيه كامطر، والسيوف كالبرق، يقول ابن سعيد:
لَوْ كُنْتُ حَاضِراً لَدَى عُرْسِ الْبُغْيِ وَمِنَ النَّجِيعِ عَلَى الْكُفَى خَدُوقُ

(١) الأريات، ص 176.

(2) انظر صحتي أبو حسن حارم انصرصحي، مهجح لبغاء وسراج لأدب، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الحوارة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966، ص 22.

وَلشَّمْسُ زَهْرٌ وَلْعَشِيٌّ أَهْلَةٌ وَالتَّبَسُّ قَطَرٌ وَالسَّيْفُ بُرُوقٌ^(١)

ويستعير ابن سعيد عن النجوم والصبح بالرمح والسيف، ويعتق الغصن في لرمح، ويقس لبدز في خيل:

وَلَسِيلٌ بِحَيْثُ بَسَجُومٌ وَصُـبِحُهُ وَنَجْمِيٌّ فِي رَمَحِيٍّ وَصَبْحِيٌّ فِي غَمْدِي
فَعَنْقَتُ غَصْنَ الْبَانِ فِي دَوْحَةِ الْقَنَا وَقَبَّسْتُ بَدَرَ التَّمِّ فِي هَالَةِ الْجُرْدِ^(٢)

وتبدو الصورة هنا عريية التكوين، فيها شيء من الغموض.

ويصور ابن الجذن صورة لجيش، لكنه جيش لنيل المنهزم حينما يأتي لصبح الذي تنوح علاماته باحمرار لأفق، الذي يشبه احمرار رايات المعركة:

قَمَّ سَقْنِيهَا وَجَيْشٌ لَيْلٍ مِنْهَزَمٌ وَلَصَبُحٌ أَعْلَامُهُ مُحَمَّرَةٌ الْعَذَبُ
وَالشَّحْبُ قَدْ نَشَرَ فِي الْأَرْضِ لُؤْلُؤُهُ تَضَمُّهَا لَشَمْسٌ فِي ثُوبٍ مِنَ الذَّهَبِ^(٣)

وتبدو صورة المعركة بعنصرها كافة في مشهد صخب من مشاهد الطبيعة يرسمه

ابن سعيد، إذ يقول

وَلِبْرِقٌ قُضِبٌ وَلَسَحْبٌ كَتَائِبٌ وَلِقَطَرٌ نَبْلٌ وَالرُّعُودُ طَبَوُلٌ
وَلِتَعْلُزٍ لَأَنهَرٍ فِي تَدْرِيعِهَا وَكَذَلِكَ الْأَغْصَانُ حِينَ تَمِيلُ^(٤)

ولم تنفصل عنصر الحرب عن عنصر الطبيعة فقد تداخلت لدماء مع الدجى.

وقد تم المعركة مع لسحب، والسيوف مع لبرق كما يقول ابن سعيد:

(١) مريات، ص ٨٠

(٢) معرب، ٢، ١٧٤

(٣) دس مرقاة، ٣، ١٩٩، لغوت، ٣، ٢٦٦، ٢٦٧

(٤) معرب، ٢، ١٧٨

فَلَا تَكْرَنْ صَوْبَ سَمَاءٍ إِذَا دَجَّتْ سَحَابٌ قَتَمَ وَالسَّيْفُ بَوْرُقٌ⁽¹⁾

وأظن أغصون تهوى سُيمى فهـنـد تـمـلـل للأخـبار⁽¹⁾
وتهم لأرض بالشمس، فيأتي لغيش، عندئذ تفرش الأرض بساطها الموشى
بالزهر، كما يقول بن جندب:

الأرض بالشمس تهيم فلند يأتي بشير بالقدوم الغبش
لوم يكن هذا غداً بساطاً أزهاراً يرضي يفرش⁽²⁾

وعبرت لصور شعرية ببقاعها الصخبة، عن انفعالات الغضب والسخرية في نفوس شعراء، فهي هو ابن سعيد يرسم صورة كاريكاتورية ساخرة، تنطق بالألم والمعاناة حينئذ يضطر لركوب الحمار من باب زويلة في القاهرة إلى القسطنطينية⁽³⁾ وقد عدا به بين الأزقة، فاكتحلت عيونه بالغبر، ولم يرحم الكاري صراخه ولم يرق به، مما أدى به إلى الوقوع سجوداً على وجهه، وقد رسم ابن سعيد هذه الصورة بحركات متسارعة متلاحقة، مجيداً استخدام الألفاظ التي اكتسبت دلالة خاصة في صورتها الحديدية مثل (كحل لغبر) و(سجود العثار)، وقد عكست الألفاظ والصور بتسارع إيقاعها، واستخدام قافية الراء، اضطرب وعضب وثورة بن سعيد، التي لم تنبه روح النكتة.

أم ابن عتة الإشبيلي فيرسم صورة رقصه المأ، لشعره بالضيء في دولة القروود في مصر كما يقول⁽⁴⁾ فغداً ستخدم صورة الرقص في موضع الأُم، يعكس تأثراً شديداً يفوق حتم المرء، وارتسمت هذه الصورة بكل متناقضاتها المقصودة، فبدت مضحكة مؤلمة مفعمة بالغضب، في دولة غير عدلة، وهي للقروود اللوم طبع سستها، لاستخدم مهم النصرى واليهود في الوظائف دون المرتحين من الأندلسيين، وهذا يحمل نقداً سياسياً واجتماعياً للأوضاع في مصر، ويعكس عدم رضا بعض المرتحلين عن أوضاعهم فيها.

(1) بغية نوعة، 112/2

(2) المغرب، 384/2.

(3) انظر الدراسة، ص 19.

(4) انظر مصدر سبق، ص 92

وقد يعدُّ هذا من باب المبالغة، لارتباطه بنفسية الشعراء المرتحلين، أتراهم لو عاشوا في بيئة لمشرق أصلاً، هل ستحمس عباراتهم مثل تلك حُدة وهل ستحمس صورهم تلك لسخرية مؤلمة؟، فلا أوضاع في الأندلس لم تكن تقل عن الأوضح في المشرق، وإن كانت أوضاع مشرق بصورة عامة أفضل. وربما كان هذا نتيجة تعصب الأندلسيين لأندلسيتهم، الذي تبيته في غير موضع، بالإضافة إلى إحساسهم بعدم استصعاع الرجوع إلى وطنهم في هذا الوقت العصيب، فأسقطوا من لأمهم ومعاناتهم على الحبة الاجتماعية والسياسية في مدن المشرق، مما لا ينفي وجود منعصت في بعضها، لكنهم بالغوا في توسيع آثاره لسلبية عليهم، متخذين منها ذريعة ومنفذاً لتخفيف من تلك معاناة.

وجاءت بعض لصور تحمل نوعاً آخر من المعاناة، وهو ستثير اجهال بالمناصب والدراهم التي معت في ليسهم كمنجوم، بينما تبعد لحظ عن ذوي النهى الذين طرد صبح دهنهم شهبهم ودراهمهم، كما يقول بن خروف:

سَبَّحْ صَبْحُ نَـدْهِنٍ مَنِيٍّ وَاضِحاً فغَارَتْ مِنَ الْأَهْوَى شُهْبُ عَوَاتِهِ
وَسَوْ كَانَ لَيْسَ الْجَهْلُ عِنْدِي حَانِكاً نَلَاخَتْ بِهِ مِثْلَ نَجُومِ الدَّرَاهِمِ⁽¹⁾

وحملت بعض الصور دلالات الكتابة و لقراءة عند ابن سعيد، يقول مصوراً النهر صفحة كتبت بالنسيم، ومالت العصون لتقرأها:

كَأَنَّمَا نَهْرٌ صَفْحَةٌ كُتِبَتْ أَسْطَرُّهُ وَالنَّسِيمُ مَنَشُّوْهَا
لَمَّا نَأْتِ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ مَا نَتْ عِيبَ الْعَصُونِ تَقْرُؤُهَا⁽²⁾

وهي صورة تفصيلية دقيقة، تحتاج إلى إجهاد فكر، ولا يمكن للبديهة استنه لها⁽³⁾.

(1) لرايت، 139 نذيل و لتكمته، ج 5، ق 1، ص 398.

(2) لرايت، ص 175 نوافي، 22، 255.

(3) لتدعن الثقفي، ص 277.

وحمل بعضُ نُصُور دَلالات مكثفة لـنُون، من ذلك وصف ابن دحية لروضة مزدانة بكافة الأَئُون في أبيات يمدح فيها مُنك الكامس، يقول:

لَه مِنْ شَدَى الدَّهْرِ بُرْدٌ مَفُوفٌ أَتِيحُ لَهُ مِنْ أَرْضِ صِنْعَاءِ صَانِعٍ
فَرَقَكَ مِنْهَا أَخْضَرُ الثَّرْبِ نَاصِرٌ وَشَاقَكَ مِنْهَا أَصْفَرُ اللَّوْنِ فَاقِعٌ
وَأَحْمَرُ قَانٍ كَالْخُدُودِ مُوَرِّدٍ وَأَبْيَضُ كَالثَّغْرِ الْمَلَّاحِ نَاصِعٌ⁽¹⁾

ولابن سعيد قطعة وصفية لحصن تدو كأنها معرض ألوان، فهذا حصن أصفر بلون دهب، ينطلق بين بياض فجّر وسواد الليل، ويجمع بين اصفرار لعشق وحسن معشوق، يقول:

وَأَحْرَدَ تَرِيٍّ أَثَرْتُ بِهِ الثَّرَى وَتَفَجَّرَ فِي حَضْرِ الظَّلَامِ وَشَاحُ
لَهُ لَوْنُ ذِي عَشِقٍ وَحُسْنُ مُعَشَّقٍ لِذَلِكَ فِيهِ ذَلَّةٌ وَمَرْحُ
عَجَبْتُ لَهُ وَهُوَ أَصْمِيرٌ بَعْرِفِهِ ظِلَامٌ وَبَيْنَ النَّاطِرِينَ صَبْحُ⁽²⁾

ومتازت أساليبُ شعراء في رسم صورهم، بتجميل صورة القبيح، من ذلك ما يقوله أثير الدين معلاً عشقه لشيخ أبيض السحبة وكُنْ عَى وَجَتِيهِه اليَسمين، ومفضلاً إياه عَى سَوْد اللّحَى

تَعَشَّقْتُهُ شَيْخاً كَأَنْ مَشِيبُهُ عَى وَجَتِيهِه يَسْمِينُ عَى وَرْدٍ
وَقَلُّو الْوَرَى قَسَمَنَ فِي شُرْعَةِ الْهَوَى لَسَوْدُ اللَّحَى نَسْ وَنَاسٌ إِلَى الْمُرْدِ
وَسَوْدُ اللَّحَى أَبْصَرْتُ فِيهِمْ مَشْرَكَاً فَأُحْبِيتُ أَنْ بَقَى بِأَبْيَصِهِمْ وَحْدِي⁽³⁾

كما يصور فتحاً ما وقد بدت خطوط الفحَم عَى وَجَهه كَأَم مسك:

وَعُتِّقْتُهُ مُسَوِّدَ عَيْنٍ وَوَفْرَةٍ وَثَوْبٍ يَعْنِي صِنْعَةَ الْفَحْمِ عَنْ قَصْدٍ

(1) عيون لدرية، ص 277، سفع، 2، 102.

(2) مغرب، 2، 175.

(3) نديون، ص 349.

كَأَنَّ خُطُوطَ الْفَحْمِ فِي وَجَدَتِهِ لَطَاخَةٌ مَسِيَّةٌ فِي جَنِيِّ مِنَ الْوُزْدِ⁽¹⁾
وله كذلك في أُحَدَبِ⁽²⁾.

وقد يكون هذه النزعة في تجميل المبيح ارتباط بالفلسفة الصوفية التي انتشرت بصورة لافتة في هذا العصر، حيث إن وحدة المخوقات المرتبطة بوحدة الخلق عند الصوفية تجعلهم ينظرون إلى المخوقات بعين الجهر الواحد، فينتفي منها القبح، لأنها وليدة نور واحد هو نور الله تعالى، فقد يكون هذا الأساس فيها من بعض لشعراء المذركين لهذه النظرة لصوفية، ومن جاء بعدهم سرى ذلك تمثيلاً مع روح العصر، مقلدٌ غير قصد لتمثل هذه الفلسفة صوفية بعينها في شعره.

كم مدرت الصور بالتحقيق، وأخيل المكثف خاصة عند ابن سعيد، فهو يسقي الشمس التي صيغت قرطاً على الأفق في قدحه، يقول:

لَا أَنْسَ لَيْلَةً وَفَيْنَا لِمَوْعِدِنَا وَالْكَأْسُ دَنْرَةٌ وَالْغَصْنُ مُعْتَقِي
فَقَدْتُ إِذْ بَتُّ أَسْقِي الشَّمْسَ فِي قَدَحِي مِنْ دِ الَّذِي صَاعَهَا قِرْطٌ عَلَى الْأَفْقِ⁽³⁾
أَمْ سَفَحَ خَنِيحٌ هَبْدَ طَائِرٍ أَمْ حَلَقًا، لَأَقَى الصَّبَا بِحَدْحِهِ، يَقُولُ:

وَنَظَرْتُ سَفَحَ الْخَنِيحِ كَطَائِرٍ نَقِي الصَّبَّ مِنْ مَوْجِهِ بِجَنَاحِ⁽⁴⁾
ثم أَلَقْتُ الشَّمْسَ لَطَائِرَةً فِي الْأَفْقِ عَلَيْهِ جَذَحُهَا:

وَنَظَرْتُ لَشَّمْسٍ الْأَفْقِ طَائِرَةً وَقَدْ أَلَقْتُ عَلَى سَفَحِ الْخَلِيحِ جَذَحًا⁽⁵⁾

(1) نديوان، ص 440

(2) نطر نديوان، ص 475

(3) أبو في، 22، 259

(4) نريات، ص 179

(5) مصدر لسبق، ص 180

لقد رُكِّب لشعر صورته فمتزجت فيه لتشابهه وغدت الصور مكثفة حتى بدت حقيقية، فسفح خليج طئر، لقي الصَّب بجناحه الذي أصبح جزءاً حقيقياً منه في صورته الحديدة، فستخدم هذه الأداة وهو الجناح ولقي بها الصَّب. والشمس كذلك، استخدمت أحد أعضائها الذي أصبح جزءاً أساسياً منها في صورتها الحديدة، وهو الجناح.

فالصورة متداخلة تثير التساؤل، وينبثق كل تساؤل لما يليه بتركيب أجزاء تلك الصورة، فسفح الخليج طئر، فم هو موج لسفح؟ وما الجناح الذي مذه السفح ليلقي الصَّب؟ أم لشمس فلم ذا عدها طئراً؟ وما هي صورة الشعاع الذي ألفته على خليج فبدا كالجناح؟ ولم تشبهه الجناح؟ لقد تدخلت صورة المشبه بالمشبه به، مما جعل الصورة غريبة التكوين غامضة، يكمن جهاد في هذا الغموض ولتداخل وأخذها كما هي، مما قد يجعل كثرة التفسيرات والاستفسارات تفسدها وتضعف من قيمتها الفنية.

لقد اتسمت الصور كما بينا بالتفصيلات وشتت والدقة وحسن التعليل ورسمت بعناية، وكأهم تصريح دقيق يحتاج إلى مهارة وإعمال فكر في نسجه واختيار ألوانه وتشكيلاتها.

الفنون البديعية

لا يُعدُّ البديع فناً جديداً في هذا العصر، فقد ظهر منذ القديم، وشهد تطوراً على يد مسم بن لوليد وأبي تدم، وزداد الاهتمام بهذا الفن في القرنين السادس والسابع الهجريين، ووضع أسامة بن منقذ كتابه البديع في نقد الشعر الذي اشتمل على أبواب عديدة في ضروب البديع⁽¹⁾ وقد عمد لشعراء إلى إثقال الشعر به حتى حجب بعض محاسنه، فم عدد حبة تجمّل الأدب، بل أصبح زحرفاً متكثفاً زئداً، وغاية في ذاته، يستر محاسن الشعر، ويخفي جماليته لداخلية، لأن أشعراء ما عاودوا يبحثون عن المعنى بقدر بحثهم عن اللفظ، مستخدمين خصائصه الصوتية والمعنوية، مفرداً ومنظوماً ومركباً⁽²⁾.

(1) انصر بديع في نقد الشعر، تحقيق عبيد مهنه، در مكتب لعمية، بيروت لندن 987 ، ص 9-11

(2) محمد رعبور سلام تاريخ النقد لأدي من لقرن خمس إلى لقرن لعاشر هجري، در المعروف مصر 1967، ص 313، 318

وَصَحَّوْا يَطْبُونُ لَجْنَسٍ وَلِالْمَقْبَلَاتِ وَلِتُورِيَّاتٍ، وَقَدْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَكْثَرٍ مِنْ فَنِّ بَدِيعِي فِي مَقْطُوعَةٍ أَوْ صُورَةٍ وَحِدَةٍ، مِنْ ذَلِكَ نُصُورَةُ الَّتِي رَسَمَهَا بَنُ سَعِيدٍ لِلْحَصْنِ^(١)، وَالَّتِي تَبَيَّنَ قُدْرَتُهُ عَلَى سَجِّ الصُّورَةِ وَتَصْرِيزِهَا بِدَقَّةٍ، وَزَخْرَفْتُهَا بِأَلْوَانِ الْبَدِيعِ، فَدَبَّتْ كَأَنَّهَا مَعْرُضٌ بِصُورٍ أَلْمُوتَةِ، تَمَثَّلُ ذَوْقُ الْعَصْرِ، وَعَلَى قَلَّةِ نَبِيَّاتِ الْمَقْصُوعَةِ، فَقَدْ أَزْدَحَمَتْ بِالْفَنُونِ لِبَدِيعِيَّةٍ، مِنْ ذَلِكَ مَجْنَسَةُ الشَّعْرِ بَيْنَ «أَثَرْتِ» وَ«أَثَرِي»، وَمُطَابَقَتُهُ بَيْنَ «دِي عَشَقْ» وَ«مَعَشَقْ» وَبَيْنَ «ظِلَامٍ» وَ«صَبَاحٍ» وَتُورِيَّتُهُ فِي لَفْظِ «الْأَصِيلِ» بَيْنَ مَعْنَى أَصَاةِ الْحَصْنِ وَبَيْنَ لَوْنِهِ الَّذِي يَشَبَّهُ لِأَصِيلٍ بِاصْفَرَّاهِ، وَلَعِنَ صُورَ بَنِ سَعِيدٍ فِي هَذِهِ مَقْطُوعَةٍ عَلَى غَرَابَتِهَا وَدَقَّتِهَا، تَحَوَّلَتْ مِنْ حَيَوِيَّةِ الْحَرَكَةِ إِلَى جُودٍ مَرَّخَرَفٍ سَاكِنٍ، يَدُلُّ أَنَّ الْبَيَانَ وَابْدِيعَ كَانِ الْمَدْفِ وَالْغَايَةِ، وَاخْتِيرَتْ لِمَدْنِسَتِهَا وَقَبِيلَتِهَا لِلْبَيَانِ لِبَدِيعِي^(٢).

وَأَكْثَرُ شُعْرَاءٍ مِنْ سَتَعْدَامِ الْمَجْنَسَةِ فِي صُورِهَا كَافَّةً، مَعَ سَتَعْدَامِهِمْ لِأَلْوَانِ الْبَدِيعِ لِأُخْرَى، وَلَا تَكْدُ نَقْرًا فَصِيدَةً أَوْ مَقْطُوعَةً، إِلَّا وَقَدْ أُخِذَتْ مِنَ الْبَدِيعِ بِنَصِيبٍ، لَكِنْ لَجْنَسٌ - كَمَا قُلْنَا - سَتَأْثُرُ بِجَانِبٍ لَا يَسْتَهَانُ بِهِ فِي مَعْظَمِ الشُّعْرِ، مِنْ ذَلِكَ مَجْنَسَةُ ابْنِ خُرُوفٍ بَيْنَ لَاسِهِ وَلَفْعِ «وَجْهِ» وَ«وَجَّةٍ» وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالسُّجْنِسِ لِمَغَايِرِ^(٣)، يَقُولُ:

يَبْ مَجْدًا لَا يَزَالُ يَحْكِي فِي مَجْدٍ رِوَعَمَّهْ وَخَالَهْ
وَجَّهْ لَوْ حَهْ إِيْدَادِ مَنِّي حَبَّةً مَسْلُكُ تَكُونُ خَالَهْ^(٤)

وَيَسْتَعْدِمُ أَبُو الْحَكِيمِ ذُو الْوُزُرَتَيْنِ^(٥) تَجْنِيسِينَ مَغَايِرِينَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، يَقُولُ:

نَشْرُقُ فَضْلٌ مِنْهُ أَشْرَقَتْ شُهْبٌ مِنْ نَوْرِهِمْ قَبَسُونَ كُلُّ مِقْبَسٍ^(٦)

فَقَدْ جَانَسَ بَيْنَ «الْشَّرْقِ» وَ«أَشْرَقَتْ» وَبَيْنَ «مِقْبَسٍ» وَ«أَقْبَسُونَ».

(١) انظر لدراسة، ص ١٠.

(٢) تنقاع لثقفي، ص ٢٦٦.

(٣) سبع في نقد الشعر، ص ٢٦.

(٤) نديين ونكمة، ج ٥، ق ١، ص ٣٩٨.

(٥) نصر الملحق، الترجمة رقم (٤٢).

(٦) لإحاطة، ٢ ٤٦٥.

ومن ضرور الجنس، التجنيس اسمث^(١)، وهو المجانسة بين اسمين أو فعين من ذلك مجنسة ابن سعيد بين الاسمين «أرجئها» و«الأرجت» في أبيات أرسلها إلى حلب لابن العديم:

إقر السلام به من بعد لثم ترى أرجئها الأرجت الأفقي والطنب^(٢)

ومجانسة صياء الدين حزر جي بين الفعلين «قضى» و«يقضى» في قوله يصف الدنيا:

كـم سالم أسمته للردى فقضى حنفاً ولم يقض من لساتها وطرا^(٣)

ومن تجنيس التصحيف وهو اختلاف الـكـمـتين في النقط قول يحيى الطليطي مجانساً بين «قضاء» و«مضاء» في مدحه للملك الأشرف موسى:

بشيوف عرمتك القضاء يـصـوـر ومضاء بأسك في يديه نـصـوـر^(٤)

ومن ضرور التجنيس، تجنيس المضارعة، بزيادة الحروف أو نقصها أو قلبها^(٥):

ومن أمثله في لزيادة والنقص قول ابن دحية مجانساً بين «سروا» و«أسرو» وبين «حكمتكم» و«حكمتهم»:

أما وزن لأحباب أين حبتي فهـمـ ذـا جـن الطـلـام الأنـجـمـ

وسروا وقد أسروا لـمـوـاد وحـرمـو طـيـب اهـجـوع عـيـلـمـا أحـرمـوا

حكمتكم في مهجتي فحكمتهم فيها ما شاء الغرام وشئتكم^(٦)

ومن أمثلة القلب، قول أثير الدين مجانساً بين لحيه وحليته:

(١) بدع في بعد شعر، ص 30.

(٢) خـصـر لـمـدح، ص 6

(٣) من عبيدة، د 47.

(٤) عقود الحباب، ح 9، ورقة 229

(٥) نـسـجـمـي، أبو محمد قدسم لأصري، المنزع اسدع في تجنيس أساليب الـبـدـع، قديم وتحقيق.

عـلـا اـعـري، مـكـتـة المـعـارف، لـر، ص، لـعـرب، ط 1، 1980، ص 486 487

(٦) عـمـوان لـدـر، ص 273

يَقُولُ بِيْ لَعَنُوكُمْ وَلَمْ أَطْعَمُهُ تَسَلُّ فَقَدْ بَدَتْ لِحَبِّ حَيَّةٍ
نَحْيَئُكُمْ أَهْلُ شَانَتْ حَبِيْبِي وَعَدِي أَهْلُ زَيْنٍ وَجَلِيَّةٍ⁽¹⁾

وقد عدّ بعض النقاد هذا التجنيس الذي يأتي بين قفتي البيتين تجنيس تفيق، وقد يقع في لقافة من بيت اواحد⁽²⁾، من ذلك قول أثير الدين في أبيات متتالية:

أَسْهَرْتَ طَرْفِي وَوَهَّتَ لِعَوَاذِ هَوَى فَطَرْفُ وَالْقَلْبُ مِنِّي السَّهْرُ السَّهْيُ
مَهْنَتْ قَلْبِي وَتَهَى أَنْ تَبُوحَ بِهِ يَنْقُهُ وَشَوْقُهُ لِنَدَّهَبِ النَّهْيِ
بَهَرْتُ كُنَّ مَدِيحَ بِلَهَاءِ فَي فِي النَّسِيرَيْنِ شَبِيهُ الْبَهْرِ الْبَهْيِ
لَهَجْتُ رَحْبًا لِمَا أَنْ هَوَتْ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَوَيْحَ الْإِلَهِجِ الْإِلَهِي⁽³⁾

ونلاحظ أن الشاعر بدأ كل بيت بالفعل الذي اشتق منه اللفظ المجنسة، وكأنه نوع من التطريز يسير على ترتيب خاص مقصود.

واستخدم شعراء العصر أنواع السديع الأخرى بصورة أقل من ستخدمهم الجندس، من ذلك ستخدام ابن حروف المطبقات متتابعة في أبيات يصف فيها غلاماً:

وَمُسَوِّعَ لِحَرَكَاتٍ يَنْغَبُ سَائِئُهُ نَبَسَ لِحَسَنَ عِنْدَ خَلْعِ لِبَاسِهِ
بِالْعَقْرِ يَنْغَبُ مُقْبِلًا أَوْ مُدْبِرًا كَالَّذِهرِ يَنْغَبُ كَيْفَ شَاءَ بِنَاسِهِ
وَيَضُمُّ لِنَقْدِ دَمِينٍ مِنْهُ رَأْسُهُ كَالسَّيْفِ ضَمُّهُ ذُبَابُهُ لِرِئَاسِهِ⁽⁴⁾

فقد طبق بين الخلع ولبس، والإقبال والإدبار، والرأس والقدمين، ورأس السيف ومقبضه.

(1) ديوان، ص 418

(2) المربع السديع، ص 491.

(3) الديوان، ص 403

(4) اعصوب نبعه، ص 140، معرب، 2، 737، السيل وتكملة، ج 5، ق 1، ص 397 رأس السيف، مقبضه، معرب: مادة رأس

وَمَّا يَتَّصِلُ بِالْمَطَاقَةِ الْمُقَدَّبَةِ، وَهِيَ يَرِدُ لِكَلَامٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ بِمِثْلِهِ فِي الَّلَفْظِ وَالْمَعْنَى عَلَى جِهَةِ الْمَوَافَقَةِ^(١)، يَبِينُ أَكْثَرَ مِنْ مُنْضِدِّينَ، وَمِنْ أَمْثَلِ ذَلِكَ قَوْلُ يَحْيَى النُّصَيْبِيِّ فِي الْمَدْحِ

بِإَرْضٍ مَعَانِيهِ بِسُودٍ شَطُورِهِ يُرِيدُ صَبَاحَ الْوُضَلِ فِي لَيْسَةِ الْهَجْرِ^٢

أَمْ رَدُّ الْأَعْجَازِ عَلَى الْإِصْدَارِ، فَهُوَ رَدُّ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ لُشْطَرٍ لِأَوَّلِ إِلَى لُشْطَرٍ شَنِئِي، وَقَدْ سَمِعْتُ أَسْمَةً تُتَرَدِّدُ أَوْ لِتُصَوِّرُ^(٣)، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ثِيَرِ الدِّينِ:

رَاضٍ حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَّ يَبْ حُسْنُهُ مِنْ عَارِضِي رَائِضٍ^٤

أَمْ التَّرْصِيعُ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ حَشْوُ الْبَيْتِ مَسْحُوعًا^(٥)، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ لُشْرِي شَيْ:

ذَاتُ دَكَّرَتْ أَوْ قَتَانَتْ وَمَضَتْ يَقْرَبُكُمْ كَذَتْ الْأَحْشَاءُ تَفْطِرُ^(٦)

وَقَوْلُ يَحْيَى لَطْلِيظِي جَمَعَ بَيْنَ التَّرْصِيعِ وَحَسَنِ التَّقْسِيمِ مَخْطَبُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى:

لَيْثُ الشَّرَى، غَيْثُ السُّورَى، نَجْمُ الشَّرَى نَارُ الْقُرَى، تَعْشُو لَهَا ضَيْفُهَا يَأْكُلُ مَلَأَ بَرٌّ وَضَلَّابٌ فَعَلَّامٌ قَصَّرَتْ عَنْ فَعْلِهِ أَعْيَانُهَا أَلَتْ فِي الْمَثَرِ دَوْلَةً بَلَّ صَوْلَةً لَنْ حَوْلَةً حَارَ الْمَدَى فَرَسَتْهَا^(٧)

(١) تُوَهَّلَ الْحَسَنُ عَمَّا لَمْ نَعْسُكِرِي كَسَبَ الْإِصْدَاعَيْنِ (لِكَثْرَةِ وَشَعْرِ)، تَحْقِيقٌ د. مَعْدُ فَمِيحِهِ، دَرُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِيْرُوتَ، ط٢، ١٩٨٤، ص ٣٧١

(٢) عَقُودُ الْحَرَنِ، ج٩، وَرَقَةُ ٢٢٩

(٣) سَمِعْتُ فِي قَدِّ شَعْرِ، ص ٨٥.

(٤) اِسْدِيَاو، ص ٢٥٢.

(٥) اِصْنَعَتَيْنِ، ص ٤١٦

(٦) اِسْفَحَ، ٢، ١١٦.

(٧) عَقُودُ حَرَنِ، ١٩/ ٢٣١

نقد طرز لشعر هذه الأبيات تطريزاً متكلفاً، طغى على المعاني وأثقلها، ونراه يكرر المعاني والألفاظ، مما يعد حشوً في لبس الشعر، ويجعله نوعاً من السوء المزخرف المفصود عن حسب المعنى.

أم لتورية، فهي أن تكون لكلمة بمعنيين، تريد أحدهم فتورّي بالآخر. وقد عده النقد من أعلى فنون لأدب إذا خلّت من التكلف والابتذال^(١) وقد يكثر استخدام مثل هذا الفن في موضوعات النقد الاجتماعي والسياسي، لكنها لم ترد في تلك الموضع عند الشعراء المرتحين، لأن علاقة المرتحين برجال السياسة في معظمها كانت علاقات تكسب، وطب حماية والعضواء

ومن الموضع التي استخدمت فيه، ما يقوله ابن سراقه في بيتين كتبهم من حلب متشوقاً إلى أصدقائه برأس عين مورياً بالقلب والعين

حَبُّ مُدْخِنَتِهَا خَلَّ فِيهِ عَيْنُ رَأْسِي وَالْقَلْبُ فِي رَأْسِ عَيْنِ
هِيَ فِي الْقَلْبِ لَا بَلَّ الْقَلْبُ فِيهِ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ قَلْبِي وَعَيْنِي^(٢)
وقد عدّوا الألفاظ من الكلام المورى لأن بصره غير ظاهره^(٣)، ومما قاله ابن خروف من باب الألفاظ أو الشعر المعتمى:

وَأَشْرَبُوا كُلَّ صَبِيحٍ لَبَنًا وَأَشْرَبُوا كُلَّ أَصِيلٍ عَسَلًا
وَأَعَكَّسُوا ذَاتِي أَعْدَانِكُمْ مَن قَسِي لَبَنٌ أَوْ رُقْشُ الْفَسَلِ^(٤)
ويعنى برُقْشُ الفلاسعها.

(١) صفدي، صلاح مدين خليل بن أيت: قص الخدم عن التورية والاستخدام، تحقيق محمد عبد العزيز الحوي، دار الصداقة لمحمدية، مصر، ط١، ١٩٧٩، ص ٥١ من المقدمة.

(٢) عبود التوريق، ٢٠ ٣٢٨ ديوانه، ٢ ٣٢٩

(٣) كلاًعي، محمد بن عبد المعود، حكم صنعة الكلام، تحقيق محمد رسول لدية، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦، ص ١٨٨، ١٩١

(٤) توري، ٢٢ ٩٣

وكثر استخدام تردف، وهو إيرد للعظمين بمعنى واحد، يقول ابن جندان:
 عَيْتٌ مِنْ ذَلِكَ الْجَمْلِ يَرْسُولُ بُشْرَى عِلَامَاتِ الرُّضْبِ وَالْقَبُورِ^(١)
 ويرادف ابن سعيد بين كلمتي «وجد» و«حب» في وصفه لبركة الفيل^(٢).

هذه بعض افنون البيديعة، التي استخدمها الشعراء المرتحلون، وأسرفوا، تمشياً مع
 ذوق العصر، مما أدى إلى طغيانها في معظم الموضع، وتأثيرها على جمالية الشعر وتحويله إلى
 معرض زحرفي، تُنتقى ألفاظه وتُرصف على هيئة خاصة، تذهب بالكثير من ثقافته
 ورونقه، وتحويل طبع الشاعر على صنعة يتفنن فيها على حساب جودة المعنى ولا ينفي
 هذا أن بعض فنون البيديعة جاءت في شعر عفو خضر، فأكسبت المعنى جملاً، ونلفظ
 نسيباً ورقة.

الأسلوب واللغة

ستجد لشعر المرتحلون معظم أشكـال القصيدة في بناء شعرهم، فقد أكثر من
 كتابة المقطوعات كما رأينا في رد ستنا للصورة الشعرية، وكتبوا قصائد الضويلة، مكثرين
 من الأوزان المجزوءة، وكتبوا الموشحات ولأرجل والمسمطات. وتكمن قيمة هذا البناء
 في مدى قدرة الشعراء على استخدام ألفاظهم ومعانيهم، ومدى تعبيرها عن عصرهم
 وثقافتهم وحياتهم لاقتصادية والاجتماعية، ومدى إفادتهم من تراث شرقي والمعطيات
 الحضارية فيه.

قد استطاعت ألفاظ الشعراء ومعانيهم، أن تحبس رؤية وضحة إلى حد ما عن
 أوضاعهم، وارتباطهم بذوق عصرهم، وإعطاء الشعر لمشرقي صبغة خاصة. فقد أجد
 الشعراء في استخدام الصورة الشعرية، و استطاعت أن تعبر عن نفسياتهم وثقافتهم
 وانظروا في عيشونها لأنها كما أوردناه - صورة الحقيقة المحجوبة في دواخلهم،

(١) سمع، 2، 122

(2) بطر، المصدر لسبق، ص 147

لكنها لم تخل من زخرفة وتلوين وترصيع بديعي نيق اختيرت ألفاظه وصوره بدقة وجهد فكري.

جاءت مقدمات اقصاد في معظمها، معبرة عن ولعهم بوصف الطبيعة، وشكوى الغربة والحزن، وحديث عن الرحيل والبعاد. من ذلك قصيدة ابن دحية في مدح المسك الكامل، التي يستهلها بالحديث عن البعد والرحيل، ربطاً ذلك بوفئه للممدوح:

ما لي أسأل بسرقة بارق عنك
من بعد ما بعثت ديري منكم
وبمئذني الأضلاع برودي الغض
من مهجتي يرحلني نزلته⁽¹⁾

وله قصيدة أخرى يبدؤها بوصف باك للطبيعة، للشوق الذي هاج بين ضوعه، ربطاً ذلك بالنعز:

شجنتني سواج في لغصون سوجع
وهيجن شوقاً للأراجيع اللوى
ففاضت هوم لجفون هوامع
لبني لا ليبي ذارمت وضلها
وأين للوى مسي وأين الأراجيع
يروح لها من صبح شبيبي مواقع⁽²⁾

ويبدأ ابن سعيد قصيدته البنية بحديث عن أحواله في مصر مباشرة، دون مقدمات، لأن ما يعنيه لا يقبل إلا مش هذا الاستهلال البكي اشحنون بالمساءلات ولشكوى، يقول:

هذه حمص فأين المغرب؟
أين حمص؟ أين أيامي به؟
مذ نأى عني دموعي تسكب
بعدها له ألق شيئاً يعجب⁽³⁾

(1) عنوان البديعة، ص 272

(2) المصدر السابق، ص 272

(3) لنفح، 2، 281.

وكثرت المقصودات في وصف الطبيعة، أو شكوى الأحوال التي نتجت عن الغربة. كما وردت الأبيات المنثورة، التي عبرت عن فكرة واحدة، أو حسن شعوري سريع بموقف أو بشيء م.

أما الموشحات والأزجال فستقف على بعض منها عند تبين أساليب التأثير والتأثير بين المشرقة والمغربة.

ويعبر لأسلوب بالفاظه ومعانيه وصوره عن شخصية الشاعر وفكره وعن ذوق عصره، ولا شك أن أحداث العصر وتحولاته، وامتزاجها مع طبع الشاعر وثقافته، كلها عوامل تحدد لأسلوب وتميزه.

وقد امتاز ديوان المرتحمين بكثرة الأشعر الشكية، والقصائد التي تصور الغربة ولبعد عن الوطن، والمقصودات التي تصور مظاهر الطبيعة بصورة جمالية مبدعة. أكسبت أسلوبهم سلاسة ورقة، خاصة عند حديثهم عن الغربة والانقطاع، مستخدمين ألفاظاً دقيقة تنطق بمعاني نفوسهم. يقول بن سعيد شاكياً لغربة متوسلاً بالرسول ﷺ ومتشوقاً ليثرب حينئذ تعذر عليه الحج، بأسلوب يتقطر له لمراً حزيناً:

و رَحْمَةً لِّمَنْتِيٍّ ذِي غَرِيبَةٍ وَمَعَ اسْتِغْرَابٍ فَاتَتْهُ مَا يَقْصِدُ
يَا سَائِرِينَ لِيُثْرِبَ بُغْيَتُهُ قَدْ عَاقَنِي عَنْهَا الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ
يَا عَذِيَّ فِيمِ كَابِدِ قَلٍّ فِي مَا أَبْتَعِيهِ صَبَبَةٌ وَتَسْهَدُ

وترق ألفاظه ومعانيه حينئذ يخاطب الرسول ﷺ بقوله:

عَيْنِي شَكَّتْ زَمَداً وَأَنْتَ شَفَاؤُهُ مِنْ دَائِهِمْ ذَاكَ الشَّرِي لَا الْإِيمِدُ
يَا جَنَّةَ لَخْلَدِ الَّتِي قَدْ جُتُّهُ مِنْ دُونِ بَيْتِكَ لِلْجَحِيمِ تَوَقَّدُ
فَسِّرْ حَرَمْتُ بِلُغْ مَا أَمْتُهُ فَسَدِي ذَكَرِي لَا تَزَالُ تَرَدَّدُ
لَوْلَاهُ مَا بَقِيَتْ حَيَاتِي سَاعَةً هَوَلِي إِذَا مِتُّ اسْتِيَاقاً مَوْدُ⁽¹⁾

(1) النفع، 2/313، 314

ولا شئت أن نزع الشكوى والحنين الدائمة في نفسية ابن سعيد جعلته يحسن استخدام موقف عدم حجه في التعبير عن المعاني التي يطرأ لها، ولا ينفذ يرددها في كل بلد، كما تبيننا في حديثنا عن الحنين في شعره.

وتشف الألفاظ والمعاني عند ضياء الدين خزرجي في ابتهاله لله تعالى في ساعة مجبوة من ساعات نفجر الغض، إذ يقول:

واعترضت الزهر بعد زهو إذ جئت
وعدد لطل زهر لروض حين سرت
وبشر لفجر بليوم الجديد فقم
ساعا لم السر لا تفصح سريرة من
إلى الغوارب من شر قهه غيرا
رؤيحة المجر غصا ناعم نضرا
وساد من لم يزر في الملبس مقتدرا
وفاك، يا فائق الإصباح مبقرا⁽¹⁾

فقد استخدم أسلوب التصغير في لفظة (رويحة) مما جعلها ترق، ورادف بين (عضد ونعم وضر)، وكبها ألفاظ متسقة الحروف، رقيقة المعاني، فحرف الغين المكرر في معظم ألفاظ البيتين الأول والثاني، وحرف الفاء في أكثر كلمات البيتين الثالث والرابع، كسبت هذه الحروف كلها لأبيات نغمة موسيقية متشككة جعلت لموقف لابتها في لنفس أثر شفيف لإيقاع.

وترددت ألفاظ ومعاني الرحيل في أشعر لمرتحلين، فهي هو ابن جند يصور دموعه ترتحل من مقلته وتفرق أوطانها مثله بأسلوب مؤثر، يقول:

زحلوا عن ربع عيي منذ
م له قد فرقت أوطانها
أدعني عن مقلتي ترتحل
وهي ليست خم هم تصيل
لا تظنوا أنني أسلوف
مدهي عن حبكم ينتقل⁽²⁾

(1) مرة عية، 3، 47، 48.

(2) حنن، قدح، ص 206، لفتح، 121/2 فقد ورد في نصح عن حنن من حبكم

فقد جمعت لأبيات معظم أعاظ الرحيل والفرقة (رحلوا، ترحل، فرقت، تنتقل) وترددت مثل نبت الألفاظ، والمعاني المتعلقة بها في معظم أشعارهم، مثل: الشجون والهـم والغربة، وأواله امتغرب، والغريب ولسكين^(١) وأحرق والانقطع، وهيج ويقسي، والضنا^(٢)، ولتغرب، وأتوحش، وأهجر، ولعشر، والمتفرق، والندب والبعد، والبين، وفارق^(٣)، واستخدموا الرموز التي تدل على معاني الغربة مثل عواء الذئب، وغراب الليل^(٤).

وفي لوقت نفسه، استخدم الشعراء ألفاظاً تتضمن معاني الطرب والنشوة والفرح، فجاءت راقصة ناطقة بفرح نفوسهم، خاصة عند رسمهم صور الطبيعة كما انضح من خلال الحديث عن لصورة لشعرية ومن هذه الألفاظ: مهزوز، واهتزز، وتصفيق^(٥) وشوان، ولم تخل من لانسيب مثل تسير، ومج، ولتني، ويجول^(٦).

واستخدم الشعراء الكثير من الألفاظ ذات الدلالة الحربية مثل السيوف، والسهام، والحديد، والسمر، والريث^(٧)، ومن ذلك ما يقوله ابن دحية فيمدح للملك الكامل مستخدماً ألفاظاً لها علاقة بمعركة مثل: قائم سيفه، والكتائب، والوقوع:

يُدافع عني الضيم قائم سيفه	دا عر من للضم عني يُدافع
كتبُّهُ من صورة بكتائب	من الملاء على وجريس وازع
يُهَنِّك يا عز الملوك بشائر	بتوالي بها في المشركين وقائع

(١) عقود جمن (مخطوط)، ح ١٥، ورقة ٢٥، ٢١، ٢٢.

(٢) مصدر نسوق، ح ٤، ورقة ٣٩١.

(٣) لمع، ٢٦٤/٢، ٢٦٦.

(٤) لرايت، ص ١٨٥، لمع، ١١٢/٢، ٢٦٧.

(٥) لموت، ١٤٠/٣.

(٦) نعر، ٢ ١٦٥، ديوان، ١٩٩، ٢٠٠.

(٧) عمود مدنية، ص ٢٧٦.

ولا شك أن ظروف العصر الحربية استوحيت استخدام مثل تلك الألفاظ عن قصد أو غير قصد.

ولعل سيطرة الألفاظ المتعلقة بالنجوم والكواكب والكهنة ولتنجيم من السهول لالفة لسطر في هذا العصر، وربما يعزى تكرار هذه الألفاظ، لاتصافها بعناصر الطبيعة، أو لنهي حكم عن استخدام المنطق والتنجيم، وأهزء براء المنجمين ووصفهم بالكذب⁽¹⁾، مما جعل هذه النزعة تزداد لدى الشعراء في التعبير للحكم عن تأييدهم سنها عن هذه العلوم، باستخدام ألفاظها في معاني الإشادة بممدوحهم. وقد ورد الكثير من تلك الألفاظ في قصيدة بن دحية مادحاً الملك الكامل، ومبطلاً ما يقوله المنجمون، يقول:

أمنزل لأحاب أين أحبتي	فهم إذا جن الظلام الأنجم
عز الموك الكامل لشرف الذي	لعلائه السبع الكواكب تخدم
فلمشتري كذا شتري لسعوده	بمسي ويصبح حيث أم يؤمم
قدع التحرش يا منجم وتند	فحكم عندي غير ما قد تحكم
هذا الصحيح من المقالات أنتي	فيهم بمكنون الغيوب يرجم
سذوي النهي والفهم سر حكومية	قد حار فيها كهن ومنجم ⁽²⁾

فقد استخدم الشاعر النجوم والكواكب بدلالاتها المختلفة، إذ غدت الكواكب السبع تخدم الملك الكامل، لأنه نجم ساطع بصفاته، وتشبه كوكب المشتري مع المشتري لسعوده. وحارت هذه الصفات التي شاكلت النجوم والكواكب على المنجمين والكهنة، فجاء رد على هؤلاء المنجمين من جنس ما ينجمون ويتكهنون به وذلك أبلغ. ووردت

(1) نهاية النهاية، 13، 158.

(2) عون السيرة، ص 273، 274.

ألفاظ وصور لنجوم وعلاقتها بالبدور والبروق في موضع أخرى⁽¹⁾. كما وصف الشعراء بعض الظواهر الكونية مثل خسوف القمر⁽²⁾.

وتداول شعراء ألفاظ العنوم و استخدموها، كالألفاظ عجم الحديث في قصيدة غزلية لأبي نعبس أحمد بن فرح، إذ يقول ذاكرةً درجته من صحيح وحسن وضعيف ومتروك وأنواعه.

غَرَمِي صَحِيحٌ وَالرَّجَائِفُ مُعْضَرٌ وَحُزْنِي وَدَمْعِي مُصَوِّقٌ وَمُسَلَّسٌ
وَصَبْرِي عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْرُ أَنَّه ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ وَذَلِي أَجْمَلٌ
وَلَا حَسَنٌ إِلَّا سَعْعٌ حَدِيثُكُمْ مُشَاهِقَةٌ يُمَلِي عَيِّي فَأَتَقَلُّ
أُقْضِي زَمَانِي فِيكَ مُتَّصِلَ الْأَسَى وَمُنْقَصِعًا عَمَّا بِهِ أَتَوَسَّلُ⁽³⁾

واستخدم أثير سدين ألفاظاً في صفات لحروف، كاجهر، و همس، والغنة، والصغير

يقول:

أَنْ هَاوٍ وَمُسْتَطِيلٌ أَغْنَى كَيْ اشْتَدَّ صَارَتْ النَّفْسُ رَحْوَةً
أَهْمَسُ الْقَوْلَ وَهُوَ يَجْهَرُ سَرًّا وَإِذَا مَا اسْخَفَضْتُ أَظْهَرَ عُتُوَةً
فَتَحَّ الْوَضْرُ ثُمَّ أَطْبَقَ هَجْرٌ بِصَفِيرٍ وَالْقَلْبُ قَلَقَرَّ شَجْوَةً

كما استخدم جمال الدين ابن مالك⁽⁴⁾ ألفاظاً ومعاني نحوية⁽⁵⁾. ويحو مثل هذا

الشعر منحى تعليمي، مما يجعله قوالب لألفاظ مخصوصة، تفقده قيمته الجمالية.

(1) نظر معصون، ص 143، للعرب، 38/2. عقود الحمن (مخطوط)، ح 9، ورقة 228 نفوت، 3 105.

(2) نصر لنفع، 264/2.

(3) لنفع، 530/2.

(4) نظر للمحقق، لترجمة رقم (43).

(5) نظر. لوافي، 361-362/3.

ويعزو د. عبد العزيز لأهوني هذه ظاهرة إلى انقضاء التواصل بين لعارين بالعلوم والجمهور، فلندين يعرفون أصول علوم اللغة وحديث وغيرها قلة، ولا بد لشاعر من استخدام مثل هذه المصطلحات، رغبة توصل بين الصنفين⁽¹⁾، وقد يكون مرد ذلك إلى محاولة الشعراء، إظهار بُرعة، والتفنن في إبراز بعض سمات خاصة لشعر، ومنها هذه بظاهرة

وَأُورِدَ الشَّعْرَاءُ فِي شَعْرِهِمُ الْفَضْلَ فَهَ تَصِلُ بِالزَّرْعَةِ، كَالْبَذْرِ وَحَصْدِ، وَالْخَصْبِ
وَالْجُدْبِ وَالْغَرَسِ، مِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ ضِيَاءُ الدِّينِ الْخَزْرَجِيُّ مِنْ قَصِيدَةِ زَهْدِيَّةٍ:

فَبَتَّ يَبْذُرُ فِي أَرْضِي رُضْ حَسَنًا وَإِنِّي يَحْصُدُ الْإِنْسَانُ مَا يَبْذُرُ⁽²⁾
ويقول ابن حروف ذكرًا الخصب و الجذب والغرس في امتداحه لنفسه:

مَسْتَلِّي — سَمِّي زَيْبًا	مَسْتَلِّي — سَمِّي أَدِيبًا
مَتَّى وَجَدْتُ كَثِيرًا	عَرَسْتُ فِيهِ قَضِيبًا
وَلَا أَبْ—يَ حَصِيْبًا	لَقِيْتُ—هُ أُمَّ جَلْدِيَا ⁽³⁾

وتؤكد مثل هذه الألفاظ ودلالاتها، ارتباطاً بالبرعة، ومعرفة قيمة الأرض وأهمية رعايتها و لقيم شؤونها.

وحملت بعض الألفاظ دلالات مالية كدراهم والدينير، وقيمتها في التأثير على حياة الإنسان، من ذلك ما يقوله أثير الدين عن اندراهم التي لا يستطيع ردها، لقضائها حاجته، وتصير هذا الصعب سهلاً:

أَجَلُّ شَفِيعٍ — يَسْ يُمْكِنُ رُدُّهُ دَرَاهِمٌ بِيضٌ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ
تُصِيرُ صَعْبَ الْأَمْرِ أَسْهَلَ مَا أَرَى وَتَقْضِي لُبَنَاتِ الْفَتَى وَهُوَ بَرِّمُ⁽⁴⁾

(1) بن سناء الميث ومثكنه، معجم والانكار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 2، 1986، ص 37-38

(2) ملء العسة، 3، 47.

(3) معصون، ص 142 مغرب، 1 138

(4) أنديوان، ص 476

وذكر ابن خروف الدرهم مصوراً إياه بالنجوم¹، وشه ابن سعيد السرج في حبيج مصر بالدنير التي لا تروم⁽²⁾

وترددت في أشعر لمرتحلين أسماء بعض الحيوانات، مستخدمين دلالاتها ومرادفها وما يرمز إليه، كالأسد مردفاته كالضيغم ونبث⁽³⁾، والظبي والریم⁴، والذئب وُسَيْد⁽⁵⁾، وُثْعَيْن وُرُقْشُ نَفْلا والأرقم والحُبب⁽⁶⁾ والطيم وهو ذكر لعدم ومن ذلك ما يقوله ابن خروف مقارناً بين سرعة الظرف وسرعة الطيم.

ما رَأَى لِلصَّرْفِ غَيْرَ طَرَفٍ قَضَرَ فِي الْعَدْوِ بِالطَّيْمِ
ذِي نُقْطٍ كَالنَّجُومِ تَدْدُو فِي جَحْجَحٍ لَيْلٍ لَهُ بِهِمِ⁽⁷⁾
ويقول أبو عديله العُمري جامعاً بين الظبي والأسد مخاطباً الوزير الحبي مؤيد الدين أبا نصر الشيباني.

وَقَدْ جَمَعْتَ نَفْسَ ظَبْيٍ وَبَصَرِ الْأَسَدِ⁽⁸⁾
ويصف شرف الدين مرسي⁽⁹⁾ ثني الماء مشبهاً إياه بثني الحُبَاب:
شَتَّى مَحْسَنُهُ فَمَرَّ زَهْرٍ عَلَى نَهْرٍ تَسْلَسَلُ كَالْحُبِّبِ تَسْنَسُلَا

(1) نظر لرايت، ص 139.

(2) نظر حطوط، 1/368، لمع، 2/349

(3) نظر. لمع، 2/175، عون الدر، ص 274، الإحاطة، 4/156

(4) نظر العصور، ص 143، نديل واستكملة، ح 5، ق 1، ص 397

(5) انظر لمع، 2/112

(6) نظر العصور، ص 142، 143: عقود الخمر (مخطوط)، ح 7، ورقة 217، ابوفي، 3/358، و 93/22

(7) لمع، 1/338.

(8) عقود الحجاب، ح 7، ورقة 218.

(9) نظر الملحق، الترجمة رقم (44)

غَرِيتُ بِهِ شَمْسٌ لَظْهُيرَةٌ لَاتْنِي إِحْرَاقٌ صَفْحَتِهِ لَيْبٌ مُشْعَلٌ⁽¹⁾

لكن هذه الدلالات في معظمها خاصة بالحيوانات المؤذية، كالحُباب والذئب لم تأت بمعانيها الخاصة وزيحطها بصفات لسان المؤذية، فلنهر كن تسيسه وانسيبه كحُباب. والأرقم والثعابين ربطت بوصف عيد من أعياد السبت عند بن خروف⁽²⁾، والسيد (الذئب) ربط بمشهد فيه دُعية⁽³⁾. لكن نجد مُشاقة أكثر حدة في تصويرهم للحيوانات المؤذية، ونراه كذلك لا تتصل به فيه رقة وسلاسة، فقد كانوا على الأغلب يربطون بين صفاتها المؤذية، وصفات أعدائهم السيئة. فبن عنين يشبه لثام لئس بالعقرب ولثعبي التي تنفث لسموم⁽⁴⁾، وقد تأتي مثل هذه الصور الحادة للحيوانات المؤذية في مواضع لا تتطلبها، كتشبيه علام يركب زورقاً بالعقرب، يقوده ثعبان ماء⁽⁵⁾.

ولعل لأثر لديني، من أبرز سمات التي تميز بها شعر المرتحين، فقد أكثروا من استخدام الألفاظ الدينية الخاصة بالشعير الإسلامية مثل الوضوء والتميم والتكبير والصلاة، يقول ابن مالك.

إِذَا رَمَدْتُ عَيْسِي تَدَاوَيْتُ مِنْكُمْ يَنْظُرَةُ حُسْنٍ وَبِسْمَعٍ كَلَامٍ
فَإِنْ لَمْ أَجِدْ مَاءً تَيْقَمْتُ بِسَمِّكُمْ وَصَلَّيْتُ فَرَضِي وَالسَّيْرُ أَمَامِي
وَأُخِصْتُ تَكْبِيرِي عَنْ لَغِيرٍ مُعْرِصٌ وَقَابَلْتُ أَعْلَامَ السُّوَى بِسَلَامٍ⁽⁶⁾

كما وردت الإشارة إلى تسجود، فلعل بعض يسجد عند بدر بن هود⁽⁷⁾ في وصفه للأحور العشق:

- (1) لوقي، 3، 58؛
- (2) انظر: غصون، ص 142، 143.
- (3) انظر: سمع، 2، 172.
- (4) انظر: ديوان عيسى، ص 137.
- (5) عقود حيران (مختصر)، ج 10، ورقة 56.
- (6) التمتع، 2/ 226.
- (7) نصر سحوق، ترجمه رقم (6).

مَجْنُونٌ إِلَّا أَنْ ذُلَّ جَنُّهُمْ ————— وَهُمْ عَزِيزٌ عَلَى أَعْيَانِهِمْ يَسْجُدُ الْعَقْلُ⁽¹⁾
والغصن عند ابن سعيد يسجد⁽²⁾، وغد وفوعه عن الحمر سجود عشر⁽³⁾، وأشدر
بعضه إلى لصوم وانفطر⁽⁴⁾، وإلى ابيت لعتيق⁽⁵⁾، كما استخدموا دلالات أسماء سور
القرآن الكريم، يقول ابن سعيد من مدحه للملك الذنصر مستخدماً دلالة سورة الحمد:
مَلِيكَ تَرَى فِي وَجْهِهِ يَةِ الرِّضَا ————— وَتَقْرَأُ مِنْ مَدْحِهِ سُوْرَةَ الْحَمْدِ⁽⁶⁾
ويستخدم دلالة سورة يوسف، يقول:

هَذَا الَّذِي هُوَ لِمَرْسَلٍ شِعْرِهِ لَمَّا أَتَى فِي فِتْرَةِ السُّوَانِ
يَبْ حُسْنِ سُوْرَةِ يَوْسُفَ فِي صُوْرَةٍ ————— تَتَلَوُ عَيْكَ بِدَائِعِ الرَّحْمَنِ⁽⁷⁾
كم ضمتوا شعرهم ألفاظاً ومعاني من القرآن الكريم، يقول ابن عتبة الإشبيلي في
غلام

رَأَيْتُ فِي حَمْدِهِ عِذْرًا ————— خَلَعْتُ فِي حَبِّهِ عِذَارِي
قَدْ كَتَبَ لِحُسْنٍ فِيهِ سَطْرًا ————— «وَيُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهْرِ»⁽⁸⁾
ويقول أبو الحسن لششتري، مضمن من قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى﴾
[مقصص 36].

(1) ب. ي، 2، 158.

(2) مصر العربية، ص 174، 2، ونعرب، 174/2.

(3) مصر المعرب، خاص بمصر، 6، لخط، 1، 341.

(4) مصر القدح، ص 6.

(5) بصر القوت، 266/د.

(6) نعرب، 2، 175.

(7) مسند الأنصار (مخطوط)، ح 8، ق 2، ورقة 388.

(8) نقوت، 3، 285، و بصر الآية 61 من سورة الحج.

شَدَّتْ أُمُورُ الْقَوْمِ عَنْ عَادَتِهِمْ فَلَأْجَلَ ذَلِكَ يَقُلُّ سِحْرُ مَفْتَرِي⁽¹⁾
 وأشد الشعراء من معدٍ وردت في القرآن الكريم مثل جعل النبوة في أبناء يعقوب
 عليه السلام وذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾
 [نعمان 21] من ذلك ما يقوله ابن خروف ما حأني أيوب، مشهاً بهم بأبناء يعقوب
 لتقاهم وصلاحهم:

شَمْسٌ هَدِيَّةٍ فِي أَبْنَاءِ يُوبٍ أَخْتُ النُّبُوَّةِ فِي أَبْنَاءِ يَعْقُوبِ
 هُمُ لِلْمَلَانِكِ فِي زِيٍّ الْمُلُوكِ وَهُمْ أَسْدُ الْخُرُوبِ وَأَقْطَابُ الْمَحَارِبِ⁽²⁾

وأحسن الشعراء استخدام القصص نقرتي ورموزه، لا سي قصة فرعون وموسى
 عليه السلام وقصة الخضر وموسى عليهما السلام، ويوسف عليه السلام وتلك خزائن مصر، يقول بن
 سعيد مشيراً إلى موسى والخضر أثناء وصفه لنعيم دمشق، مصوراً يبيعها تتفجر من
 ضربات عصم موسى، ورياضها تخضر من لمسات الخضر:

وَكُلُّ وَادٍ بِهِ مُوسَى يُفَجِّرُهُ وَكُلُّ رَوْضٍ عَلَى حَدِّهِ لَخَضِرٍ⁽³⁾
 كما ربط أثير الدين بين انشقيق لبدر محمد، ونفلاق البحر لموسى عليه السلام
 يقول:

فَتَرَسُولِ انْشِقَاقٍ بِبَدْرِ نَشْهَدُهُ كَمَا لِمُوسَى نَفْلَاقُ الْبَحْرِ مَنْقُولُ⁽⁴⁾
 أم ابن خروف، فيوظف قصة فرعون وموسى عليه السلام مع لسحرة توظيفاً جيداً، في
 وصفه لمزدهت دمشق وميادينها في يوم السبت الذي اختصه أهل دمشق لعبهم وغنائهم
 وهوهم، فغدا فيه لسحر جماله، وعُجب ما يعرض فيه، يقول:

(1) ديوان ششتري، تحقيق د علي سامي نش، در معرف، الإسكندرية، ط 1، 1960، ص 41

(2) حصون، ص 139

(3) رافي، 22 / 256

(4) نديون، ص 469

ترووق دمشق ولدانا و حوراً
 ذ رحت عروبة^(١) عن حمها
 إلى سبت حكى فرعون موسى
 فتصر كس أمود قويم
 إذا السابت أراقمه عليه
 وشاهدنا بها في كل حال
 وتزهو زهو جنات النعيم
 نأوه كس أواب حليم
 يجمع كل سحر عليم
 يميس وكس ثعبان عظيم
 تذكر بها ليل السليم
 جبالاً أقيت نحو الكيم^(٢)

ويقول بن سعيد مشيراً إلى تملك يوسف عليه السلام خرائن مصر ومورياً بسمه في مدحه
 لملك الناصر يوسف:

خزائن رضى الله في يد يوسف
 فهل لسواه في الملوك يرى قصدي^(٣)
 وقد استخدم شعراء ألفاظاً دينية مسيحية، ولعل أبا الحسن لشعري في قصائده
 وموشحاته الصوفية، من أكثر لشعراء استخداماً لهذه الألفاظ، إذ تنقل في الربط والأديرة
 بين نادية لشم ومصر، وشعره مبنية بوصف الأديرة والرهبان والشمسة^(٤)
 ولا يقونات والصور، من ذلك وصفه لدير مسيحي وما يجري فيه من شرب الخمر التي لم
 تكن إلا إلهية، حيث احتسده مع الرهبان ولشامسة واصفاً منهم شماساً يحتال بثوبه
 وقدرًا، يقول:

تبته قد بدت شمس العقار
 شلافاً قد صفت قدماً وراقا
 فما عصرت وما جعلت بدن
 وقد غلب اشعاع على النهار
 أدزها بالصغار وبالكبار
 وما سكبت رجا جتها بنار

(١) عروبة وعروبة بوزن خمسة، لسان العرب، مادة: عرب

(٢) عصون، ص 142، 143

(٣) مصر، 2، 5

(٤) شمسة، مفرد الشمس، وهو من يقوم بالخدمة في الكنيسة، ومرسته دور لتفسير، وهي لفظة
 سريانية، المعجم الوسيط، مادة شمس.

شربنها سدير يس فيه سوى الحلاج في خلع لِعِذْر
نشد في لقوم شمس لصف يجرئ الذئيل في ثوب الوقر
فقتلهم به عنهم فتها فلما يروهم تربُّ البحار
وعند دخولهم في الدير أنقروا عاصمهم إذ ألبسوا بالجوهر⁽¹⁾

ونعل سبب إعجابه بحياة الرهبان، هو التشبه الشديد بين حياتهم وحياة الصوفية، فكنتهم تقومون على خرمات ولزهد وإعراض عن الدنيا. والعيش في ظقوس خاصة⁽²⁾

وتتداخل الألفاظ النصرانية عند ابن دحية مع بعض الألفاظ الإسلامية في مدحه لِمَمْنَكِ الكرم، ومحاربتة للنصارى وتدميره لكنائسهم ونواقيسهم، يقول:

بأسيفيه في لأرض هُذَّت كُنائسُ وشيّد للإسلام فيها حوامعُ
ينهنكيب عز المذوكة شائرُ توالى بها في المشركين وقائعُ
تُدالّ بها أرض العدى بالعمى هدى يكسر ناقوس وتبنى صوامعُ⁽³⁾

أم بدر الدين بن هود فيشير إلى قس النصارى وحبر اليهود معرضاً بأقوالهم التي يدحضها الحق:

سلام عليكم صدق الخبر الخبر فلم يبق قال أنقُس أو حدث خبر⁽⁴⁾

كثير استخدام ألفاظ مذهب لنصوف، نظراً لانتشار التصوف والزهد في المجتمع بصورة وصحة، نتيجة لظروف غير المتوازنة التي توسد حياة المجتمع والتي أدت للاتجاه لتير اللهو والترف، أو للتصوف والزهد بصورة متطرفة في كلا الجانب. ولعل ظهور

(1) الديوان، ص 40.

(2) نبي سامي نشر (صوفي أندلسي مجهول)، مقالة في مجلة الأدب، ح 9، لسنة الثالثة، بيروت، 1944، ص 19

(3) عنوان ترواية، ص 276

(4) الوقي، 2/ 159

أشهر المتصوفة في هذا العصر مثل الشهروردي وابن عربي وأبي الحسن الششتري وما يدور بينهم وبين الفقهاء من المذاقشات، من الأمور التي أجمعت هذا الاتحاد، مما كان له أثر بين في استخدام الشعراء لألفاظ ومعاني التصوف، يقول بدر الدين بن هود، مستخدماً اللفظ نطهر والباطن ولتجي.

ألا بـ حبيب لقلب يـ من بـذكره على ظهري من باطني شـهد عـدل
تجليت لي مني عني فأصبحت صفاتي تندي بـ حبيبك مثل⁽¹⁾

ما بر جتن فيؤمن باحلول، لكن في دين الهوى كما يقول:

أحباننا ودعائنا نـظري وأنتم بين ضلوعي نزول
حدثتم قـبـي وهو السـذي يقول في دين الهوى بالـخـول⁽²⁾

كما وردت ألفاظ أخرى مثل البعض والكس، والوجود والقـدم⁽³⁾، والخلود والتفرد والأغبار ولفـء ونـعمـه⁽⁴⁾

ومن لطواهر الأسنوية تكرار، فقد كرر الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم وصورهم وحروفهم، وعنى ابن الأثير على هذه الظاهرة بقوله: «إنها من لمفيد أن تأتي لمعنى، ومن غير لمفيد أن تأتي لغير معنى»⁽⁵⁾. وقد كان سبب التكرار اللفظي - على الأغلب - استخدام المجانسة كما تبيننا عند الحديث عن لفنون البديعية، وكرر الشعراء في مصراحتهم ومساجلاتهم لما تستوجه من تكرار واستخدام ألفاظ متشابهة، أو استخدام ألفاظ عينها عند الرد، من ذلك المساجنة بين ابن سعيد وابن العديم، حيث يقول ابن العديم في بيت كتبها لابن سعيد:

(1) نواي، 2، 58.

(2) قدح، ص 239.

(3) اطر، الوي، 2، 159.

(4) اطر، دول، بي حين، ص 432.

(5) ابن الأثير، صياء تدوين، مؤثر اسنوي في أدب الكتب والشعر، بتقديم وتعليق: أحمد الحوفي، وسوي صدى، در نهضة مصر، القاهرة، ط 2، 973، 4/3.

ابن سعيد إليك شوقي (شوقك للغصن والكثيب)
فجابه ابن سعيد بقوله:

ابن الكعب طرّح كتاباً (في لشوق للغصن والكثيب)^(١)
ويجمع ابن دحية بين تكرار لفظي الناتج عن المجنسة وعن غير المجنسة، خاصة
استعق بالفاظ نجوم، وبين تكرار المعنوي، يقول:

منزل الأحب أين أحسني وهُم إذ جنّ لظلام لأنجُم
وسرّوا وقد أسروا نفؤدَ وحرموا ضبّ اهُجوع عليّ ما أحرّموا
أحبّ طال المطال بوعدكم بي بالوصال وطال ليّلي فيكم
ورحمتهم بالقب يوم رحمتهم وضعنتهم بالصير يوم ظعنتم^(٢)

فمعني السوءة عن لأحبة والألم لفقدهم تكررت في معظم الأبيات. وتكررت
الألفاظ في كل الأبيات، بين الأحب وأحسني، وسرّوا وأسروا، وهم وهم، وطال
ومطال، ورحتهم ورحتهم، وضعنتهم وضعنتهم، وإن كنت موضع التكرار تسببت بعض
لأبيات موسيقى خاصة، إلا أنها أفقدتها جزءاً من قيمتها، لأنها جاءت مقصودة لذلك.

وتكررت عند بعض الشعراء ألفاظ وصور تشخيصية بعينها في مواضع منفردة،
مثل لفظة جندح عند ابن سعيد، فالخليج طائر جندح^(٣)، وللرياح جندحة^(٤)، وأجندحه
لسيوف^(٥)، وأخهم يعير جندحه^(٦)، والشمس طائر يمدّ جندحه^(٧)، كما ولع ابن سعيد

(١) اقدح، ص 6

(٢) عون ندرية، ص 273

(٣) ابريات، ص 179

(٤) وافي، 22/255

(٥) لإحطة، 4/154

(٦) لفتح، 2/307

(٧) ابريات، ص 180، لفتح، 2/307

أولع بن سعيد بالريح والغصن وتفنن في رسم صورهما، وترداد لفظيه في عدد من مواضع، فالغصن يسجد، والريح تدنيه ليد^(١)، والريح تبدي الخفيا، وتثقل لأغصان لتقبّل وجه الحدرا، ولعصون غيل لتقرأ^(٢).

ولعل هذه الألفاظ، وخاصة لفظة لجسح لها ارتباط بنفسية ابن سعيد متغنية لما نرسم إليه من حركة الدائمة والتغير والارتحال، وهذه من أخص صفات ابن سعيد الذي لا يمكن يستقر في مكان ما، إلا ويفكر في الارتحال إلى آخر، كما أن الجناح يرمز لحجم اندي عبر صوته عن الحنين والشوق وتهديج الأشحن، ففلسفة ابن سعيد مولعة بهذه الأحاسيس التي يرددها في معظم شعره في كل مرحلة من مراحل حياته مع اختلاف درجاتها في كل موضع، ولعل لفظي ريح والغصن هما ارتباط بالجناح، وتجمعها معه حركة، وعدم الاستقرار، ونطووعة في الخفقان وكما لها اتصال بنفسية بن سعيد لتوافقه دائم للحرية والتحقيق والانطلاق.

ومثل تكررت الألفاظ والمعاني والصور، فقد تدوبت أحرف ضهرة التكرار في أبيات الشعراء وقو فيهم على هيئة تطريزية خاصة، لا تخلو من تفنن وجه موسيقي في بعض المواضع، من ذلك تكرار حرف الفاء ثلاث عشرة مرة في قول ابن الجنا:

عَرَفُ النَّسِيمِ بِعَرَفِكُمْ بِتَعَرَفُ	وَأَخَوِ لِعَرَامِ بِحَبِّكُمْ بِتَشَرَفُ
شَرَفُ الْمُتَنِيمِ فِي هَوَاكُمِ أَتْلُهُ	طَوْرًا يَنْوُحُ وَتَارَةً يَتْلَهُ فُ
نُظِفْتُ مَعَانِيهِ فَهَبَّ مَعَ الصَّبَا	فَرَقِيْبُهُ بِهَبِّبُهُ لَا يَعْرِفُ
وَإِذَا الرُّقِيبُ دَرَى بِهِ فَلَا تْلُهُ	أَخْفَى لِنَدِيهِ مِنَ النَّسِيمِ وَالْطَّفُ ^(٣)

ويندوب ابن سعيد في تكراره للحرفين الحقيقين احاء واهاء، يقول:

فَلَقْلَقُهُ وَجَدُهُ فَبَا حَا وَزَادَ تَبْرِيْجُهُ فَنَاحَا

(١) نريت، ص ١٧٥، ١٧٤

(٢) صوت، ٣، ٢٦٣.

(٣) دبل المراف، ٣، ٢٠١

يَكْبِدُ الْمَوْتَ كُلَّ حِينٍ وَ أَتَتْ لَاسْتَرَحَا
يَنْزُو ذَا مَ الرِّيحِ هَبَّتْ كَأَنَّهُ يَعْرِشُ الرِّيحَ
يَسْتَهْ عَنْ رُبْعِ حَصِي لَمَّا عَرَفُهَا وَفَحَا
كَمْ قَدْ بَكَى لِلْحَمِيمِ كَيْ يُعِيرُهُ نَحْوَهَا جَذَحَا^(١)

لقد تكرر حرف الحاء إحدى عشرة مرة، وحرف الهاء عشر مرات، وهي نسبة متقاربة، وقد أحسن ابن سعيد اختياره هذين الحرفين في حديثه عن الغربة، فهما حرفان مهموسان، أقرب إلى شجون النفس ودواخيلها، وزد في سلاسة الشعر ورقته استخدام الوزن المجزوء ببحر البسيط.

ويكرر أثير الدين حرف السين خمس مرات في بيت واحد من مقطوعة سينية، يقول:

أَرْحْتُ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسِ بَالِنْسِ كَمَا غَنَيْتُ عَنِ الْأَكْبَسِ بَالِئْسِ^(٢)

ويلاحظ أن لفظ القافية في الغلب - هو الذي يتكرر في حشو شعر، فأبيت بن حنّان غلب عليها تكرار حرف الفاء وهو حرف القافية، وكذلك ابن سعيد، وأثير الدين.

ويتندوب عند محي الدين تكرار حروف عدة في مقطوعة يدعو فيها إلى عدم وصف لله تعالى كوصف المخلوقات، بل تمحيده فرداً واحداً، لسعادة بلحظة لوصل، يقول:

فَقُّمَ بَوَصَفِ الْإِلَهِ وَنَظَر إِلَيْهِ فَرْدًا عَلَى نَفَرَاد
وَالْبَسَ لِمَوْلَاكَ ثَوْبَ فَقِيرٍ كَيْ تَحْظَ بِالْوَهِبِ الْجَوَادِ
وَقُرْ إِذَا أَجَبْتَهُ فَقِيرًا يَا سَيِّدًا وَدُّهُ اعْتِمَادِي^(٣)

(١) صفح، ٢، ٣٥٧.

(٢) 'منوان، ص ٤٥٦.

(٣) ديوان ابن عربي (مخطوط)، ص ٨.

كرر ابن عربي حرف الفاء أربع مرات في البيت الأول، مرتين في كل شطر، وكرر حرف لدل مرتين في لشر الثاني من البيت الأول، وثلاث مرات في لشر الأخير من لايبات، فقد كان لاستخدام الحروف عند المتصوفة رموز ومدلولات خاصة، لها أهميتها في فلسفة لتصوف، لا سيما أن الحرف يتعق بأسرار المعاني القرآنية، والرموز المستوحاة منها⁽¹⁾.

ولعل من الملاحظ أن الحروف التي يستخدمها الشعراء لمرتجلون لتكرر هي حروف رقيقة مهموسة في معظمها، لما تحميه من موسيقى ونسياب يحملها معظم شعرهم الأندلسي وربما كانوا يستخدمونها لتعويض إحساسهم باختلال موسيقى شعرهم أحياناً، فتأتي هذه الحروف لتعوض عن إحساسهم بفقدان هذه لسلسلة الرقاقة التي اعتدوا عليها بطبعهم، وأكسبتها يدهم طبيعة بلادهم الجميلة، وإحساسهم بلاطمثان في وطنهم، الذي أدى ترحلهم إلى فقدهم له، وفقدان شيء من هذه السلسلة التي كانت نتيجة للرفاهية ولأمن وجمال وضمهم الذي لم يستطيعوا أن ينسوه أو يقبوا بغيره بديلاً.

وقد يتجاوز بعض الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم، مستخدمين ألفاظ شتم الأعرض، ولتسبب، مما قد يضر على فنية الشعر وقيمتها، من ذلك ما يقوله نديم في جاهل لبس صوف وزهافيه:

أياكسي من جيّد صوف نفسه وب عرياً من كسّ فضلي ومن كسي
أترهى بصوف وهو لأمسّ مصبح عني نعيّة ولأنّ تمسّ عني تيس⁽²⁾

ويعرّض ابن خروف نقرطبي بالمهذب لآخوار الطبيب في مقطوعة يقول منها:

إنّ الأعرج حاز الضّ أجمعه أسْتَغْفِرُ اللهَ إلّا لعنم ولعنم

(1) عمر موسى باش قطب العصر عمر نيافي، مشورات اتحاد لكتاب العرب، دمشق 1933.

ص 245

(2) نديم، ص 237

وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِّنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الْجَوَاهِرُ وَالْأَعْرَاضُ وَالْعِبَالُ^(١)

وقد اشتملت بعض الآيات على ألفاظ ينبو عنها الذوق. لما فيها من كلام قبيح وطقن بالأعراض⁽²⁾، وقد خرج فيها بعض الشعراء عن الدين، باللفظ ومعنى لا تليق⁽³⁾.

وَأَمْ يَخْشَى شَعْرَ امْرَأَتَيْنِ مِنْ إِبْرِادِ الْحَكَمِ وَالْأَمْثَالِ. وَمَا تَحْصِيهِ مِنْ قِيَمِ جَمْعِيَّةِ وَثَقُفِيَّةٍ، وَاتِّصَالِ بِالزَّمَنِ، مِنْ ذَلِكَ مَا يُورِدُهُ ابْنُ سَرَّاقَةَ مِنْ حِكْمَةٍ حَتْمِيَّةٍ لِأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَدُ مِنْ وَقُوعِهَا عَنِ الرِّغْمِ مِنْ مَعَانِدَةِ مَرءٍ لَهَا:

مُرَادِي شَيْءٌ وَلِقْدِيرٌ غَيْرُهُ وَمِنْ عِنْدِ الْأَقْدَارِ لَا شَيْءٌ يُغْلَبُ⁴

كذلك ما يورده أثير الدين في القناعة، وعدم لبس المرء غير أثوبه، لأنه سيُعثرُ فيها.

رضيتُ كفا في ربّة ومعيّنة
فلا بُدَّ يوماً أنْ سيعثرُ فيها⁵⁾

ومن لأمثال التي وردوها. «سَبَقَ السَّيْفُ لَعْنًا»⁽⁶⁾ بتبديل بعض ألفاظه في قول

٢٠٠٠

فَبِعَدْلِيْ فِيْ جَنَّتِهِ لِحَصَّةِ أَتَعِزُّنِي وَالسَّيْفُ لِلْعَذْرِ قَدْ سَبَقُ⁷⁾

(1) عقد حرس (مختص ط)، 4، 4، 4.

(2) قطر مغرب، 1 137 انوفى، 22 91

(3) نظر مختصراً القذح، ص 210، 212

64 / 2. (4)

(5) نسخہ 2/363 الم تر د فی اندیون

(6) ميدني، أبو 'فصل أحمد بن يريم' مجمع لأمثار، تحقيق محمد أبو فضل إبراهيم، دار الحديث، بيروت - لبنان، ط 2، 1987، 2/ 97 فيقول هذا المثل صفة من أدلما لامة انفس عى قتل قتر به، وقد من عى القصصه عدم

(١) المغرب، 2 178

ثم ضياء لدين الحزرجي فيستخدم المثل: «قَبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ»⁽¹⁾ في لسطر الأول
تغيير بسيط في قوله:

وَمَثَرْتُ قَبْتُ ظَهَرَ امِجْنٍ لَهُ فَعَدْنَعُوْا قَدْرُ مُحْتَقَرٍ⁽²⁾

بين التأثير والتأثير

لا شك أن دراسة جوانب التأثير والتأثير بين شعر المشرقة وشعر لاندلسيين لذين
رتحو، من النقص التي تحتاج لدقة وتتبع، لأن الحدث قد لا يستطع لتمييز حيناً بين
لأثر لمشرقي أو لأثر المغربي في الشعر، لأنهم قد ينتفدين في الكثير من موطن، مما لا ينفي
نميز كل منهما بسمت خاصة، تحتاج إلى حس عارف، ومش هذه الدراسات لا تحو من
متعة، وتحتاج إلى سنفضة وبحث قنم بذاته. به لا يمكن هذه الجزئية أن نلّم معظم
حونه، إلا أن مثل هذه لإشيرات قد تفتح أبواباً لدراسات في الأدب لمقرن بين المشرق
والمغرب

اختارت الباحثة بعض النمدج من شعر مشرقة، وأخرى من شعر لاندلسيين
مرتحنين، لإبرر بعض جوانب التأثير المتبدد في لألفاظ والمعاني والصور، وسبقت ذلك
دراسة لمصارحت ومسجلات والمعرضات لأدبية بين المشرقة والمرتحنين ولاد من
لوقوف على تأثير المرتحنين بشعر المشرقة، لسائقين وتأثيرهم وتأثيرهم في شعر المشرقة
معصرين

تأثير الشعراء المرتحلين بشعر المشرقة السابقين

قبل لوقوف على جوانب التأثير المعاصرة، لابد من تبع بعض جوانب تتأثر بشعر
المشرقة الموروث، وهو ما يعرف بالسرعة الانبعية، وحتى لو لم يكن لاندلسيون
المرتحون مقلدين للمشرقة، فسوف يتبعون هذا الشعر شأنهم شأن المشرقة في ذلك
العصر، بالإضافة إلى أن المشرقة هم مثل لأعلى هم، مند نقرون لأولى، كم أشار ابن

(1) مجمع الأمثال، 2 490 يصرب هد مثل من كان يصاحبه على مودة ثم حد عن عهد

(2) ملء نعية، 3 47

بسام في مذخيرة بقوله. «إن أهل هذا لأفك لأدس - أبوا، لا متبعة أهل المشرق، يرجعون إلى خبرهم معتدة، رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعت بتلك الأفاق غراب، أو ضرباً أقصى الشام والعراق ذب، جثو إلى هذا صنم، وتلوا ذلك كتباً مُحْكَمَةً»⁽¹⁾.

فقد تأثر لشعر الأندلسيون بشعراء سابقين من لمشرقة، وأخذوا من صورهم ومعانيهم وألفاظهم، إذ كانوا يستحضرون أبياتهم ويحاكمونها، يقول ابن دحية واصفاً روضة مفرداً جمها بجمل قصيدة في الملك الكرم:

فم روضة غناء مرَّ به الصَّ بنشَّرَ شَذَاه الصَّيْبَ النَّشْرَ ذُعُ
له من شكير سدهر بُردُ مُفَوِّفٍ أتَيْحَ له من أرض صنعاء صانع
بأحسن من توشيح مدحى لذي به بدع من وثي لبديع ز صائع⁽²⁾

وكانه يستحضر قول الأعشى ميمون في وصف روضة مقداراً يهده بالمحبة:

م روضة من رياض احزن مُعْشِبُهُ خضراء جد عليها مُسْبِلُ هَطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكبُ شَرِّقُ مؤزَّر بعميم النبت مَكْتَهْلُ⁽³⁾
يوم ما طابت منها نشر راحة ولا بأحسن منها إزدنا الأصل⁽⁴⁾

أما ابن حمدون فيقول:

فؤادُ بَيْدِي الذَّبَابُ مُصَابُ وجفنُ لَفِيصِ الدَّمْعِ فِيهِ مَصَابُ
تَنَاءَتْ دِيرُ قَدْ نَفَتْ وَجِيرَةُ فهل لي إلى عَهْدِ الوَصْلِ إِيَابُ
فلم تُلْهِهِ دُنْيَاهُ عَنْ خَوْفِ رَبِّهِ ولا شَغْنَتُهُ عَنْ رِضَاهُ كَعَابُ

(1) للمذخيرة في محاسن أهل الخربة، تحقيق د. حسن عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، ج 1، ق 1، ص 17.

(2) عنوان اندرية، ص 277.

(3) كوكب شرق يشبه سور الكوكب (المشرقة وإصداه، لسان العرب، مادة (كوكب) مكتهل، اكتهل، استت ثم طوه، وظهر نوره، لسان العرب، مادة (كهل).

(4) ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مكتبة الشرقية للشعر، بيروت 1968، ص 9.

مصي زمني واستشيت حس بمفرقي وأبعد شيء أن يسرد شبيب⁽¹⁾
وهو ينهج في ذلك نهج أبي فراس في بئته المشهورة.

أما جميل عندك نوب ولا أسيء عندك متاب؟
نقد ضل من تحوي هواه خريده وقد ذل من تقضي عيه كعاب
ولا تميت حسناء قبي كلة وإن شملت رقة وشبيب⁽²⁾

يتبدى أثر غير مباشر لأبي تمام في شعر بن سعيد، لا سي في افتتاحيت قصائد أبي
تدم من مش قوله.

فدك تئب أريئت في الغموء كم تعذلون وأنتم سُحرائي⁽³⁾
وقوله في نداء:

كذ فديجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض مأوه عذر⁽⁴⁾
وشبيه ذلك قول بن سعيد في افتتاح قصيدة:

باعدل قمت وبشبح فين وجد لا فازقتك كفاية وعطء⁽⁵⁾
وقوله في افتتاح قصيدة أخرى يمدح فيها الملك الناصر.

(1) نفع، 609/2، 610.

(2) ديوان أبي فراس أحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1386، ص13، 14.

(3) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب تيزي، تحقيق: محمد عمدة عرم، دار المعرف، مصر، 1952، 1، 20. انتب سنج، النصار مدة. تاب. لغوء، الزيدة ومجودة احد، المعجم نوسيط، مدة غنوء، لشجرء لأحلاء والأصفياء. من نعت مادة سحر

(4) ديوان، 4، 79

(د) سنج، 263/2

جُدِّي بِمِ الْفَقْرِ خَيْرٌ مِنَ الْكَرَى لَا بُدَّ لِنُضِيفِ الْمَيْمِ مِنْ لِقَرَى⁽¹⁾
 كما ينثر من سعيد نيت لأبي تدم، يقول: «وقد شئى لملوك عندن سيره، خوفاً من أن
 يكون بشعره مضموناً، فيتعصب لنفسه أكثر من غيره»⁽²⁾. أما الأبيات المنشورة لأبي تدم فهي
 قوله.

جاءت من نضم النسيب فلادة سمطان فيها لنؤمؤ المكنون
 أخذتها صنف لالنسب يمده جفراً ذانصب الكلام معين⁽³⁾
 وسيء بالاحسب صفا لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون⁽⁴⁾
 ويأخذ ابن سعيد من معنى لابن المعتز، إذ يقول من وصفه لغلّام ندم تحت شجرة:
 التريخ قوود ما تكون فريش تبدي خديب الردف والأعكن⁽⁵⁾
 أما من لمعتر فيقول

لا تنق لا سيب من نؤ صله فالشمس تامة وليس قواد
 كم عاشق وضلام ليس يستره لاقى حنه وناس قواد⁽⁶⁾
 وهناك صدى في شعر بن سعيد لشعر امتيبي، خاصة في لعذب، ولعل معظم
 جنوب هذا التأثير بررت فيما كتبه لابن عمه وزير الحفصيين في تونس، وشعاره في

(1) معرب، 2، 70

(2) بريات، ص 182

(3) لخير بشر واسعة لقم، وتدم على معنى لعراره

(4) ديوان أبي تدم شرح التبريري، 3/ 328، 331

(5) لرب، ص 174

(6) ديوان ابن المعتز، و لعبس عبد الله بن محمد، تحقيق ودرسة محمد سعيد شريف، دار المعارف بمصر

922، 923

شبيبة، وراثته لوزير أبي علاء، دريس به لا يدخل ضمن هذه لدراسة لتعقها
بشعر المرتحين في مصر والشام.

وصمّن الشعراء المرتحون قصائدهم شطراً أو بيتاً من أشعار المشرقة من ذلك
قول بن لادن:

نه قوم يعشرون ذوي الحى لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتي قوم وإي منهم «جبلو على حب طراز الأول»²
وهو يضمن قول حسان بن ثابت في مدح:

بيض الوحوه كريمه أحسبهم ثم الأنوف من اطراز الأول
يغسون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن لسود المقبل³
ويضمن ابن حمدون في مدحه للرسول بيتاً كاملاً من قصيدة أبي فراس البنية،
هو

«فيتك تحمو والحيه مريرة» وبيتك ترضى والأنم غضباً

التأثر والتأثير بين الشعراء المرتحلين والشعراء المشاركة المعاصرين

أما بعض جواب التأثير وتأثير بين الشعراء المرتحين وشعراء العصر من المشرقة،
فقد تدت من خلال المشرقة موضوعية والفنية في مجالسهم، والتي عكست
المضارحات والمسجلات والمعرضات حوّن منها، وقد تداخلت الألفاظ والمعاني في
الكثير من الأحيان، بحيث يصعب جعل بعضها سمة فاصدة مميزة لشعر المشرقة أو شعر
لمغربة وحمت بعض هذه محاسن اراء وأحكاماً نقدية، وسيات فنية خاصة لشعر

(1) طر صفح، 2، 274، 278، 280.

(2) صفح، 2، 23.

(3) ديوان حسان بن ثابت لأبي، د. صار ودار بيروت، بيروت، 1966، ص 180.

المشاركة وشعر المغاربة. ومقارنت بينهما من خلال ما در بين شعرائهم، من ذلك ما وقع بين ابن سعيد والنهء زهير، فحبس أشد لبهاء زهير قصيدته التي مطلعها:

رُويْدَكَ قَدْ أَفْنَيْتَ يَا بَهْ أَدْمُعِي وَحَسْبُكَ قَدْ أَحْرَقْتَ يَا وَجْدُ أَضْلُعِي⁽¹⁾

أعجبه انفعاد ابن سعيد به، وأورد رأيه لابن سعيد في شعر المغربة بقوله: «وعدمك نشأت ببلاد ولع شعراؤها بالغوص عن المعنى، وزهدوا في عذوبة الألفاظ، وتلاعب بمحسن صيغتها المكسوة بأسرار الغرور»⁽²⁾ وأوضح له أن طريقة المغربة مثل قول ابن خفاجة.

وعشي أنس أضجعني شوة
خلعت عليّ به لأراكة ضئف
ولشمس تجنح للغروب مريضة
وقول الرصافي⁽⁴⁾
فيه تمهد مصجعي وتدمت
والغصن يصغي والحمام يحدث
ورعد يركي والحممة تنفث⁽³⁾

نزّل لم تنزل في لغزل جائدة
جذلان تنعب بالحوادث تملأه
بنؤه جوالان الفكر في الغزل
على الشدى لعب الأيام بالدول⁽⁵⁾
وهم في ذلك لا يشق غبرهم، ولا تسحق أثرهم» وما مثل قول ابن المعلم
أواسطي:

واستقبوا الوادي فأطرقت لهم
وتحيرت بغصونها كئيها

(1) ديوان لبهاء، ص 195

(2) الواقي، 14/213

(3) ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى عزي، دار المعارف بمصر، 1960، ص 285

(4) الرصافي محمد بن غالب الرقاء أبو عبد الله، شاعر وقته في الأندلس، أصله من رصاف بلنسية، كان يرفأ لبيت ترفع عن اسكسب شعره، أقدم مدة عرفة، سكن مارة وتوفي به سنة 572 هـ انظر وفيت لأعيان، 4، 42، 433

(5) ديوان الرصافي أبو عبد الله محمد بن غالب، جمعه وقدم له د. حسن عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1960، ص 122.

فَكَانَ عَرَفَتْ لَهُمْ بِقُدْرَةِ الْأَعْصَانِ أَوْ بَعِيْنِهِ الْغَزْلَانِ^(١)
وَقَوْنِ سَطِ بْنِ لُتَاعِيذِي.

بِذَلِكَ قُلْتُ جُرْتُ عَلَى ضَعْفِي يَقُولُ مَتَى
 وَ قَسْتُ تَبَعْتُ رُوحِي قَالَ لَا عَجَبٌ
 مَا قَسَمُ الْغَصْنُ مَيْالًا وَمَنْعَطُفٌ
 فَطَرَزَ لَا يَمُتُ بِهِ أَحَدٌ بِلَادَكُمْ⁽³⁾ أَيْ الْمَعْرَبَةَ.

إذ يرى لبهاء أن الأندلسيين أجهدوا أنفسهم في الغوص على المعاني على حساب الألفاظ التي لم تكن مكسوة بالعدوثة والتلاعب بمحسنها. ولم يذم طريقتهم، لكنه فضل أشعر المشاركة على أشعرهم لفثها، سحر اللفظ وعدوخته. ويرد عليه ابن سعيد بيراد أبيات من شعر ابن زيدون، فيثني عليه البهاء بصدق العشق. ثم يصلح البهاء من ابن سعيد حفظ شعر لتلغفري حتى تستقيم له طريقة المشرقة، ويختبره بعد فترة بأن يطيب منه إجازة شطر. ليشين مدى قدرته في تقسيم طريقة المشرقة والشر هو:

يَبْنُو دِي الْأَجْرُع

فیجیز ابن سعید:

سُئِلْتُ عَنْ حُبِّ الْأَدَمِ ع

فَإِذْ عَلِمَهُ لَمْ يَكُنْ فِي شَكٍّ مِّنْ طَرِيقِهَا، لَكِن طَرِيقَهُمْ أَن يَقُولَ:

هـر مِلَّتْ مَن شَوْقِ مَعِي

فقيره ابن سعيد على ذلك بقوله: «الحق ما عليه غطاء». حتى ينشده ابن سعيد قوله:

(1) 234, 233, 14, 10

(2) ديوان سببہ بن استعويدي، مسح و تصحيح د س مرحيوث، مطبعة نقطط، مصر 1903.

(3) لوافی. 234 / 14

و ضـوـر شـوـقي بـي ثـغـوـر مـلأى مـن الشـهـد والـرّحـيـق
عـنـهـا أـخـذت لـذي تـره يـعـدّب في شـعـري الرّقـيـق
فـيـر تـح لـهـاء لـذـك و يـقـول «سـكـت جـادّة لـطـريـق، مـا نـحـتـج إـلى دـلـيـل»⁽¹⁾.

إذن يرنح المغاربة إن استطاعوا الاقتراب من صربق المشدقة، لكن ذلك لا ينفي أن هم
طريقتهم خاصة، التي لا تخو من تأثير مشرقى، ولعن وقفنا على بعض سمات طريقته
في صورهم وما فيه من إعمال فكر، وإجهد في بناء لصور لشعرية و ستحضر المعاني.

ونعل استدقة حاولو تقيد طريقة مغاربة كذلك، من خلال لمطارحت، من ذلك
مايقوله نـور لـأشـعـردي في وصف حدى جندى في الشام وقد كن معه بن سعيد:

وَضُّ وَهْرٍ وَطَلٌّ وَارْفٌ وَشَدٌّ زَهْرٌ وَلَحْنٌ صِرٌّ فِيهِ نَصْطَخُبُ
كَأَهْلِ بَدْوٍ نَسْتَيْزُ بِهِمْ لَفْ غُصُورٌ زَهَتْ مِنْ تَحْتِهَا كُتُبٌ⁽²⁾

فأين هـذ من وصف بن سعيد لدروض لمطروز بأون شتى، ولطيور تغرد على
الأعصن في صورة بدعية مركبة⁽³⁾.

ولعل ابن عزى مقصدة قد تأثر بصور المغاربة للصبيعة وهو يصف جنة على مهر بردى
لاس سعيد، ويرسم من خلال ذلك صورة مركبة تقارب صور المغاربة، فالنهر حاك حبة
من الشوح، والريح يضوي على السمك لينشره، ويضوق النورق، يقول

فَسَهْرٌ قَدْ حَاكَ لَهُ حَبَّةٌ مِنْ صَبْغَةِ الدَّوْحِ بِهِ يَرْتَدِي
وَقَدْ ضَوَّى إِدْرِيحُ عَلَى الْمَسْكِ كِي يَفْوُحُ مِنْهَا نَشْرُهُ فِي غَيْبِ
وَطُوقٌ لِنُورَقٍ بِحَسَابِهِ وَلَثَمَ الشَّحَرُورُ بِالْعَسْحِدِ⁽⁴⁾

(1) بطر الحادثة والأبيات في النواقي، 14، 234، 235

(2) مقتطف، ص 157

(3) صر ان سه، ص 143، 144

(4) مقتطف، ص 158

لكن صور مغاربة أشد حبكاً، وهم أقدر على بناء الصورة الشعرية الضويلة الأكثر
تكاملاً

ونجد معي بعينها في بعض صور مشدقة والمعرية، فحينئذ كتب النور الأسعدي
إلى بن سعيد أورد بعض معاني في صور ابن سعيد حين خاطبه قديماً.

تصبر عن أرض ينوح حممها غراماً وتختار الغصون من لسكر
يمر ختلاسا في زبها نسيمها فأحسبه من روضها سرق لنشر
وقد البسته الريح تحكم نريده وألقت عليه الشمس درعا من أثر
لدى غذب الأعصن فوق فوارس الخيم وموج لنهر كاجتحمل المخبر^١

فهذه المعاني وردت عند ابن سعيد في حديثه عن روح الحمام وتغنيه، واحتيل
غصون وميل لخمائل والقاء شمس رداءه ندهي^٢، وليس لربط عرياً في البيت
لأخير بين شعر الطبيعة وحرب، فهي ظاهرة مشتركة بين مشدقة والمعرية لتتبدل
لطروف لسياسية، وقد تبيناه عند المغاربة في صورة الشعرية

ويورد أيدمر تركي في وصفه لجزيرة الصاحية وبركة الحبش، ما كان قد أورد
بن سعيد فيهم، يقول:

والصاحية حيث النهر عتقها كم قد قطعه من جد ومن لعب
وبركة لفي لا تنسى لياليها ولشمع فيها يضهي زينة لشهب^٣

وهو تردد بوصف بن سعيد شوق لنهر ومعنته لجزيرة الصاحية، وتجدد
لشوق بركة حبش ولبيانها^٤.

(١) المقتطف، ص ١٦٥

(٢) اصر، سيايات، ص ١٦٤-١٦٦ معرب، ٢ ١٦٦ لفتح، ١٢/٣٢٦

(٣) المقتطف، ص ١٦٢

(٤) اصر، لفتح، ١٢/٢٦٩-٢٧٥، الدراسة

وقد نجد تشبهاً في لفظ بضر لأيت عند مشرقة والمغاربة، يقول بن عز
المقصاة:

صِرْ وَوَاصِرْ مُسْرِعاً مُنْعِمٌ فَكأْسُ كَرٍّ وَقَفٍ بَأْيِدٍ⁽¹⁾
ويشبه في ذلك بيتاً لضيف الدين اخزر جي إذ يقول.

وَصِرْ وَصِرْ وَوَاصِرْ كَرٌّ وَنِوَةٌ عَلَى نَبِيٍّ سَلاماً طَيِّباً عَطِيراً⁽²⁾
لا نستطيع أن نحزم هنا من تأثر بالآخر، فلشعران تعاصر، وكانت وفاتهم
متقاربة، إذ توفي الأشعري سنة (689هـ)، وصيى الدين سنة (684هـ).

ومن حلال معارضة بين المشرقة والمغاربة، تتضح منزلة خاصة لقصيدة كعب
بن زهير في مدح الرسول ﷺ عند الأندلسيين، وقد أكدها أبو جعفر الإيبيري⁽³⁾ بقوله:
«وهذه القصيدة هـ الشرف الرسخ، ولحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشده كعب في
مسجده ﷺ حضرته وحضرة أصحابه، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه...
ولولاها لُبِغَ المدح والعزل، وقُصِّعَ من أُخْذِ اجوائز على لشعراء الأمل، فهي حُبَّةُ
شعراء فيما سلكوه، وملاك أمرهم فيما مَكَوداً»⁽⁴⁾.

ولعل الاحتفال بالمولد النبوي، والتغني بمآثر الرسول ﷺ بصورة كبيرة في الشعر
الأندلسي، جاء رد فعل لاحتفال النصرى بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام أن يقند
المسلمون النصرى في ذلك فالأولى بهم الاحتفال بمولد نبيهم ﷺ، وأسوان عنه.

(1) مقتطف، ص 158.

(2) من لعم، 3، 48.

(3) أبو جعفر الإيبيري أحمد بن يوسف بن ميث الرعيبي نعرنطي الإيبيري، رفيق بن حبر لأعمى،
وهو مشهور بالاعمى ولصير ولد بعد سنة 710هـ رحل مع صاحبه بن حبر إلى القاهرة
ودمشق. كان محباً في نظم وشر، توفي سنة 777هـ. انظر: نعيبة لوعدة، 1 403 انجوم
لراهرة، 11 89.

(4) عداحي بكري مصد حكومة لسنة لمسمى «ترتيب لإدارية» دار حياء أنترن، بيروت
سنة (دون تاريخ، 1 213 24).

وذلك ما جاء في مخطوطة الدر المنظم للعزفي السبتي، التي نشرها فرناندو في مجلة الأندلس الإنسانية، يقول لعزفي: 'أي بدعة فحش وسمج من أن يكون مسمون يحنفون ويستعدون لدحور شهر أو سنة من شهور لعجم وهم عداؤن، وإنه عديدهم على كفرهم بالله... فأي مودة تكون أين من تعظيم أعيادهم، وأي ولاية تكون أعظم من تشبه بهم والتفخيم لأمرهم، والمشاركة لهم في ضلالتهم وكفرهم، يا هـ من مصيبة ما أجها'. ومما فتن الأندلس فيه لسؤال عن مولد عيسى عليه السلام فكثيراً ما يتساءلون عنه، أو ليس كانوا بميلاد نبينا محمد عليه السلام أولى،⁽¹⁾ فجاءت الدعوة للاحتفال بمولد سيدي عليه السلام ليشتغل مسمين عن هذه البدعة، ويجدون ذلك عوضاً لهم، يقول: 'فأعمنت النظر، وأعمنت لفكر فيما يشعر عن هذه البدعة، ويدفع في صدره المنكر، ولو بأمر مباح ليس على دفعه حرج... فأهمني الله - سبحانه - أن أتبهم على أمر إذا تقرر لديهم، قامت لحجة عليهم. ديناً ودنياً، وانقطع العذر إذا تعوضوا منه أحسن عوض'. فنبهتهم على ميلاد سيدهم مصطفى سيد ولد آدم.⁽²⁾

ومن المعارضات الأخرى، معارضة ضياء الدين خورججي لمستمط خريزي في المقدمات، ويعكس هذا مكنة حاصة للمقدمات في لأدب الأندلسي. وقد نشر الكلاعي إلى ذلك عند حديثه عن مقدمات الحمد، منها على ما فيها من الإبداع والإحسان، وعلى غيرهما الجودة والفعامة⁽³⁾ أم مقدمات خريزي فقد كان اهتمام الأندلسيين بها أشد، لصلته بينهم وبين خريزي، وسميهم لها وتدارسهم إياها⁽⁴⁾ ومن أشهر شراحها أبو العباس شريشي (ت 619هـ)⁽⁵⁾ ومن شراحها أيضاً محمد بن عبد الله بن ميمون بن

(1) الدر المنظم في مولد انسي معصم، ص 28 - 29

(2) المصدر السابق، ص 32

(3) إحكام صفة الكلام، ص 198

(4) تاريخ الأدب الأندلسي في عصر طوائف والمصنف، ص 203.

(5) بشرى ثلاثة شروح عن المقدمات. شرح للإيضاح، وشرح عروض شعر وعين لقوي، وشرح

حمل، مت بشرى سنة 619هـ - عية لوعة، 1 - 331

دريس لعبدري القرطبي (-ت 567هـ) ومحمد بن أحمد بن سبيح الملقب (ت 6هـ) ⁽¹⁾.

وقد كن للأندلسيين تأثير في بيئتهم جديدة في مشرق، أوردن بعضها بصورة غير مباشرة، وعن أحصر تلك التأثيرات ما يتعلق بانتكار الموشحات والأزجال، ومدى تأثيره وتأثيره في المجتمع المشرقي. فقد حمل الأندلسيون المرتحمون هذه الفنون جديدة التي كان لها صدق في المشرق، وطوروا فيها آخذين من بيئة المشرق، فقدموا لبناء الفني الأندلسي، ممتزجاً بتأثيرات المشرق ومعطياته الاجتماعية، فتكون لون خاص من لأدب يحمل صورة جديدة من لتعبير ولتأثير.

فلموشحات فن أندلسي نقله المغاربة حينما كانوا يرثلون لأداء فريضة الحج، وتقاء عجم، مشارقة، فعرفوهم بوطه وفنونه وأدائه، وذلك ما يبينه ابن خلدون في سبق الأندلسيين وأوليتهم في استحداث هذا الفن، يقول: «وأما أهل الأندلس، فلم كثر الشعر في قصرهم، وتهبت مدحيه وفنونه، وبلغ التتميق فيه الغاية، واستحدث المتأخرون منهم فناً سموه بموشح، ينضمونه سبطاً أساطاً، وأعصاناً أغصاناً» ⁽²⁾. وقد نظم لمشاركة موشحات، وشهر من نظمها من شعرائهم بن سناء الملك، وشهاب لدين النعنفري، وابن العميف لندماسي، ووصف بن سعيد هذه الموشحات بالتكلف والمعدة في الصنع. كنه شمس عني بن سناء ملك في موشحته المشهورة.

حبسني رَفَعُ حَبَابِ النُّوْزِ عَنِ الْعَبْرِ ذَارِ
يَقْطُرُ بِمَسْنُوكٍ عَلَى كَفِّهِ فِي جِلْدَانِ ⁽³⁾

(1) عية لوعاء، 1، 147

(2) مصدر لسبق، 1، 25، 26

(3) تاريخ ابن خلدون، در لكاتب نبيبي، بيروت 1961، 1، 137

(4) تاريخ ابن خلدون، 1، 53

وبين بن سعد اختصاص المغاربة بهذا الفن، ويداعهم في سنده، في حين يرى أنهم لا يحسنون فن الدُّوَيْتِ¹ لاختصاصه بالمشاركة، حينئذ تُشدُّ دُوَيْتُ لِمَمْلَكٍ لِمَصْرٍ، وعلو بأن هذا لُصْرٌ لا تحسه المغاربة كما أن مشاركة لا تحسن موشحات ولازجاً كما بحسنها مغاربة، فهم يرون أن هم لسبق في هذا الفن، متفافرين به على المشاركة، واصفين موشحاتهم وأزجهم بالتكلف²، وقد تكون المعروضات لموشحات المشاركة من قبيل ثبت تقدم المغاربة في هذا الفن، من ذلك معروضة أثر الدين لابن لعفيف التمساني التي أشير إليها عند الحديث عن المعروضات.

وعمل من جديد في فن الموشحات، وتميز الأندلسيين بحصية متفردة فيه، استخدام محيي الدين بن عربي التوشيح في شعره لتصفوف كما في موشحته التي مطلعها:

سرُّ لأعيانٍ لاحت على الأكوان لــــطــــرــــين
والعاشقُ الغــــيرُ من ذلك في بحرانٍ يُــــيــــدي الأــــنــــين
نقــــوــــنُ والوــــحــــنُ أنــــه و البــــغــــنُ قــــد حــــيــــرة
مــــد نــــد البــــغــــنُ لم أدر مــــر بــــعد مــــر عــــيــــرة
وهــــيــــم لــــعــــنُ ولواحــــد لــــقــــرد قــــد خــــيــــرة³

كما ينسب لشعري دور لا يقل أهمية عن دور محيي الدين، وهو تطوير البناء الفني للموشحات، وتوسع في استعمالها⁴، من ذلك موشحته التي بعثها من القاهرة إلى شيخه بن سبعين في مكة، مطلعها.

- (1) دُوَيْت: وحدة شعرية ذات أربعة مصارع، برعى في الأوز ولثث منها على أقل قافية واحدة، وكل كل رائية عمن في مستقر، على شكل قصيدة مصعرة، يضر د ك من مصطلحي شسي، دوبر دُوَيْت في شعر عربي، دار الثقافة، بيروت 2002، ص 578
- (2) مقتطف، ص 228، 262
- (3) دوبر بن عربي، ص 80
- (4) شعر العصر، حسن وشعر في نصوص لأندلس، دار المعارف، مصر، ط 1، 1981، ص 321

قُرْ لَنَذِي مَلَكْنِي مُنْكَهُ وَغَبَّطَ اجْسَمَ بِالسَّقَمِ
لَوْلَا سَتَوَى قَرِيبِي مَنكُ وَبُعْدِي قَدْ كُنْ مَتُّ قَبْرِ لَغْرَامِ
يَا مَنْ سَرَى سَرَوَا فِي طَبْعِي أَنْتَ الْقَرِيبُ مِنِّي الْبَعِيدُ
وَمَنْ أَعْجَبَ الْأَشْيَاءَ وَأَنْتَ مَعِي وَعَشَقْنِي فَيَتْ كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ
وَأَنَا بَتَهْتَكُنِّي وَأَنْصِيبُ عِي غَرَامِي فَيَكُ دَائِمٌ جَدِيدُ⁽¹⁾

وتتميز موشحات الشُّشْتَرِي عن موشحات ابن عربي، بالتدفق لعطفي و لوجداني و لبلى لسهولة و البساطة في الألفاظ و المعاني، حتى تقترب من اللغة الدارجة، وفيها لاسبب الموسيقى لتدفق عن طريق استخدمه للأوزان مجزوءة، والألفاظ الموسيقية الموحية⁽²⁾، من ذل قوله:

كُنْ أَقْبَتْ بِقُرْبِي تَنْطَفِئُ نَبْرَانُ قَبِي
زَدْنِي لَوْ صِرْتُ هَيْبًا هَكَذَا حَالُ الْمُجِيبِ
لَا بُوَصِي أَنْسَى لَا وَلَا بِهَجْرِ أَنْسَى
لَيْسَ لِعَشْقٍ دَوَاءٌ فَاحْتَسِبْ عَقْلًا وَتَفْسًا
إِنِّي سَمِعْتُ أَمْرِي فِي أَهْوَى مَعْنَى وَحَسَا
مَا بَقِيَ لَأَتَّفِقَانِي حَبَسًا فِي الْحُبِّ نَحْبِي
يَنِي الْمَوْتُ رَضِي هَكَذَا حَالُ الْمُجِيبِ⁽³⁾

كما ستحدث لأندلسيون الأزجال نبي نسجوه على منول الموشحات لكن باللهجة لعمية الدارجة. و نسجوه على البحور خمسة عشرة⁽⁴⁾، و مما تميز به الأندلسيون في هذا.

(1) ديوان الشُّشْتَرِي، ص 229

(2) فوري عيسى شعر الأندلسي في عصر موحدين، الهيئة المصرية للكتاب، لإسكندرية، ط 1، 1979، ص 549

(3) ديوان الشُّشْتَرِي، ص 360

(4) تريبخاس خدون، 1، 157

هذا لفن، استخدام محيي الدين ومن بعده الشُّشْتُري الأزجُل في نظم الأدوار ولأن شيد
الصوفية^{١١١} لكن الشُّشْتُري توسع في نظمها بعد وقوعه على قبة الأزجُل، وعدم تكرار
هذه الظاهرة لدى محيي الدين بن عربي^(٢)

تنقل الشُّشْتُري بين مغرب وصر بلس ومصر ولساء، وحينها نزل لقهرة، اعتكف
بحور الأهر مدة من الزمن، ووصف حاله في زجله الذي يقول فيه.

مـ نـجـمـ خـيـعـاً مـثـي حـرقـتـه الكـاسـتـ والأذـنـان
مـعـتـكـفـ في جـمـعـ أـزـهـر تـحـتـي في شـقـ تـعـبـان
وـبـقـيـت عـاشـقـ مـهـتـك نـنـظـم الزـجـل والأوزان^٣

وتبدو أزجله في مصر مشرقية بحتة، تأخذ بعض الألفاظ المصرية، وتقرب من
صورة موشح وتختلفي منها الانقذاع العامة، يقول:

كـيـف يـسـلـو مـن قـد بـي عـسـن هـوـأه أو يـغـفـز
أشـغـف لـقـبـب حـبـه يـأهـل وذي و يـن العـيـشـلي^٤

فكلمة «وين» كلمة عربية بدوية تنطق في صحراء مصر في ذلك الوقت^(٥).

وحينه ينتقل الشُّشْتُري إلى لشم، يصق أزجله في أسلوب شامي، من أمثلة ذلك
قوله:

مـمـة تـحـيـي لـفـوس ومن شرب منها سكر

(١) سليم اخيو، موشحات لاندسية، نشأته ونظوره، قدمه نه إحصان عدس، مكتبة حبة، بيروت،
1965، ص 77

(٢) إحسان ولشعر، ص 321

(٣) انديو ن، ص 314

(٤) المصدر سديو، ص 366

(٥) علي سامي لشم، أبو الحسن الشُّشْتُري، مجلة المعهد مصري، مدريد 1953، عدد لأول، السنة
الأولى، ص 53

قد حدثت لي كالعروس ورأيتُ شمساً وقمرُ
 بالكَ نَكَرُ بُويحُ خي ومسيكُ السّر العجيبُ
 كي ينكشف لك عطف حتى تشهد لحبيب
 منك وفيت هـ كُر شئ ن كنت فاهم أو لبيب¹

«بانك» بمعنى إياك، شامية صرفة، و«بويح»، بمعنى بواح، لا تستخدم في المغرب
 ويستخدمها أعرب دية لشام²

قد أحسن الشُّشْري استخدام اللهجات المختلفة في أزجاله، فكان أندلسياً في
 الأندلس، ومر كُشْبُ في مر كُش، ومصرياً في مصر، وشامياً في لشام، مما جعل أزجاله تعبر
 بصدق إلى نفوس الناس، ويرددونها إلى يومنا هذا، خاصة في حضرات شاذلية مصر،
 وشاذلية دمياط خاصة، يتوارثون إشداد شعره وأزجاله جيلاً بعد جيل، وما زال
 الشُّشْري حُبَّ لشعراء إلى نفس أهل الشام، ينشدون موشحاته وأزجاله خلال شهر
 رمضان في ليلة القدر⁽³⁾.

هذه بعض جوانب لتأثير وتأثير بين شعراء مشدقة وشعراء المغاربة، التي تمتد
 وتشعب، بما لا يمكن هذه جزئية أن تُعبر معظم جوانبها، لأن الحدث ما إن يقف على
 جزئية فيها إلا وتفتح عليه أبواب جديدة متداخلة، مما يجعلها تتطلب دراسة مستقنة،
 تستقصي هذه الأجزاء بدقة وتببع

(1) لديور، ص 139، 140

(2) هو حسن الشُّشْري نصوبي لاندسي، مجلة معهد مصري، ص 155

(3) مرجع السابق، ص 156، 134

الختام

حاولت هذه الدراسة أن تقدم تصوراً واضحاً عن أحوال الشعراء النازحين في البيئة الجديدة في مصر والشام، من خلال تتبع تراجمهم وأشعارهم التي قالوها فيها، وتتبع أثر الارتحال بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها ما يلي:

- تميز دور الأندلسيين وفاعليتهم في المجتمع الجديد في مصر والشام في مناحي الحياة ومشاركتهم في الحياة الاقتصادية والعلمية والفكرية والأدبية.
- تقوم علاقة الشعراء المرتحلين مع السلاطين وكبار رجال الدولة من المشاركة في معظمها، على التكسب وطلب الانصواء والحماية، ولعل الظروف التي عاشوها وما فيها من ضنك ومشقة أدت إلى توجيه علاقاتهم وشعرهم السياسي هذه الوجهة.
- بروز أثر الغربة في نفوس الشعراء منه خلال شعرهم، وجعلها مبرراً لكل ما يلاقونه من مصاعب في ديار غربتهم، وتأثيرها في التعصب لأندلسيتهم بصورة واضحة.
- المفارقة بين آراء الشعراء المرتحلين في مصر وآرائهم في الشام، وعدم خلو الآراء تجاه مصر من التحامل والتجاوز أحياناً، على قلة المادة الشعرية التي تتحدث عن الشام وتصف مدينها إذا ما قورنت بوصف الرحالة الأندلسيين لها، وإشادته بها وبأهلها، وبحب الأندلسيين لها وتعلقهم بها.
- التفاعل بين الشعراء الأندلسيين والشعراء المشاركة في مجالسهم ومطارحاتهم ومساجلاتهم ومعارضاتهم، والتي كشفت عن آراء نقدية لكلا الطرفين في شعر

لآخر، كن بعضها يقوم على المجمة والارتجال، وينت تثر الشعراء المرتحين بشعر المشرق، وتثيرهم في إدخال فنون وأعراض وأساليب جديدة.

استطعت ألفاظ شعراء وصورهم معانيهم أن تحمى رؤية واضحة إلى حد ما عن أوضاعهم ونفسياتهم وارتباطهم بذوق عصرهم، وعضء الشعر في المشرق صبغة خاصة. كما تميزت صورهم بعمال الفكر في بنائها، وقدرتهم على البناء لأكثر تكماً دقة وتفصيلاً، وتفوقهم في ذلك على المشرق.

كشفت الدراسة عن تراجم لشعراء مرتحين وبعض أشعارهم من بعض المصادر المخطوطة، لم تورد لها المصادر المطبوعة، مما يؤكد وجود مادة كثيرة تحتاج إلى بحث وتقصر، وتحقيق المخطوط من هذه المصادر التي تحوي مثل تلك المدة الشعرية الغنية.

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

1. الإربلي، محاسن دمشق وحماماتها ومدارسها (ميكروفيلم)، رقم الشريط، 6692، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق.
2. سجل، سجلات المحاكم الشرعية بالقدس (ميكروفيلم)، رقم السجل 95، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.
3. ابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد الموصلي، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (مخطوط)، ج 1، ج 9، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.
4. ابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (مخطوط)، ج 4، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية.
5. ابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (ميكروفيلم)، رقم الشريط 7855، الأجزاء 5، 6، 7، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.
6. ابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (ميكروفيلم)، رقم الشريط 1045، ج 10، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.
7. ابن عبدالسلام، عز الدين أبو محمد، ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام (ميكروفيلم)، رقم الشريط 4605، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق.
8. ابن عربي، محمد بن علي محيي الدين، ديوان ابن عربي الكبير (مخطوط)، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.

9. عم لدر لفاشم بن أحمد مدني، قصيده من نظم علمه لندين ملقي، مجموع مخطوط (ميكروفييم) رقم لسريظ 38٠8، مكتبة لاسد موضيه، دمشق.
10. بن فضل الله، شعري، مسألت الأبرار في ثلاث لأمصار (ميكروفييم) رقم لسريظ 1520، لأحر ٠٨٠٠، مكتبة لجامعة لأردنيه، عمان.
11. محفوظات، محفوظات رئاسة لوزراء مسهبون، طبرو دفتر لقدس (ميكروفييم) رقم لسريظ 342، مكتبة لجامعة لأردنيه، عمان.
12. لغزي، أحمد بن محمد السمسار، فتح لمنعان في مدح نعان (ميكروفييم) مصور عن يمني، رقم شرط 31٠٢، مكتبة لجامعة لأردنيه، عمان.

المصادر والمراجع المطبوعة

القرآن الكريم

2. بن الأبرار، أبو عبد الله محمد بن عبدالله القصصعي، اعذب الكتاب، ط١، حقه وعلق عليه: د صبح الأشر، مطبوعات مجمع لغة العربية دمشق، 1961.
3. بن الأبرار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القصصعي، تحفة بقاء، ط١، تحقيق د. حسد عدس، در لعرب لإسلامي، بيروت، 1986.
4. بن الأبرار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القصصعي، تكمة لكتاب الصلة، عني نشره عزت اعطار حسيني، مكتبة خديجي، القاهرة، 956.
5. بن الأبرار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القصصعي، حنة السبر، ط١، تحقيق د. حسد مؤسس، الشركة العربية للصناعة، القاهرة، 1963.
6. انسلم مرعي حنف الله، لعلاقات بين خلافة الموحدية وشرق لإسلامي، دار معارف، القاهرة، 1985.
7. برهيم أيس، المعجم وسيط، در معارف، مصر، 1973.
8. بن لأثير، ضياء الدين بن لأثير، مثل اسنر في أدب لكاتب و شعرو، 2، تقديم وتعبو، أحمد حوفي وندوي طانة، دار هصة مصر، القاهرة، 1973.
9. ابن لأثير، عز لندن أبو حسد عي بن عبدالله واحد، التاريخ نباهر في لولة لأتاكية الموصل، تحقيق عبدالقادر طيب، در الكتب احديثة، القاهرة، 1963.

10. سن لأثر، محمد ندين أبو لسعادات مبرك بن محمد الحزري، جمع الأصول في أحاديث لرسول، ط2، تحقيق عبد القدوس رؤوف، در لفكر، بيروت، 1983.
11. د حسن عدس، تاريخ لأدب لأندلسي في عصر اصطوائف والمرطبن، در ثقافة، به وت سان، ص5، 978.
12. د إحسان عباس، (رحلة ابن عربي كما صورها قانون التأويل)، محلة أحدث، لسنة 21، العدد (2 4)، 1968.
13. أحمد بدر، در ساب في تاريخ لأندلس وحصرتها، من الفتح حتى الخلافة، دمشق 1969.
4. أحمد صادق سعيد، (مصر في عهد لأبوسين والملك)، محلة در سات عربية، السنة 15، العدد 6، 1979.
15. أحمد فكري، فرضة في لعصر الإسلامي تاريخ وحصره، مؤسسة شبيب الجامعة، لإسكندرية.
16. لإدرسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، صفة المغرب وأرض اسود ومصر ولأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، مطبعة بريس، لندن، 1968.
17. لإدرسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، انقارة الإفريقية وجريرة الأندلس، مقبس من نزهة مشتاق، تحقيق، إسبيل لعربي، ديوان المطبوعات لجمعية، اجز ثر، 1983.
18. أرشد بن بوس، اقوى اسحرية ولتجارية في حوص البحر لمتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مرجعة: محمد شفيق، مكتبة النهضة، القاهرة، 1960.
19. أسمة بن منقذ، السديع في عد الشعر، ص1، تحقيق: عبيد مهت، در الكتب العنمة، بيروت، 1987.
20. سبن لاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمه عن الإسلامية: عبدالرحمن دوي، وكنة لمطبوعات، الكويت، ودار القلم، بنان، 1979.
21. أشاخ، يوسف أشاخ، تاريخ لأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، ترجمه ووصع حواشيه: محمد عبدالله حذر، مؤسسة الخاسجي، القاهرة، 1958.
22. لاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جبر عبدالعل، مرجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشد القومي، القاهرة، 1961.

23. بن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأئمة في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رعد، مكتبة حناة، بيروت، 1965.
24. حسن تاريخ لإسلامي، صفيه هادي وهزاد، رسم خرائطه سمير وكوك، ترجمه وحققه، إبراهيم حورنيد، مطبوعات جامعة برستون، 1954.
25. الأعشى مبدون، ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسن، المكتبة الشرقية بشر، بيروت، 1968.
26. كرم حسن العلبي، التقويم، ط 1، مؤسسة لمصادر، بيروت، 1991.
27. البدر، أبو البقاء، عبد الله بن محمد، نزهة الأدم في محسن الشام، المكتبة العربية، بغداد، 1341 هـ.
28. ابن سنام، أبو الحسن علي بن سنام شتريني، الذخيرة في محسن أهل الجزيرة، تحقيق د إحسان عيس، دار لثقافة، بيروت، 1979.
29. بن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم لؤي، رحلة بن بطوطة المسماة (تحفة لُنطاري عربي لأمصار وعجب الأسفار)، ط 4، تحقيق علي استصر الكتني، مؤسسة برسله، بيروت، 1985.
30. لبكري، أبو عبيد بكري، جغرافية الأندلس وأورو - من كتب المسالك والممالك، ط 1، تحقيق عبد الرحمن الحججي، دار لإرشاد، بيروت، 1968.
31. بلوي، خالد بن عيسى، تاج المشرق في نعمة عبيد المشرق، تحقيق وتقديم الحسن بن محمد السائح، مصبعة فضلة، لمحمدية، المغرب.
32. بيمين نُصلي، رحلة بنيامين النُصلي، قدم له عمر حداد، بغداد، 1945.
33. سُهاء زهير، ديوان المهدي زهير، در صدر ودر بيروت، بيروت، 1964.
34. لبهائي، علاء الدين علي بن عبد الله، مطبوع بدور في مدزب السرور، ط 1، مصبعة دار لوض، لقاهرة، 1299 هـ.
35. النُحيسي، القاسم بن يوسف سستي، مستفاد الرحلة والاعترا، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ائدار لعربية للكتتاب، ليبيا وتونس، 1957.

- 36 لتر مدي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سس الترمذي، ط1، تحقيق أحمد محمد شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.
- 37 ابن تعري بردي، جمال الدين يوسف الأتباتكي، اسجوه الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار مكتب العلمية، القاهرة، 1942.
- 38 أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام، بشرح خطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزيم، دار المعارف، مصر، 1957.
- 39 الشُّكْنِي، أبو عباس أحمد بن أحمد، نيل لابتهاج بتطير الديباج، عباس بن عبد السلام بن شعرون، القاهرة، 1357هـ. و مكتب ذيل نكتب الديباج للذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لاس فرحون.
- 40 ابن حبيب، رحمه بن حبيب، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1959.
- 41 ابن الجوري، شمس الدين أبو المظفر قزويني، لشهير بسبط بن الجوري، مراة الزمان في تاريخ لأعين، ط1، مطبعة مجلس دار المعارف عثمانية بحيدرآباد، امكن، اهند، 1953.
- 42 احبب الحنحبي، (سياسة الملية للدولة البريطانية)، المتقى رابع لإساني لتونسي، مدريد، 1983.
- 43 ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر، سدر لكمة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار مكتب الحديث، القاهرة، 1966.
- 44 حسن بن ثنت، ديوان حسن بن ثنت الأنصاري، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1966.
- 45 حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967.
- 46 حميري، محمد بن عبد المنعم حميري، روص لمعطار في خير الأقطار، ط2، تحقيق: د. حسن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984.
- 47 حنيلي، أبو اليمن القاصي مجير الدين، الألس الجليل بتاريخ القدس و خليس، مكتبة محتسب، عن الأردن، 1973.

48. ابن الحوارني، عثمان بن أحمد، الإشارات إلى أماكن الزيارات، تحقيق: ساسم الجري، مكتبة العربي، دمشق، 1981.
49. أبو حبان، محمد بن يوسف أثير الدين، ديوان أبي حبان الأندلسي، ط1، تحقيق أحمد مصبوب وخديجة الخديشي، مطبعة العدني، بغداد، 1969.
50. ابن خطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، لإحاطة في أخبار غرطة، ط1، تحقيق: محمد عبد الله عذر، مكتبة المنحجي، القاهرة، 1974.
51. ابن خطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، تاريخ إسبانيا الإسلامية مسمى (أعمال الأعلام)، تحقيق يحيى برفسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956.
52. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، المكتبة الكمية، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963.
53. ابن خطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، لمحة البدرية في الدولة البصرية، ط2، منشورات دار لافوق الجديدة، بيروت، 1978.
54. بن حفاقة، ديوان بن حفاقة، تحقيق: السيد مصطفى عازي، دار المعارف بمصر، 1960.
55. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، تاريخ بن خلدون، دار الكتب اللبنانية، بيروت، 1961.
56. بن حلكر، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، وفيت لأعيان وثبائن الرما، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.
57. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة العصرية، صيد بيروت.
58. لذهبي، لحفظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، المعبر في خبر من غير، ط1، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوي رغوب، دار لكتب العلمية، بيروت لبنان، 1985م.
59. بن رُشد الفهري السبتي، ملء عينه به جمع بطول بعينه، في الوجهة الوجهية إلى مكة وطبقة، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوخة، لشركة اتونسية لتوزيع، تونس، 1981.

- 60 لرّصدي، محمد بن عبد الرّقاء، ديوان الرّصدي، ط1، جمعه وقدم به. د. إحسان عدس، در اشفافه، بيروت، 1962.
- 61 لرّعبي، أبو الحسن علي بن محمد، رنماج شيوخ الرّعبي، حققه: إبراهيم شيوخ، وزارة اشفافه والإرشاد القومي، دمشق، 1962.
- 62 بن الربير، أبو جعفر أحمد بن الربير، صلة نصبة، مكتبة الحياض، بيروت، 1937.
- 63 ابن أبي زرع، علي بن أبي زرع الفاسي، الأيس المطرب بروض القراطس في أخضر منوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، در المنصور للطبعة، الرباط، 1972.
- 64 س أبي زرع، علي بن أبي زرع الفاسي، لذكيرة أنسية في الدولة المرينية، در المنصور للطبعة، الرباط، 1972.
- 65 الرركبي، خير الدين الرركبي، لأعلام، ط9، دار لعدم للملايين، بيروت، 1990.
- 66 سبط بن العاويدي، ديوان سبط، بن العاويدي، نسخ وتصحيح د. س مرجليوث، مصبعة المقتطف، مصر، 1903.
- 67 سحرسى، أبو محمد لقسم بن عبد عريز، امتزع البديع في تجنيس أساليب السبع، ط1، تقديم وتحقيق علاز الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980.
- 68 اس سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي، مختصر لفتح المعنى في لتاريخ المحلي، ط2، اختصره أبو عبد الله محمد بن خليل، تحقيق: إبراهيم لأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.
- 69 ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي، ربت المبرزين وغديت المميزين، ط1، تحقيق: محمد رصوان ادايه، د: طلاس بدراسات، دمشق، 1987.
- 70 ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي، المرقصات المطربات، دار حمد ومحيو، بيروت، 1973.
- 71 بن سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ط2، تحقيق: د شوقي صيف، دار المعارف بمصر، 1964.
- 72 س سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، لقسم الخاص مصر، قدم به ركي حسن وآخرون، مطبعة فؤاد لأون، مصر، 1953.

- 73 س سعيد، عبي بن موسى بن سعيد المغربي، لمقتطف من أراهر لطريف، تحقيق، سيد حنفي حسين، هيئة مصرية للكتاب، مصر، 1983.
- 74 سيمه الخمو، موشحات لأندلسية نشأت وتطورها، قدم له د. حسن عباس، مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- 75 سبيلان لعضار، لحيا و لشعر في تصوف لأندلس، ط1، دار المعارف، مصر، 1981.
- 76 لسيد عبد العزيز سام، وأحمد مختار العبدى، تاريخ لبحرية الإسلامية في حوص البحر لأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
- 77 لسيوسي، جلال الدين لسيوسي، بغية اوعاة في طبقات لغويين ونحة، ط2، تحقيق محمد أبو لفصل برهم، دار لفكر، القاهرة، 1979.
- 78 لسيوطي، جلال الدين سيوسي، حسن لحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة موسوعات بمصر، 1321 هـ.
- 79 الشاب لطريف، شمس لدين محمد بن سيد بن لعيف لتدسيني، ديوان اشاب، لطريف، تحقيق شكر هادي شكر، مصبعة انحف لأشرف، لعراق، 1967.
- 80 أبو شامة، شهاب لدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تراجم رجال اقرنين لسدس ولسبع هجريين، ط2، لعروف بلذيل على الروضتين، عني بنشره وصححه، عزت اعطار الحسيني، دار الحيل، بيروت، 1974.
- 81 أبو شامة، شهاب لدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، اروضين في أخبار الدولتين امورية والصلاحية، عني بنشره عزت اعطار الحسيني، دار الحيل، بيروت.
- 82 اشريتي، أبو لعباس أحمد بن عبد المؤمن، شرح مقدمات خريري، تحقيق، محمد أبو لفصل برهم، مؤسسة لعربية الحديثة، لقاهرة، 1976.
- 83 شُشُتري، عبي بن عبد الله الميري أبو الحسن، ديوان أبي الحسن لشُشُتري، ط1، تحقيق د عبي سامي الشدر، دار المعارف، الإسكندرية، 1967.
- 84 لصعدي، صلاح لدين حليل بن أبك، توشيع اتوشيع، ط1، تحقيق أبهر حبيب مطلق، دار لثقافة، بيروت، 1966.

- 85 لصعدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، فضح الختم عن اتورية والاستخدام، ط1، تحقيق محمد بن عبد العزيز الحناوي، دار لطبعة المحمدية، مصر، 1979.
- 86 لصعدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، كُت هميان في نُكْت لعميان، وقف على طبعه أحمد ركيك، للطبعة الجبلية بمصر، 1911.
- 87 الصعدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الو في بالوفيات، ط2، باعتناء هدموت ريتز، فرنز شتينر فيسسدن، 1962.
- 88 صلاح الدين السُّح، المشرف في نضر المغربة والأندلسيين في اقرون موسى، دار نكتب الحديد، بيروت، 1963.
- 89 أبو الحسن، أمية بن عبد العزيز لداني، ارسانة امصرية، نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون، مطبعة جنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1370 هـ / 1951 م.
- 90 صاء، شاء، لأندلس لداهاة، تعريب، عبد الرحمن ارشيدات، وزارة لشقفة، عم الأردن، 1989.
- 91 طلعت غنام، أضوء على التصوف، عالم لكتب، القاهرة
- 92 عدد ريتون، «أضوء على علاقات لتجارية بين السلطنة الأيوبية وجمهورية البندقية»، بحث في مجلة الدراسات لتاريخية، جامعة دمشق، سوريا، 1980.
- 93 بن عبد حق، عبدالمؤمن بن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء لأمكنة والبقع، تحقيق، علي محمد اسجوي، دار نجيب، بيروت.
- 94 عبد الحفي نكتاني، نظام لحكومة لبوية لمسمى «التراتب الإدارية»، در حياء التراث، بيروت لبنان
- 95 عمري، محمد بن عي بن أحمد، رحلة اعبدري امسمة «الرحلة مغربية»، تحقيق محمد عسي، وزارة لدولة، الرباط، 1968
- 96 بن عبد لسلام، عز لدين أبو محمد، ترغيب أهل الإسلام في سكنى لشم، ط1، تحقيق، محمد شكور، مكتبة منار، لوزرقاء لأردن، 1987.
- 97 عبد لعزير الأهوي، بن سناء امك ومشكنة العقم والانتكار، ص2، دار لشؤون لشقافية، بعد د، 1986.

- 98 بن عبد الجبار، كمال الدين بن أبي جردة، معية الطب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، 1988.
- 99 بن عذري المراكشي، البيان مغرب في أخبار ملوك الأندلس ولعرب، عبي شره، مؤسس هويي مرادة بمساهمة مع محمد بن تويت، دار كريباديس للطباعة، تصوان، لعرب، 1960.
- 100 بن نعري، أبو بكر محمد بن عبدالله، أحكم القرب، تحقيق على لجوى، عيسى الببي الحسي، در إحياء التراث، القاهرة، 1957-1959.
- 101 بن عربي، محمد بن علي محيي دين، روح القدس في محاسة انفس، مكتبة عبد الوكيل لدوري، دمشق، 1965.
- 102 بن عربي، محمد بن علي محيي دين، افئوحات المكية، دار صدر، بيروت.
- 103 عز الدين أحمد موسى، نشاط الاقتصاد في مغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1983.
- 104 انعري سني، «اندلس في مؤند السوي المعظم»، مخطوطة نشره فرناندو في مجلة Al-Andalus De Las Escuelas De Estudios Arabes De Madrid y Granada, Fasc 1, 1969.
- 105 ابن عسكرك، الحافظ أبو القسم عبي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: صلاح الدين المسجد، مجمع العلمي بدمشق، 1954.
- 106 اعسقلاي، أحمد بن عبي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: عبدالعزيز الدر وأحرين، دار الفكر، بيروت.
- 107 العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، كتب الصنعتين، ط 2، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العممية، بيروت، 1984.
- 108 علي أحمد، الأندلسيون والمغربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط 1، دار ضلاس، دمشق، 1989.
- 109 عبي أحمد، دور لفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي منذ نهاية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن لتاسع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1980.

110. عبي الحبيب، نحدث لأدب تصوفي بين الخلاخ وبن عربي، دار المعرف، القاهرة، 1404هـ.
111. عبي سامي النشار، «بو حسن نشسترى الصوفي الأندلسي أثره في علم الإسلام»، مجلة معهد لدرست للإسلامية، لأول، السنة الأولى، مدريد، 1953.
112. عبي سامي النشار، «بو الحسن الششتري، صوفي أندلسي مجهول»، مجلة الأدب، العدد التاسع، السنة الثالثة، الشام، بيروت، 1944.
113. العماد الأصمهاي الكاتب، الفتح ابقسي في لفتح القدسي، تحقيق وشرح محمد محمود صبح، الدار القومية، القاهرة، 1965.
114. ابن العماد الحنبل، أبو الفلاح عبدالحلي، شذرت الذهب في أخبار من ذهب، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1979.
115. عمر موسى باشا، قطب لعصر عمر ابي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1993.
116. بن عنين، شرف الدين محمد بن نصر الله بن الحسين، الأنصاري، ديوان ابن عنين، ط2، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، 1959.
117. بن غالب، محمد بن أيوب، «قطعة من فرحة لأنفس» نشرت في مجلة معهد المخطوطات، المجلد الأول، العدد الأول، القاهرة، 1955.
118. العبريني، أبو العباس أحمد بن عبدالله، عنوان اندراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق: عدل نويهض، لجنة التأليف والترجمة ونشر، بيروت، ط1، 1969.
119. ويد حماد، العلاقات بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، دار المعرف بمصر، 1980.
120. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عبي، لمختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، 125هـ.
121. ابن لفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن العرات، تحقيق: قسطنطين زريق، جامعة بيروت، 1942.

122. "أبو فراس، الحدث بن سعيد بن حمدان التغلبي، ديوان أبي فراس حمداني، ط2، شرح وتقديم: عدس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1986.
123. ابن فضل الله العمري، مسانك لأبصار وممالك الأمصار (مكتبة مصر و نشم والحجاز و يمين) تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد لفرنسي للآثار شرقية، القاهرة، 1985.
124. فوزي عيسى، لشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ط1، لهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1979.
125. ابن لقاضي، أبو العباس أحمد بن محمد مكدي، درة لجل في أسماء ارجح، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، 1971.
126. القراطحي، أبو الحسن حازم قراطحي، مهاج سلعة وسراح لأدباء، تقديم وتحقيق محمد لحبيب بن خوجة، دار الكتب شرقية، تونس، 1966.
127. نقشبتي، أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأردني، تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان، في كرمات الشيخ أبي مروان، تحقيق وتعليقات فرنندو دي لاجرانجا، منشورات المعهد المصري لدراسات الإسلامية، مدريد، 1974.
128. لقصادي، أبو الحسن عبي بن محمد، رحمة القلصدي، دراسة وتحقيق، محمد أبو لأحن، لشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987.
129. نقفشدي، أبو لعباس أحمد بن علي، صحح الأعشى في صناعة الإشت، ط1، شرح وتعليق محمد حسن شمس لدين، دار كتب العلمية، بيروت، 1987.
130. كامل مصطفى اشبي، ديوان الدوييت في الشعر العربي، دار الثقافة، بيروت، 1972.
131. مكتبي، محمد بن شاكرو، عيوب لتوزيع، تحقيق: د فبصل لسمر ونبية عبدالمعمر، دار ارشيد بشر، العراق، 1980.
132. مكتبي، محمد بن شاكرو، فوات الوفيات والذيل ليه، تحقيق: د. إحسان عبيس، دار صدر، بيروت، 1973-1974.
133. بن كثير، أبو لفداء الحفظ ادمشقي، لبداية و لهية، ط3، دقق أصوله وحققه: أحمد أبو ميم و آخرون، دار لكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.

134. كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير بشرح أبي سعيد السكري، (نسخة مصورة عن طبعة در ككتب)، القاهرة، 1950.
135. الكلاعي، محمد بن عبد الغفور، حكم صعة لكلام، تحقيق. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966.
136. نيفي بروفنسر، أدب الأندلس وتاريخه (سلسلة محاضرات)، ترجمة: محمد شعيرة وعبد الحميد العبدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951.
137. بن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد لقزويني، سنن بن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، القاهرة، 1975.
138. محمد جابر الأنصاري، تتفعل الثقافي بين الشرق والمغرب في آثار ابن سعيد المغربي، ط 1، در غرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
139. محمد حسن ل. يسير، معجم لسانت و لزراعة، مطبعة مجمع العلمي لعراقي، بغداد، 1986.
140. محمد رضا الشيباني، أدب مغربة و لأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه لعربية، معهد الدراسات لعربية لعالية، القاهرة، 1961.
141. محمد رغبول سلام، الأدب في لعصر لأيوبي، دار المعارف مصر، 1967.
142. محمد رغبول سلام، تاريخ النقد الأدبي من لقرن الخامس إلى القرن العاشر هجري، در معارف بمصر، 1960.
143. محمد عبد عني حسن، بن سعيد المغربي، مؤرخ لرحالة الأديب، مكتبة لأنجو مصرية، القاهرة.
144. محمد عبد الله عنان، لأعلام لجغرافية والتاريخية لأندلسية بالعتين الإسبانية ولعربية، مطبعة لمعهد لمصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1976.
145. محمد عبد الله عنان، عصر ترابطين واموحدين في المغرب ولأندلس، ط 1، مطبعة لجنة لتأليف، القاهرة، 1964.
146. محمد عبد الله عدن، مهية الأندلس وتاريخ العرب لتتصيرين (دولة الإسلام، لعصر لربيع)، ط 2، مطبعة مصر، القاهرة، 1958.

147. محمد كرد عي، حطط لشاء، ط3، مكتبة لنوري، دمشق، 1983.
148. محمد بيب أنتوني، رحبه الأندلس، ط7، مطبعة لكشكول، القاهرة، 1927.
149. المر كشي، عبد لو حد المر كشي، لمعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، صححه وعنى عى حو سبه، محمد سعيد لعين ومحمد العربي، مطبعة لاستقامة، القاهرة، 1949.
150. مر كشي، محمد بن عبد ملك الأوسي أبو عبدالله، الدليل والتكملة لكاتب الموصول واصله، تحقيق: د إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965.
151. مسلم بن الحجاج لقشيري النيسابوري، صحيح مسلم شرح لإمام محيي الدين نونوي، مسمى لمنهاج، ط1، تحقيق: لشيخ خليل مأمون شبحن دار المعرفة، بيروت، 1994.
152. بن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد، ديون بن المعتز، تحقيق ودراسة محمد بديع شريف، دار المعارف بمصر، 1977.
153. لقري، أحمد بن محمد لتساني، فح لطيب من غصن الأندلس لطيب، تحقيق: د. إحسان عيس، دار صدر، بيروت، 1968.
154. المقريري، أحمد بن عي، سنوك لمعرفة دول الملوك، ط2، صححه ووضع حو شيه محمد مصطفى ربة، مصعة لجنة التأليف، القاهرة، 1956.
155. مقريزي، أحمد بن عي، المواعظ ولاعتبار بذكر الحطط والآثار، المعروف (بالخطط بقريية)، دار صدر، بيروت.
156. بن مطوز، أبو لفصل جمال الدين، لسان العرب، دار صدر، بيروت.
157. بيدق، أبو لفصل أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثل، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احين، بيروت، لبنان، 1987.
158. لندصري، أبو لعيس أحمد بن خند، الاستقص لأخبار دول المغرب لأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.
159. حدة باش، لتحدة في المغرب لإسلامي من القرن الرابع إلى القرن لثامن المجري، منشورات احمة التونسية، 1976.
160. اسعيمي، عبدالقادر بن محمد، لدرس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسن، مطبعة الترقي، دمشق، 1948.

161. الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، لإشارات إلى معرفة لزيارات، تحقيق حنين
سوردين، المعهد الفرنسي، دمشق، 953
- 162 هشم أبو رمية، علاقة موحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية، ط 1، در
نفران، عمان، 1984
163. بن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين
شيار، وزارة المعارف، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953
- 164 بن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين
الشال، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1957.
- 165 بن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسين محمد
ربيع، تصحيح: سعيد عشور، دار الكتب، القاهرة، 1972
- 166 بن وردى، سراج ندين أبو حفص عمر بن وردى، خريدة عجائب وفريدة
عرائف، ط 2، مطبعة ادبي الحسي، مصر، 1939
167. لوشرسي، أحمد بن يحيى، معيار المغرب والجمع معرب عن فتوى عمه، فريقه
والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد الحجي، دار عرب
الإسلامي، بيروت، 1981
- 168 نياضي، عبد الله بن سعد النديفي، مرة الجنان وعبرة ليقطان، مؤسسة لأعمي
بمطبوعات، بيروت لبنان، 1970.
- 169 -قوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، در حياء النثر، بيروت.
- 170 -قوت حموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955
- 171 يوسف شكري فرحان، عنونة في طلبة الأحرار، ط 1، مؤسسة الجمعية للدراسات
ونشر، بيروت، 1982
- 172 أبويني، قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرة لزمان، ط 1، مطبعة مجلس در المعارف
العثمانية بحيدرآباد، مكن، الهند، 1961

المراجع الأجنبية

- 1 Atkinson William, C. A History of Spain and Portaga. Harmondsworth, Penguin Books, Reprinted 1967.
- 2 Bertrand Louis The History of Spain, Printed in Eyre and Spottiswoode, London., First Publisher 1934.
3. Cailagnan, Joseph F.O A History of Medieval Spain, First Published by Cornell University, 1975, Forth Printing in United States of America, 1992.
- 4 Harvey, I.P Islamic Spain, 1250 1500, The University of Chicago, and London 1990
- 5 Imamuddin, S M . A Political History of Muslim Spain, Dacca Pakistan, Second Edition 1969
- 6 Imamuddin, S M Economic History of Spain and Umayyad, Asiatic of Pakistan, Dacca, 1963

الملاحق

ملحق رقم (1)

ملحق بتراجم الشعراء الأندلسيين المرتحلين إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري مرقبة هجائياً حسب الاسم الأول

1. أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى أبو العباس الشريشي، من أهل شريش التقى به ابن الأبار سنة (616هـ) في إشبيلية، ثم ارتحل بعد ذلك إلى المشرق، ثم عاد إلى الأندلس وتوفي بشريش سنة (619هـ)⁽¹⁾.
2. أحمد بن فرح أبو العباس شهاب الدين، أسره الفرنج سنة (646هـ) قدم مصر سنة بضع وخمسين وستائة، وقيل إنه تمذهب للشافعي، سمع بدمشق من ابن عبدالدائم، ومولده سنة (625) بإشبيلية، توفي سنة (699هـ) ودفن بترية أم الصالح بدمشق⁽²⁾.
3. أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر بن المعلّى أبو جعفر المعافري من أهل مالقة، كان حافظاً للقرآن الكريم، ولديه معرفة بأطراف من العلم، فيه ذكاء وفطنة، وعنده حدة في المزاج إذا بحث وناظر مع الفقهاء، التقى به ابن الشعار الموصلي بحلب، وهو يتردد إلى مدرسة بني أبي عصرون فيها⁽³⁾.
4. أحمد بن محمد بن مُفرّج الإشبيلي، جوال بالبلاد المغربية والمشرقية، كان متعلقاً بالأدب، اشتهر باهتمامه بالنباتات ووقف على أسائها وصورها بالمشرق، أكثر من وصف دمشق ومحاسنها، عاد إلى إشبيلية توفي بها سنة (631هـ)⁽⁴⁾.

(1) المغرب، 304/1، النفح، 2/115-116 و3/64.

(2) الوافي، 286/7، النفح، 2/528-531. الشذرات، 5/443-444.

(3) عقود الجمان (مخطوط)، 1، ورقة 231-232.

(4) اختصار القديح، 181. الإحاطة 1/207-214. النفح، 2/596-598.

5. إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي الألبدي، لمقب في ابندان لمشرقة برهان الدين، سمع بمكة ودمشق وأم بالصخرة المشرفة، كان فصلاً صائحاً شاعراً، توفي سنة (656هـ) ⁽¹⁾.
6. الحسن بن علي، أبو علي بن عصم الدولة بدر الدين بن هود الجذمي، مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمئة بمرسية، حج ودخل اليمن وقدم الشام، توفي سنة (699هـ) ودفن بسفح المقطم ⁽²⁾.
7. أبو حسن الميورقي، من أقرب بعض موك المعرب، كان من لفضلاء نعيم الأدب، به مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ورعي جيء به مع الأسرى الذين أتى بهم صرنج إلى ساحل لشم بعد احتلال جزيرة ميورقة سنة (627هـ)، توفي سنة (655هـ) ودفن بقاسيون ⁽³⁾.
8. حميد بن أبي محمد عدله بن الحسن بن أحمد بن يحيى أبو بكر الزاهد لأنصاري انقرصبي، نزيل صافية، انتقى بالرضي الشاطبي وأنشده من شعره، توفي بمصر سنة (652هـ) ومولده سنة (606هـ) ⁽⁴⁾.
9. خلص بن أحمد بن خلص بن عبد الله أبو نقسام بن أبي العباس الغدفي الإشبيلي، قدم حلب، كان شاعراً مجيداً مولده بجزيرة شقر سنة (589هـ) أنشد من شعره لابن لعيدم في لقاهرة سنة (641هـ) ⁽⁵⁾.

(1) توفي، 2، 21، 15، 16.

(2) اموت 1 345 348. لوافي 156 158

(3) انشيد عن اروضتين، 159، 195. ديب مرة 3 84 عيون لوريج 20 119 اسحوم الرهرة 59، 59، 662 663

(4) ابن لادار، لتكملة نكتب لصية، عني نشره وصححه عزت لعطار حسني. مكتبة اخنجي، لقاهرة 56 879. نذيل وتكملة 191/4 3، 8 3، 9

(5) ابن عديم، كبر سن أبي حرادة، عبة لظب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1988، 3213

10. سمين بن أحمد البُنيّني، من أهل لأندلس، استوطن لمشرق، ومدح المنك الكمل.
11. عبدالرحمن بن محمد بن عبدالمنك بن سعيد، جرى بينه وبين أقربه ما أوجب خروجه إلى لمشرق، زار الدير المنصرية إلا الإسكندرية والقاهرة، وزار دمشق وحب ووصفهم، قتل حين دخل التدار بخارى وهو بها².
12. عبدلكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم بن عبدالرحمن البُنْفزي الشصبي القَصْدَرُ أبو محمد المراكشي، كان رجلاً جليلاً ذنْمة واسعة، وثروة ظاهرة، يرحل إلى الملوك ويسترفدهم بأشعاره، لديه فضل ومعرفة بالغة ولأدب، له قصائد مطولات، يظهر في شعره التعسف³.
13. أبو عبدالله ابن العطار القرطبي، شاعر حلو لمنازع ظريف المقطع والمطالع كما وصفه بن سعيد لمغربي، مطبوع النواذر موصوف بالأديب الشعري، التقى به ابن سعيد بالإسكندرية⁴.
14. عبدلوحْد الواعظ لأعمى الإشبيلي، رحل إلى المشرق، وشتهر بحسن الصوت في لتحريرك ولتشد، واشتهر عنه الكفر ولإلحاد، جرت مجاوبت بينه وبين قرينه ابن لصفار لأعمى، مدت مخوقاسة (637هـ)⁵.
15. عبيد الله بن لمطفر بن عبدالله الباهي الأندلسي أبو الحكم، كان فاضلاً في العلوم لحكمية، محباً لنهوى، يعرف صنعة الموسيقى يذكر ابن الشعار أن له ديواناً شعر سمعه (نهج لوضعة) تلى فيه بكل غريب، توفي في مسكنه بالبلدين بدمشق سنة (648هـ)⁶.

(1) لفتح، 2، 8

(2) معرب، 172/2، الصفح 2 310 273

(3) عفوداحمد (مخطوط) 5، ورقة 203 203.

(4) لفتح 215، الصفح 2 124 125.

(5) صفح 213

(6) عيود التو ربح، 20، 47

16. عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية، كان حافظاً للغة العرب ولد عزلاً كاملاً أب خطيب عن دار الحديث الكامية التي نشأ بها بين القصرين، رتب مكانه أخاه، ولم يزب بها إلى أن توفي سنة (634هـ) ودفن بسفح المقطم⁽¹⁾.
17. عبي بن أبي بكر واسمه عتيق بن محمد بن خفيف أبو الحسن الأنصاري، من أهل بسية، كانت ولادته سنة (590هـ)، قرأ القرآن وتفقه على مذهب الإمام الشافعي. وسمع الحديث السبوي كثيراً بالأندلس وغيره من البلاد، وهو رجل يفوق أبناء وقته ديناً وفضلاً وعلماً، قلل من قول الشعر، سكن حبس ولتقى به ابن الشعر في مدرسة بني أبي عمرو وهو متصدر لإقراء القرآن العظيم⁽²⁾.
18. عبي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحنظلي الشجيري أبو الحسن، كان أول أمره ممر كثر، ذهب إلى الأندلس لتقى بأبي الحسن بن خروف، وأبي حجاج ابن هوى، رحل إلى المشرق ولتقى عز الدين بن عبد السلام بمم الديار المصرية، ثم رحل إلى الشام وأقام حجة وتوفي فيها سنة (637هـ)⁽³⁾.
19. عبي بن أحمد لقادسي الكندي، لقيه ابن سعيد في بيت المقدس على زي الفقراء وقد صدر من الخرج سنة (643هـ)⁽⁴⁾.
20. عبي بن أحمد بن محمد أبو الحسن لإشيب المعروف بالقسطنطين، من أهل الحديث والقرآن، أقام بدمشق مدة يسمع حديث عبي مشيخه⁽⁵⁾.
21. عبي بن أحمد بن محمد بن حمدون الحميري الأندلسي، نشد قصيدة سنة (667هـ) بمصر ورثي فيها لعز بن عبد السلام⁽⁶⁾.

(1) دبل لروستين، 164 وفيات لأعيان، 450 شمرت نذهب، 5، 168 نسخ، 2، 94-95

(2) عقود خير (مخصوص)، 5، ورقة 89-90

(3) عوارب الأربعة، 43-45

(4) نقد، 213، 2، 124

(5) عقود لحم (مخطوط)، 4، ورقة 490-492

(6) نسخ، 2، 609-611

- 22 علي بن عبدالله الثُميري أبو 'حسن شُشْتَرِي، عروس نفقهاء وأمير المتجردين، ولد بشتَر من أعمال وادي آش، أخذ عن القاضي محمد بن إبراهيم بن سرقة، اجتمع بالنجم بن إسرائيل الدمشقي سنة (650هـ) وخدم ابن سبعين، ولد وصل من الشام إلى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته، نزل بقرية الطينة، فقال: حنت الطينة إلى الطينة، وكانت وفاته بدمياط سنة (668هـ) ¹.
- 23 علي بن عبدالله بن يوسف أبو الحسن ابن حمزة القرطبي الأنصاري المعروف بابن العبد، نزل رباط اصحاب الصفي بن شكر وزير الملك العدي بمصر ².
- 24 علي بن محمد بن علي بن محمد نظم الدين أبو الحسن، ابن خروف الأندلسي النحوي، حضر من إشبيلية، وكان إماماً في العربية، محققاً مدققاً موهباً أقرأ لبحر بعدة بلاد، قدم بلاد الشام ونزل حلب في أيام الملك غياث الدين عززي وانقطع إليه و متدحه، وكان من مصوعين، قام بحب وتوفي فيها سنة (609هـ) ³.
- 25 علي بن محمد بن يوسف بن خروف القرطبي، شعر مشهور في الغرب و الشرق، نشأ في قرطبة، ورحل إلى المشرق، فصبو ذكره لأفاق، وانتشرت محاسنه في الشام، واستقر آخر أمره بحلب، وكانت وفاته في قنعتها سنة (610هـ) ⁴.

(1) غوث الدرامه، 339-341 لإحاطة، 4 205 216 لشككتي، أبو العباس أحمد بن الحسن الأسهح بصطرو تدبج، عباس بن شعرون، القاهرة، 1351هـ، 202 203 لفتح، 2 185 187

(2) الفصح، 2 374

(3) عقود جمع (مخطوط) 4، ورقة 410 414 مختصر في أخبار البشر، 3 115 ابوي، 22 89-93 لبهاقي، علاء الدين علي بن عبدالله طبع لدور في مصر لسرور، مطبعة دار ابوص، نفهه، 1 299 هـ، 248/ عليه بوعده، 2 203 204

(4) اعصود اليه، 138 139 المغرب، 1 136 139 لأيل و تنكمة ح 5، ق 1/ 396 399 ابن النير، أبو جعفر أحمد بن أنير صلة لصقة، مكتبة الخطاط، بيروت، 193 114 115 مسانث لأصغر (مخطوط)، ح 11 و 2، ورقة 480 481

25. عبي بن محمد بن يوسف بن عفيف خراجي، أبو الحسن ضياء الدين مؤلفه سيغور، رحل عن الأندلس قديماً، واستقر أخيراً بالاسكندرية لقبه ابن رُشيد نسبتي فيها غير مرة، وهو صالح حاصر النّهن⁽²⁾.
27. عبي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغنسي المغربي، وُلد بغرناطة سنة (610هـ) ورحل منها فجاء مع أبيه في بر الأندلس وورّ أعدوة وغرب الأوسط وفريقية إلى الإسكندرية، وترك ولده في الإسكندرية ورحل إلى القاهرة ثم رحل إلى حلب ودمشق، وكان ارتحالاً لمشرق سنة (647هـ) توفي سنة (685هـ)⁽³⁾.
28. عمر بن حسن بن علي بن دحية الكسي، كَتَبَ نفسه أبا الخطب ويعرف بين الجمّيل، انطهري المذهب، كان من كبار محدثين، ومن حفظ الثقات لمحصلين، ارتحل من الأندلس إلى المشرق في دولة بني أيوب، فرجعوا شأنه وقربوا مكانه، وجمعوا له علماء حديث، وأقرّوا له بالتقدم، وُلد سنة (548هـ) وتوفي سنة (633هـ) ودفن بسفح لمقطم⁽⁴⁾.
29. عيسى بن سمين بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد الرّعيني الرّندي، من أهل مملكة سمر و اجتهد وحصل بعد أن طاف قطعة من لبلاد، وسبق مقدمه بدمشق، توغل في ديار مصر مدة، وأقام مدة ببلاد الشام، ثم كرّر رجاً إلى مملكة ووصنها وبقي فيها مدة يسيرة ومات فيها سنة (610هـ) وكانت ولادته سنة (581هـ) بقرية من قرى لأندلس⁽⁵⁾.

(1) سغو (Pineo) مدينة لأندلس، من عمل عرب طة، لروص معصر، 122

(2) من، عينة، 45، 49

(3) المغرب، 2، 172، 173، مسك لأبصار (مخطوط)، ح 8، رق 383، 389، انقوت، 3، 103

26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000

(4) عوب الرية، 269، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000

() عقود حجاب (مخطوط)، 5، ورقة 226-230

30. عيسى بن عبدالله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبدالله أبو الروح الحميري
لتكرتي، كان شاعراً متديباً فاضلاً، قدم مصر وله شعر حسن، وُلد بتكرت من بلاد
الأندلس وهي من نظر قرطبة وتوفي سنة (629هـ) بدير بكر عند مد¹
31. نفتح بن موسى بن حمد بن عبدالله بن علي لأموي، معروف بالقصري، وُلد في
رجب سنة (588هـ) بالجزيرة الخضراء من الأندلس، سافر إلى مِصر سنة
(607هـ) بعد أن أقام في تونس مدة، توجه إلى الديار المصرية ثم انتقل إلى الشام
سنة (617هـ) واشتغل بحرفة على سيف الدين الأحمدي، توفي سنة (663هـ)².
32. قاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر، عم الدين أبو محمد المرسي سُورفي، وُلد سنة
(575هـ)، قدم مصر فقراً بها على أبي جود غياث بن فارس سنة (601هـ)،
وبدمشق على التاج الكندي، وأقرأ بدمشق ودرس وتوفي سنة (661هـ)³
33. أبو محمد لقرطبي (أبو محمد لقرصي)، التقى به ابن سعيد في القاهرة، ونقب
بحسب سبب لأنه أقام فيه زمناً، يكرى كل من جاء من الشام أو من سفر إليهم،
توفي في القاهرة سنة (643هـ)⁴.
34. محمد بن إبراهيم بن أمية بن علي بن حنف أبو عبدالله العبدري، من أهل ميورقة،
من حفاظ القرآن العزيز، درس صدراً من علم العربية وأقننه، نزل بحلب
وسنوطنها يسترق من نوراقه والنسخ، وذكر أنه ولد سنة (610هـ) وقد التقى
به ابن لشعر بحلب سنة (640هـ) وُسِّد من شعره⁵.

(1) صفح، 2، 606 609.

(2) عقود الحب (مخطوط)، ورقة 255 259، من مرة لرمز، 2، 327-329. عيون توريح،

20 328 سبوح، مصبعة جنة تأليف، القاهرة، ط2، 1957، ج1، في 2/342

(3) نفوس حموي معجم الأدباء، 16 234 23= 23 نعية ابوعبد، 2، 250 لفتح، 2، 50

(4) حنبل، لفتح، 212، لفتح، 2، 123 124

(5) عقود حب (مخطوط)، ورقة 182 184

35. محمد بن أحمد التُّجَنِّي أبو لقاسم، من أهل بَشْ (1)، قرأ على ابن مفرج و بن أبي لأحوص، ورحل فستوطن القاهرة، وكان شيخاً فضلاً خيراً، له دُب وشعر، توفي باحسنية خارج القاهرة سنة (595هـ) (2).
36. محمد بن أحمد بن سميان بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبدالله الزهري نحوي حصص صرف صحاً من الأدب، أتى مصر وسمع بها الحديث، ودخل بلاد الشام والجزيرة، وسمع بها وقي الفصلاء، شرح لإيضاح في النحو، قته التتار سنة (617هـ) (3).
37. محمد بن أحمد بن لصدوني الصدفي لإشبيي، من أهل شيبيلة، ارتحل إلى لشرق، وقدم لدير المصرية، وتوفي بالإسكندرية سنة (634هـ) (4).
38. محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري، المقرئ الفرضي الأديب، وله بالأندلس سنة 591هـ، ونشأ بنسبة وأقام بالإسكندرية، كانت له يد في الفرائض والعروض (5).
39. محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن سُجبان البكري نُشَرِيشي لآندلسي، كان مولده تقديراً سنة (600هـ) سمع الحديث الكثير بالأندلس ودير مصر والحرار و لثناء وبغداد، و يستظهر لقرآن لكريم، وقرأ علم لأدب في العربية على جمعة كثيرة بالأندلس، وقرأ فقه لإمام مالك، لنقى ببن اشعَر و نُشده من شعره (6).

(1) بَشْ أو بَشْ مملكة Valde Mataga هي بلدة أندلسية قديمة تقع على بُعد ثلاثين كيلو متر من شرق مدينة، وعلى بُعد خمسة كيلومترات من سحر المتوسط، يبع عدد سكانها يوم ثلاثين ألف نسمة لإحصاءة 3 60 من خاشية

(2) أبو ي، 2 104، صفح 2 212

(3) أبو ي، 2 104 105 نعية موعاة، 1 26

(4) نسخة ممددة، ص 210، القوت، 3 284 285 أبو ي، 2 135

(5) الصفح، 2 216

(6) عمود حمر (مخطوط) 7، ورقة 152 153، الصفح، 2 627

40. محمد بن سُرّافه بن محمد بن إبراهيم الشاطبي ويكنى أبا القاسم. ولد بشاطبة سنة (592هـ)، قدم لدير المصرية، سمع من بن شداد بحلب، وتولى مشيخة دار الحديث البهنية فيها، توفي في القاهرة سنة (662هـ)¹.

41. محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبدالحق أبو الويد فخر الدين الكندي، الشطبي المعروف بابن الجندب. ولد بشاطبة سنة (615هـ)، صحبه ابن سعيد بمصر ودمشق وحلب، وتُشده من شعره، توفي بدمشق ودفن بسفح قسيول سنة (675هـ)².

42. محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد، الحكيم الدحسي ذو الورارتين ويكنى أبا عبد الله، رندي النشأة، إشبيلي لأصل، رحل إلى الحجار عام (683هـ) فحجّ ودار وتجوّل في بلاد المشرق، ودخل دمشق ثم كرّر رجوعاً إلى المغرب، ومن شيوخه قصّاب ندين شيخ دار حديث بالقاهرة توفي سنة (787هـ) وكان مولده برودة سنة (660هـ)³.

43. محمد بن عبد الله بن عبد الله بن سلتك الإمام العلامة جمال الدين لطفي الجيني، وُلد سنة (671هـ) وفي لتي بعده، وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق، توفي فيها سنة (672هـ)⁴.

44. محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل الإمام الأوحّد شرف الدين أبو عبد الله نسلمي لمُرسی، المحدث لمفسر النحو، وُلد بمرسية سنة تسع وستين وقليل سبعين وخمسة وفتح ودخل العراق وخراسان والشام ومصر، وسمع جماعة

(1) معرب، 388/2، دير مرّة، 324/2، عيون نور، 207، 203، 313، توفي، 1-208-209، صفح، 2، 64.

(2) صفح، 206، معرب، 383، 384، دير مرّة، 313، 127، 203، مسند لإبصار (مخطوط)، ح 11، 489، 491، انوات، 3، 263، 267، بغية نوعة، 1، 112، صفح، 2، 120، 123.

(3) لإحصاء، 2، 444، 476، إكتيه كصمه، 155، صفح، 2، 18، 19، 457، 507.

(4) عنود احمر (مخطوط)، ورقة 133، 134، نموت، 3، 407، 409، لوف، 3، 359، 363، مرّة حسان، 23/4، بغية نوعة، 1، 30، 137، صفح، 2، 222، 231.

كثيرة، وقرأ الفقه والأصول، وله نظم ونثر حسن، انتفى به ابن الشعر بحسب سنة (637هـ)، توفي بعريش مصر وهو متوجه إلى دمشق، وكانت وفاته سنة (655هـ) (1).

45 محمد بن عبي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحنفي، يحيى الدين ابن عربي وُلد بمرسية سنة (60هـ) قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف بيشبية، رحل إلى مشرق سنة 598هـ، دخل مصر وأقام بالحجاز ودخل بغداد والموصل، مات بدمشق سنة (638هـ) (2).

46 محمد بن عبي بن محمد بن علي بن محمد بن عبي اليحصبي، أبو عبدالله لندسي، كان خفيف الروح حسن معاشرته، نزل دمشق وخالط صدورهم، وكان يميل إلى بسطة والفقر، وبس لصوف، له شعر حسن (3).

47 محمد بن عبي بن محمد بن يحيى بن سمة الأنصاري لغرنطي، قدم المشرق وأنشد من شعره لابن جماعة في القاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة، رام لعودة للأندلس ولم يتوفر له ذلك، وتوفي بمصر سنة (703هـ) عن نحو خمسين سنة بالبيهارستان منصوري (4).

48 محمد بن عبي بن يحيى بن علي الشامي الأندلسي لغرنطي، قدم مصر حاجاً، وأقام بمكة وللمدينة، وكان إماماً فاضلاً عند متعني في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ونغة وقرآن، ت. مولده بغرنطة سنة (671هـ) وتوفي سنة (715هـ) (5).

(1) معجم الأدباء، 209/18، عقود الحزن (مخطوط)، 6، ورقة 240 241 نذيل على بروصتين، 195 196: عيون التواريخ، 20 117-119، نوافي 3 355 360.

(2) مرآة الأرماء، ج 8 ق 2 36 عقود الحزن (مخطوط)، 7، ورقة 138 139 نذيل على بروصتين، 171 نذيل والتكملة 6 493 494، عنوان اندرية، 156 158، نفوس 3 436 440 توفي 173 178، لدفعي، عبدالله بن أسعد مرآة الحزن وعبرة الأيقظان، مؤسسه لأعلمي بمطبعات، بيروت 1970، 4 100 101 لبدية ونهية 13 167 صفح 161 169، 173 184 شربت سدهب 190/5-202

(3) عقود الحزن (مخطوط)، 6، ورقة 3

(4) صفح، 2/661

(5) من حذر: شهاب لندس أحمد بن حنبل لعسقلاني، اندر، لكملة في أعيان ائمة لخدمة، تحقيق: محمد سعد حد حق، دار الكتب خدشة، القاهرة 1966، 4 214، صفح 2/661 662 و5 59 60.

49. محمد بن عبيد بن يوسف بن محمد الأنصاري الشاطبي الأصل، بلنسي المولد سنة (600هـ)، لقبه لمشرقة برضي لدين، وتوفي بالقاهرة سنة (684هـ)^(١).
50. محمد بن عمر أبو عبد الله الغماري من أهل ميورقة، رأى ابن شعار من شعره مدح به الورير الكبير مؤيد لدين أبانصر برهيم بن يوسف لشيباني بحسب^(٢).
51. محمد بن عيسى بن محمد بن ذي النون حمد الدين أبو عبد الله الملقى، من أشيخ أبي حيّان، لقبه ببليس من ديار مصر، كان مولده بإفريقية سنة (617هـ)^(٣).
52. محمد بن عيسى بن منصور لقرطبي، تفنن في العموم، ولي أكثر خطط القضاء مثل مرسية وبنيسية، وهو رقيق شعر، متين العلوم فيه يتعلق بالأصول والفروع، ولي قضاء سجلماسة، وحج وأقام بمصر قليلاً، وكرّ راجعاً فمات سنة (620هـ)^(٤).
53. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الغرناطي، إمام النحاة بالدير المصرية، وشيخ محدثين بالمدرسة المنصورية، كان مولده بغرناطة سنة (654هـ)، وخرج إلى المشرق سنة (679هـ) بعد أن تصدى للتأليف في الرد على أبي جعفر ابن الطبع وتكذيب روايته، لأنه قدّر من بن الزبير أستاذ أبي حيان، فرفع أمره إلى سلطان، ونفذ الأمر بتنكيهه، بقي في المشرق إلى حين وفاته في القاهرة سنة (745هـ)^(٥).
54. موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد أبو عمران ولد سنة (573هـ) ارتحل للمشرق وبقي حتى توفي في الإسكندرية سنة (640هـ)^(٦).

(١) لوفي، 4، 190، بعية السوعة، 1، 144. لشذرت، 5، 389.

(2) عفود الحمار (مخطوطة)، 7، ورقة 218. لدين على الروصتين، 158.

(3) لفتح 2 44 45.

(4) معرب 1 105 106.

(5) لغوت 4 7 79، اصعدي، جلس بن أيت نكت الجند في نكت معيار، وقف على صبعة

حد زكي بت، مطبعة محلية بمصر 1911، 280 286، توفي 26، 281 لإحاطة

43/3 60 مكتبة لكمة 81 86 حسن لمحصرة 1، 255، درة المختار 2 122 124

صفح 2 535 538

(6) معرب 99، 2، 333 335 350 352.

55 يحيى بن سببر بن شذون، أبو زكريا الحريزي اليهودي، من أهل طُيْطِنة، كان شاعراً قوياً القريحة غزير المدّة، له شعر كثير في مدح وهجاء، كان رديء اللسان حيث طُوبى، مدح أحداً إلا وعلا، صف مصفات باللسان لعري. منها كتاب المقامات، ومقدمة مفردة سماه «تروضة الأئيفة» باللسان عري. كان قد ضل في اسنان وجل في الأقصر، ثم سكن بأخرة حب، ولم يزل بها إلى أن مات سنة (622 هـ) ¹

56 يحيى بن عيسى بن محمد بن علي بن يوسف بن صالح أبو زكريا الخنزرجي من أهل غزنطة، كان رجلاً من أهل القراءة ولأدب، ويقول شعراً لا بأس به، له قصيدة يمدح فيها، المصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة بن أبي جرادة، تُشده لاسن الشعر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الإشبيلي النيرالي حب ²

57 يوسف بن عتب، الإشبيلي، مطبوع في الشعر والتوشيح، حتمع به ابن سعد في القاهرة مرراً، وكان قد فرق إشبيلية حين تولاهما ابن هود، واضطربت لفتة الأندلس مرراً، وقدم مصر هرباً من تلك الأحوال، توفي في مارستان القاهرة سنة (636 هـ) ³.

() عقود الحين (محفوظ)، 9، ورقة 27، 31. صفح 660/2

(2) عمود حين (محفوظ)، 3، ورقة 20، 22

(-) مدح، 61، 164، عرب 1، 263، 264 صفح 111/2، 112، 664، 664



ملحق (4)

جدول زمني بالتاريخين الهجري والميلادي للفترة الممتدة (600 700هـ)
(1203 1300م)⁽¹⁾

لُسُوت بَتَارِيخ هَجْرِي	لُسُوت بَتَارِيخ مِلَادِي	السنوات بالتاريخ هجري	السنوات بالتاريخ ميلادي
600	1203	618	1221
601	1204	619	1222
602	1205	620	1223
603	1206	621	1224
604	1207	622	1225
605	1208	623	2 كانون ثاني 1226
606	1209	624	22 كانون أول 1226
607	1210	625	1227
608	1211	626	1228
609	1212	627	1229
610	1213	628	1230
611	1214	629	1231
612	1215	630	1232
613	1216	631	1233
614	1217	632	1234
615	1218	633	1235
616	1219	634	1236
617	1220	635	1237

(1) مأخوذ عن أكرم حسن نعبي التقويم، مؤسسة لمصادر، بيروت، ط1، 1991، ص 188-208.

لسنوات بالتاريخ الهجري	لسنوات بالتاريخ الميلادي	لسنوات بالتاريخ الهجري	لسنوات بالتاريخ الميلادي
636	1238	658	1259
637	1239	659	1260
638	1240	660	1261
639	1241	661	1262
640	1242	662	1263
641	1243	663	1264
642	1244	664	1265
643	1245	665	1266
644	1246	666	1267
645	1247	667	1268
646	1248	668	1269
647	1249	669	1270
648	1250	670	1271
649	1251	671	1272
650	1252	672	1273
651	1253	673	1274
652	1254	674	1275
653	1255	675	1276
654	1256	676	1277
655	1257	677	1278
656	8 كانون الثاني 1258	678	1279
657	29 كانون أول 1258	679	1280

السنوات بالتاريخ الميلادي	السنوات بالتاريخ الهجري	السنوات بالتاريخ الميلادي	السنوات بالتاريخ الهجري
24 كانون أول 1291	691	1281	680
1292	692	1282	681
1293	693	1283	682
1294	694	1284	683
1295	695	1285	684
1296	696	1286	685
1297	697	1287	686
1298	698	1288	687
1299	699	1289	688
1300	700	1290	689
		4 كانون ثاني 1291	690

فهرس

5	الإهداء
7	المقدمة
13	مدخل
19	الفصل الأول: الأوضاع العامة في الأندلس ومصر والشام
19	1- الأوضاع العامة في الأندلس
20	الظروف السياسية
27	الظروف الاقتصادية
33	الظروف الاجتماعية
42	2- الأوضاع العامة في مصر والشام
42	الظروف الطبيعية
45	الحج والتقديس وزيارة الأماكن المقدسة في المشرق
51	الظروف السياسية
55	الظروف الاقتصادية والعلمية
55	1- تنوع الزراعات والصناعات واتساع التجارة والثراء
59	2- التقدم العلمي والفكري والمستوى الحضاري
69	الفصل الثاني: موضوعات شعر النازحين
69	علاقة الشعراء بالملوك والولاطين وكبار رجال الدولة
76	الغربة والحنين إلى الوطن
88	وصف مدن المشرق والمظاهر الحضارية فيها
	المجالس والمطارحات والمساجلات والمعارضات الأدبية بين الشعراء المرحلين والشعراء
101	المشاركة

د. أمانة البدوي

شعر النازحين

من الأندلس إلى مصر والشام
في القرن السابع الهجري
بين التأثير والتأثير

يكاد الشعور بالغربة يشمل معظم قصائد الأندلسيين في أغراضها المختلفة، في علاقاتهم بالملوك والوزراء والقضاة، وفي علاقاتهم بالمدن والجزر والأنهار في المشرق، وفي مطارحاتهم ومجالسهم. فكل ما يروونه في المشرق يذكرهم بأندلسهم الذي فقدوه، فيقارنون بين أيامهم الماضية في وطنهم، وبين الظروف التي يعانونها في مدن المشرق، فقد أصبحت الغربة هاجساً يسكنهم، يرددون ألفاظها ومعانيها المختلفة في معظم ما يكتبون، مكثرين فيه من الحنين الدائم لفردوسهم الذي فقدوه، وتساءوا عنه.



لقد ارتبطت الغربة بالرحيل القسري الذي باعد بين الأندلسيين ووطنهم، بعد توالي سقوط المدن الأندلسية، وإذا كان الوطن قد انتزع فالشعور بالغربة والألم والشكوى والتحسر على فوات المطالب لا ينفك يلزمهم.

حرص المغاربة أن يعطوا أفضل انطباع عنهم في ديار الغربة، وهذا شأن الغريب في غير وطنه، لقد كانوا أفراداً فاعلين في كافة المجالات في المجتمع المشرقي من خلال دورهم في الحياة العلمية والحضارية.

فقد امتزجت الغربة بنفوس الشعراء المرتحلين، فغبروا عنها في كل مواقفهم وجعلوها مبرراً لكل ما يلاقونه من مصاعب في ديار الغربة، ورسموا لها صوراً صادقة تعبر عما في نفوسهم، وصلت حد المبالغة أحياناً، وهذا شأن الغريب.

ISBN 978-6569-07-988-9



9 786569 079880

للمكتبة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
بمكتب مطبعة الشمس / ص ب ٧٧٧٧ - هاتف ٤٣٥٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ • منشوراتها في العام ٢٠٠٩ م
• الدلائل: علي الحسني

